

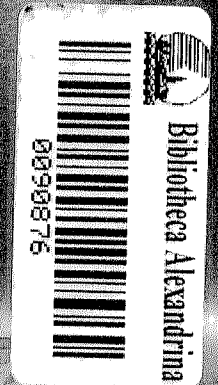
الشيخ نزيه القميحا

شعر

خطبة الزهراء (ع)

وأسبابها

طبعة ثانية
مزيدة ومنقحة



شرح
خطبة الزهراء (ع)
وأسبابها

الشيخ نزيه القميحا

شرح
خطبة الزهراء (ع)
وأسبابها

طبعة ثانية
مزيدة ومنقحة

يعود ريعه
لإنشاء مشروع خيرتي

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة
الطبعة الثانية
سنة ١٩٩٥م الموافق ١٤١٥هـ

يطلب الكتاب من المؤلف
بيروت - المريجة
هاتف - ٨٣٨٣٧٢

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الإهداء

إذا كان لا بد من الإهداء ، فإني أهدي هذا المجهود المتواضع إلى سيدة نساء العالمين .

إلى أم الحسن والحسين ، والائمة السادة الميامين .

إلى ابنة محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) وزوجة علي المرتضى (عليه السلام) .

إلى فاطمة الزهراء ، والصديقة البتول الحوراء .

لعلها تنظر اليّ من أعلى عليّين ، وتشفع لأحد مواليتها يوم الدين ﴿ يوم لا

ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .

مقدمة الطبعة الاولى بسم الله الرحمن الرحيم

الحقيقة أن الكتابة في أهل البيت (عليهم السلام) مغرية من ناحية الأجر والثواب الذي أعد لمن يحيي أمرهم . وأمر أهل البيت هو الإسلام . والإسلام لا يقوم إلا برجالته وشخصياته الفذة . وعندما نحي تراث أي شخصية إسلامية نكون مصداقاً للحديث الذي ورد عن مولانا الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : أحيوا أمرنا رحم الله من أحيانا أمرنا^(١) ونكون قد كتبنا عن أولئك الذين اختارهم الله تعالى لينشروا دينه في الأرض ، ويتمثل بهم الدين ، ويوجد بوجودهم . فالحديث عن هؤلاء الذين طهرهم الله من الرجس وفضلهم على جميع من خلق في الكون ، يكون حديثاً مغرياً بالثواب من ناحية ، لأنه تعالى يرضى عمّن يرضى عنه أهل البيت (عليهم السلام) . ويكون صعباً وعويصاً من ناحية أخرى . فكيف يعرف الانسان الجاهل العالم ؟ وكيف يعرف المذنب العاصي المعصوم عن الخطأ والزلل ؟ وهل الناقص يعرف الكامل المنزه ؟

(١) مكالم الكارم ج/١ ص ٣٢٠

وهكذا كان ولا يزال رجالات أهل البيت (عليهم السلام) هم العلماء ،
والحكماء ، الكاملون والمعصومون .
وهل نور الشمس بحاجة الى تعريف ؟ إلا لمن كان أعمى أو كانت
العصابة على عينيه .

فكل من عرف أهل البيت (عليهم السلام) وعرف فضلهم وشرفهم ،
واخلاقهم وسيرتهم الطيبة ، كان من مواليهم ومحبيهم . فهم الذين أجمع
على مدحهم المؤلف والمخالف ، والمحب والمبغض ، فكان محبوبهم يخفون
فضائلهم خوفاً من الأعداء ، وأعداؤهم يخفون فضائلهم حسداً وبغضاً ، ومع
هذا وصل إلينا الكثير الكثير من فضائلهم وسيرتهم الطيبة العطرة ، لأن نور
الشمس لا بد أن يظهر يوماً ، مهما تراكت عليه الغيوم .

فقد روي عن محمد بن إدريس الشافعي - إمام الشافعية - أنه سئل يوماً
عن علي (عليه السلام) فقال : ما أقول في رجل ؟ أخفت اولياؤه فضائله خوفاً ،
وأخفت أعداؤه فضائله حسداً ، وشاع له من بين هذين ما ملأ الخافقين^(١) .

فشخصية أهل البيت (عليهم السلام) تعرّف عنهم ، وسيرتهم تحكي فضائلهم
وأخلاقهم منهج للأجيال .

والتاريخ على أشكاله وألوانه وأنواعه مملؤ ومعطر بتلك السيرة الطيبة ،
والأخلاق العالية ، ولا نقول إلا كما قال سبحانه : ﴿ الله أعلم حيث
يجعل رسالته ﴾^(٢) .

(١) الامام الصادق والمذاهب الأربعة ج/٣ ص ٣٢٤

(٢) الأنعام / ١٢٤

وهذا الكتاب - شرح خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد أمام الصحابة - يتضمن إحتجاجها على الحكام الذين ظلموها ، وغضبوا حقها ، وما راعوا حرمتها وقرابتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأن الله جل وعز يرضى لرضاها ، ويسخط لسخطها .

وقد اختصرتُ الكلام عن حياتها ، لأن هذا الكتاب هو شرح لخطبها وكلامها (عليها السلام) فقط . ولو أردت أن أتكلم عن حياتها بالتفصيل لكنت أمليت من ذلك مجلدات .

ولكن حاولت أن أشرح من كلامها ما هو بحاجة الى شرح وتوضيح . وسلكت بذلك الطريق الوسط : لا التطويل الممل ، ولا الاختصار المخل ولا أبغي من ذلك سوى مرضاة الله تعالى ، ورسوله ، وآله الأطهار (صلوات الله عليهم اجمعين) .

وأسأل الله سبحانه أن يأخذ بأيدينا لما فيه الخير والصلاح ، لنا ولأمتنا الإسلامية ، إنه سميع مجيب .

غرة رجب ١٤٠٢ هـ

الموافق في ٢٤/٤/١٩٨٢ م

نزیه محمد القميحا

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمة الزهراء ! تلك المرأة التي ماتت وهي في عمر الزهور ، مقهورة ،
ومظلومة ، ومغصوب حقها .

فاطمة الزهراء ! هي بضعة النبي (صلى الله عليه وآله) التي يسره ما يسرها ،
ويؤذيه ما يؤذيها .

فاطمة الزهراء ! هي الوحيدة من أبنائه (صلى الله عليه وآله) التي بقيت على قيد
الحياة ، وهي الوحيدة التي عصمها الله تعالى عن الزلل ، وأذهب عنها
الرجس وطهرها تطهيرا .

فاطمة الزهراء ! هي أم الحسن والحسين ، والائمة السادة الميامين ، الذين
لا غيروا ولا بدّلوا تبديلا .

سيدتي يا أم الحسنين ! يا من كنت أول شهيدة وقتيلة ! بعد وفاة أبيك
رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكنت أول مظلومة ومقهورة .

يا من كان ظلمك وما زال سنة مفروضة على كل الأحرار والشرفاء ممن
سار على طريقك ، وآمن بأبيك نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) واهتدى بطريق
الهدى ، وهو طريقكم أهل البيت .

كأنما لم يقرأوا الاحاديث والنصوص في مدحك ، ومدح شيعتك ومحبيك
ومنزلتهم في الدنيا والآخرة ؛ وذم أعدائك وباغضيك ، ومن والاهم ، وذكر
منزلتهم في أسفل السافلين ، مع الكفار والمجرمين .

حبذا في هذه الايام ، أيام التحرر من التعصب الأعمى ، والتبعية
والإستزلام ؛ أيام الوعي والتقدم والحضارة ، وأيام الانفتاح على الثقافات ،
والتعاليم الاسلامية والاجتماعية والاخلاقية .

حبذا العودة الى أهل البيت (عليهم السلام) ، وخصوصاً أم الائمة الاطهار ،
وبضعة النبي المختار (صلى الله عليه وآله) ، وسيدة نساء الابرار ، ما جن ليل وطلع
نهار ، لقراءة أقوالها ، ودراسة أحوالها ، والتفكر بما رمت اليه من خطبها
وأقوالها ، والإقتداء بها ، والسير على طريقها ، فإنه طريق النجاة ، والخلاص
والفوز .

إنها سيدة أهل الكساء ، وسيدة آية التطهير ، وآية المبالغة ، وآية القربى ،
وسورة ﴿هل أتى﴾ ، وحديث الثقلين ، وسفينة نوح ، وباب حطة ،
وغيرها من الآيات والاحاديث التي ملأت بطون الكتب .

وإنها وزوجها وابناها ، هم صراط الله المستقيم ، وحبلة المتين ، الذي
امرنا بالتمسك والاعتصام به ، قال سبحانه : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا﴾^(١).

ما أحوجنا في هذا الزمن الى التمسك بسيرة فاطمة الزهراء (عليها السلام).
تلك السيرة العطرة المباركة .

ومع ان عمرها الشريف لم يدم كثيراً فإنها تركت من الأحاديث
والتعاليم والفضائل ، ما يُستغنى به عن غيره ، ولا يُستغنى بغيره عنه ، وما
يحتاجه كل مسلم ، ويعتمده كل مؤمن .

وهذا الكتاب - شرح خطبة الزهراء (عليها السلام) - خير دليل وبرهان على
عظمة تعاليمها ، وشدة تمسكها بتعاليم الله تعالى وما جاء على لسان رسله
وانبيائه (عليهم السلام) .

بعد أن نفذت الطبعة الاولى من الكتاب ، وراجت بعض الشائعات ،
والتشكيكات في صحة الاخبار الواردة في أحزائها وآلامها ، وما جرى عليها
من المصائب والحنن ، التي لخصتها بقولها (عليها السلام) :

صبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الايام عدن لياليا

رأيت من واجبي ، وواجب كل مؤمن غيور على دينه ومبدأه أن يدافع
عن سيدة نساء العالمين ، وبنت سيد المرسلين ، وحبيبة حبيب رب العالمين .
فعزمت على إعادة النظر في شرح الكلمات ووضع المصادر للروايات
وإضافة بعض الأبواب الجديدة في الأسباب التي دعت الزهراء (عليها السلام) لأن
تلقى خطبتها العظيمة المباركة .

ولا أريد من ذلك سوى رضاها ، وإظهار الحقائق المدفونه في طي
الكتمان ، أو في موسوعات الكتب الكبيرة التي لا يستطيع شراءها أو
اقتناءها سوى القلة من الناس ..

ونسأله تعالى أن يوفقنا للعمل الصالح على ما يرضيه ، ويرضى اوليائه
الطاهرين ، إنه سميع مجيب .

المريجة في غرة محرم الحرام ١٤١٥ هـ
الموافق في ٩/حزيران/١٩٩٤ م
نزیه محمد القمیحا

لماذا إثارة خطبة الزهراء (عليها السلام)

في وقتنا الحاضر ؟

لعل القارئ الكريم يسأل لماذا إثارة هذه الخطبة ؟ في وقت نحن بحاجة إلى إتحاد المسلمين ، على مذاهبهم وأفكارهم ، ونزعاتهم أمام العدو الكافر الملحد المستبدّ الذي قضى ويقضي على تراثنا ، وتاريخنا ، وقرآننا ، ووجودنا نحن المسلمين؟! .

أقول : نعم نحن بحاجة ماسة الى تضامن إسلامي ، والى تعاضد وتكاتف وتآخ ، فنكون كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله) : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحُمى والسهر^(١) .

وقوله (صلى الله عليه وآله) : المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضاً^(٢) . وخاصة في هذا الزمان ، الذي يريد العدو الملحد أن يقضي على ما تبقى من تراثنا - إن كان بقي لنا تراث - .

ولكننا نريد إتحاداً وترابطاً إسلامياً على طريق القرآن ، ونبيّ الاسلام . وكل طريق مغاير للقرآن فهو مزيف ، وكل خط غير السنة النبويّة الصحيحة فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

(١) الوحدة الاسلامية /ص١٣٤

(٢) نفس المصدر

وهذا القرآن يصرخ فينا ليل نهار ، ويقول : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ (١) .

فكيف نكون إخواناً ، وعن القرآن قد تفرقنا ، وعلى تفسيره اختلفنا ، حتى أصبحنا فرقا ومذاهب وأحزابا !؟ .

لا بدّ لنا من مرجع نرجع اليه ، وجامع يجمعنا ، وموحّد يوحّدنا ، وهذا المرجع يكون الجميع متفقين عليه ، ولا يكون إلا الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لا غير ، فهو يوضّح لنا المواقف ، ويقول : في معنى الآية الكريمة التي تقول عن صراط الله المستقيم : ﴿ وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (٢) .

روي في الميزان : عن الدر المنثور بالإسناد إلى جابر بن عبد الله قال : كنّا جلوساً عند النبي (صلى الله عليه وآله) فخطّ خطّاً هكذا أمامه فقال : هذا سبيل الله ، وخطين عن يمينه ، وخطين عن شماله فقال : هذا سبيل الشيطان ثم وضع يديه ، في الخط الأوسط وقرأ : ﴿ وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾ (٣) .

(١) آل عمران / ١٠٣

(٢) الأنعام / ١٥٣

(٣) الميزان / ج ٧ ص ٣٨٥

وروى في البحار : عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) عندما خط خطا مستقيماً أشار إلى علي (عليه السلام) وقال : هذا صراط الله فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يميناً وشمالاً^(١) .

وروى في ينابيع المودة : بعد ذكر الآية : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ عن الامام محمد الباقر ، والامام جعفر الصادق (عليهما السلام) قالوا : الصراط المستقيم الامام : ولا تتبعوا السبل يعني غير الامام ، فتفرق بكم عن سبيله ، ونحن سبيله^(٢) .

إذا ! فطريق الله تعالى واحد ، والطرق الاخرى هي طرق ابليس ، وتؤدي الى النار ، وغضب الجبار .

وهناك مرجع واحد متفق عليه ، وهو الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) فلنرجع اليه لنرى ماذا قال وهذه الاقوال يتفق عليها جميع المسلمين ، و الصحاح والتواريخ تشهد بذلك .

أو لم يقل (صلى الله عليه وآله) وقوله الحق : علي مع الحق ، والحق مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة^(٣) .

وقال (صلى الله عليه وآله) : علي مع القرآن ، والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض^(٤) .

(١) البحار ج ٢٤ / ص ١٤

(٢) ينابيع المودة / ص ١٣٠

(٣) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج ٢ / ص ١٠٩

(٤) نفس المصدر

وقال (صلى الله عليه وآله) في بيعة غدِير خُم : من كنت مولاه ، فهذا علي مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله (١) .

وقال (صلى الله عليه وآله) : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها (٢) .

وعلم النبي (صلى الله عليه وآله) هو علم الدنيا والدين ، علم الاسلام ، هو علم من الله تعالى ..

وقال (صلى الله عليه وآله) : إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل وعترتي . كتاب الله : حبل ممدود بين السماء والارض ، وعترتي أهل بيتي ، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما (٣) .

وقال (صلى الله عليه وآله) : ... إنما مثل أهل بيتي فيكم ، كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .
ومثل باب حطة في بني اسرائيل ، من دخله غفر له (٤) .
هذه قطرة من بحر ، وغرفة من نهر ..

(١) فضائل الخمسة ج ١ /ص ٣٤٩

(٢) نفس المصدر ج ٢ /ص ٢٥١

(٣) المراجعات /ص ٥٠ رقم ٨ والبحار ج ٢٣ /ص ١٤٧

(٤) البحار ج ٢٣ /ص ١٠٥ وفضائل الخمسة ج ٢ /ص ٥٨

هذه عجالة من النصوص المتواترة المشهورة بين المسلمين ، على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، وإذا أردت الزيادة - قارئ الكريم - فعليك ان ترجع الى الكتب المعدة لذلك مثل كتاب : (فضائل الخمسة في الصحاح الستة) الذي ينقل فضائل أهل البيت الخمسة (عليهم السلام) من صحاح أهل السنة الستة..

اذن فالمحور المتفق عليه هو النبي (صلى الله عليه وآله) ، والنبي قال هذه الاقوال في علي أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ، وسيد الأولين والآخرين ، بعد رسول رب العالمين ، ليرشدنا أنه يجب علينا ان نتمسك به (عليه السلام) لأنه مع الحق الذي جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) ، ولأنه مع القرآن ، بل هو القرآن الناطق كما قال (عليه السلام) في صفين عندما رفع قوم معاوية المصاحف ، فعرف أنها خدعة ، فتبسم أمير المؤمنين تعجباً وقال : يا ابن أبي سفيان: أنت تدعوني الى العمل بكتاب الله ، وأنا كتاب الله الناطق (١) .

ويوضح قول أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه هو كتاب الله تعالى ، قول النبي (صلى الله عليه وآله) لعمار بن ياسر : إنه سيكون بعدي هنات ، حتى يختلف السيف فيما بينهم ، وحتى يقتل بعضهم بعضاً ، وحتى يتبرأ بعضهم من بعض.

فاذا رأيت ذلك ، فعليك بهذا الاصلع عن يميني ، علي ابن أبي طالب (عليه السلام) . فان سلك الناس كلهم وادياً ، و سلك علي وادياً ، فاسلك وادي علي ، ونخل عن الناس .

ياعمار ! ان علياً لا يردك عن هدى ، ولا يردك الى ردى.

يا عمار ! طاعة علي طاعتي ، وطاعتي طاعة الله (١) .

نعم قارئ الكريم : إذا أردنا التضامن والتعاقد الاسلامي الكامل ، فيجب أن نسلك مسلك علي (عليه السلام) ، ونكون مع علي في سلوكه وسيرته لأنه صورة عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقطعة منه ، وأخوه وصهره ووصيه ، وأولى الناس به حيا وميتا ، بل هو نفسه بنص آية المباهلة (٢) .

وإنما ذكرنا هذه الخطبة الشريفه ، لما فيها من المضامين والمفاهيم الاسلامية العالية ، عن حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وحياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بضعة النبي (صلى الله عليه وآله) .

وفي هذه الخطبة كثير من الأحكام الاسلامية والاجتماعية والعقائدية التي أوضحتها الزهراء (عليها السلام) فيها ، وهذا ما سنجده في فقرات كلامها (عليها السلام) إن شاء الله تعالى .

وايضا ، إنما ذكرنا هذه الخطبة وغيرها من الكلام الوارد عن بضعة النبي (صلى الله عليه وآله) حتى تشملنا الرحمة التي تشمل كل من يحيي أمر أهل البيت (عليهم السلام) ، لأن أهل البيت هم الاسلام ، وهم ترجمان القرآن ، وقد روي في الحديث الشريف عن مولانا الامام الصادق (عليه السلام) : أحيوا أمرنا ، رحم الله من أحيانا أمرنا (٣) .

(١) البحار ج ٢٨ / ص ٦٨ ورواه العلامة المرعشي في ج ٦ / ص ٤٦٩ من كتابه إحقاق الحق ، وينابيع المودة

ص ١٢٨ / ومتنخب كنز العمال ج ١١ / ص ١٧٤

(٢) آل عمران / ٦٠

(٣) مكياج المكارم ج ١ / ص ٣٢٠ وأصول الكافي ج ٢ / ص ١٧٥

وإذا سكتنا ، وأغفلنا هذه الحقائق والدرر ، وتركناها في طي الكتمان ، نكون المسؤولين أمام رب العالمين ، ونكون مع الشياطين ، كما قيل : (الساكت عن الحق شيطان أخرس) . ولولا سكوت الساكتين ، ونفاق المنافقين ، لما تسلط علينا الكافرون ، والملحدون ، ولما وصلنا إلى ما وصلنا إليه في هذه الايام ، من الذل والعار ، والخضوع إلى الأجنبي ، والمستعمر الغاصب .

فعلينا أن ننصر الحق ، ونكون مع الحق ، حتى ينصرنا الحق ، والله ينصر من ينصره ﴿ ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ (١) .

نبذة موجزة عن حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

فاطمة الزهراء ، البتول الحوراء ، الصديقة الطاهرة ، التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً .

فاطمة الزهراء ، هي ابنة الرسول الأعظم ، محمد (صلى الله عليه وآله) الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة ، بعد وفاة أولاده ، القاسم ، والطاهر ، وإبراهيم . فهي كانت ريحانته من الدنيا ، كما كان يقول (صلى الله عليه وآله) ، وبضعة منه ، وهوراء إنسيّة ، كلما اشتاق إلى الجنة كان يقبلها ويشمّها .

فقد تميزت فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وحازت على عطف وحنان ومحبة صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله) للدوافع التالية :

أولاً : إنها الوحيدة من ذريته (صلى الله عليه وآله) التي بقيت على قيد الحياة كما ذكرنا .

ثانياً : لأنها ابنة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) تلك المرأة الصالحة التي قال عنها الرسول (صلى الله عليه وآله) ، إنها من أفضل نساء أهل الجنة : أفضل نساء الجنة أربعة : خديجة بنت خولد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون (١) .

وكان دائماً يذكرها بالخير والدعاء ، ويترحم عليها طيلة حياته الشريفة . وقد غارت منها عائشة يوماً ، بعد ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله) لخديجة

وترحمه عليها ، ولم تملك نفسها ، وأظهرت كرهها لها ، فقالت : ما أنت وخديجة !؟ إنها عجوز ، قد أبدلك الله خيراً منها – وتعني بذلك نفسها – فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : لا والله ما أبدلني خيراً منها . لقد آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدقتني حين كذبتني الناس ، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها ، وحرمني ولد غيرها ^(١) .

وقد أنفقت خديجة (عليها السلام) كل اموالها على الدعوة الاسلامية ، تلك الاموال التي كانت لا تحصى . وكان تجار الجزيرة العربية في ذاك الزمان يضاربون ويتاجرون بأموال خديجة حتى قيل : إن لها أزيد من ثمانين الف جمل متفرقة في كل مكان ، وكان لها في كل ناحية تجارة ، وفي كل بلد مال مثل مصر ، والحبشه ، وغيرها ^(٢) .

فهذه الاموال الكثيرة ، والخيرات الغزيرة ، أنفقتها كلها في سبيل إعلاء كلمة الله في الارض ، وخاصة عندما تعاقدت قريش على مقاطعة بني هاشم من أجل النبي (صلى الله عليه وآله) ، فخرجوا من مكة ، ولجأوا إلى شعب من شعاب أبي طالب ، ومكثوا فيه مع من آمن في ذاك الوقت ، مدة ثلاث سنين ، وقد أنفقت خديجة (عليها السلام) جل مالها ، إن لم نقل كله ، وقد صرح (صلى الله عليه وآله) أن لمال خديجة الدور الفعال في حفظ الرسالة ، وإقامة

(١) البحار ج ١٦ / ص ٣ والأئمة الأثنى عشر ج ١ / ص ٥٨ واعلموا أني فاطمة ج ٢ / ص ٢١٠

(٢) البحار ج ١٦ / ٢٢

دعائم الاسلام فقال (صلى الله عليه وآله) : ما قام الاسلام إلا باموال خديجة ، وسيف علي ، ومنعة أبي طالب ^(١) .

لهذا انصب كل حنانه وعطفه وترحمه على خديجة ، في وحيدتها ، وبضعته فاطمة (عليها السلام) فكان يحبها حباً لا يوصف ، ولم يشبهه حبه لها (عليها السلام) محبة الآباء لأبنائهم . إذ كان حبه لها مزيجاً من الحب والإحترام والتعظيم . وكان يقول : فاطمة بضعة مني ، يقبضني ما يقبضها ، ويسطني ما يسطها .

وقال أيضاً : فمن عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي بضعة مني هي قلبي ، وروحي التي بين جنبي ، فمن آذاها فقد آذاني .
وقال أيضاً : ان الله يغضب لغضب فاطمة ، ويرضى لرضاها ^(٢) .

لهذا الحب ، وهذا الاهتمام ، وهذه الخاصية ، كانت عائشة تكره فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، لانها ابنة خديجة (عليها السلام) التي كان (صلى الله عليه وآله) يذكرها كثيراً ، ويترحم عليها في كل مناسبة .

وثالثاً : وهو الأهم ، إن فاطمة (عليها السلام) كانت على صغر سنها ، صاحبة القلب الكبير ، والعقل العظيم ، والحنان الواسع ، فقد عوضت أباهما حنان الأم التي حرم منه وهو ابن ست سنين ، وعطف الأب الذي توفي قبل ان يولد ويرى النور ، والجد الذي قام بكفالاته ولكن ما لبث أن مات هو الآخر بعد فترة وجيزة .

(١) أمهات الشيعة ج٢/ ص٨ . واعلموا أني فاطمة ج٢/٢٣٥ .

(٢) فاطمة الزهراء من المهدي الى اللحد/ ص٢٧٥

وهكذا عاش (صلى الله عليه وآله) أكثر حياته في كنف عمه أبي طالب (عليه السلام). فجاءت الزهراء (عليها السلام) بعد أمها لتعوضّ عليه الحنان والحب والعطف الذي حرم منه عندما كان صغيراً . فحملت معه أعباء الرسالة ، وهموم الدعوة ، وكانت تخفف عنه ما يلمّ به من مشاكل ، وتضمّد ما يصيبه من جراح ، كما حصل في وقعة أحد عندما جرح (صلى الله عليه وآله) . ولقد قال عنها (صلى الله عليه وآله) كلمته المشهورة : فاطمة الزهراء أم أبيها ^(١) .

فكان (صلى الله عليه وآله) أباهما ، أبوةً وولادةً ونسباً ، وكانت أمه ، حناناً وعظماً وحباً . ولذا كان (صلى الله عليه وآله) شغوفاً بحبها ، لا يستطيع الصبر على بعدها ، وإذا أراد الذهاب إلى أي مكان - من سفر أو غزو أو غيره - كان آخر بيت يخرج منه هو بيت فاطمة (عليها السلام) . وعندما يعود ، يكون أول بيت يدخله هو بيت فاطمة (عليها السلام) ^(٢) .

فكانت مع أبنائها ملاذه في الدنيا ، و سلوته عند أحزانه وهمومه ، ومشاكل الدعوة الإسلامية .

ورابعاً...: إن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يبق له ذرية إلا فاطمة (عليها السلام) - كل أولاده ماتوا في حياته الشريفة - فكانت ذريتها ذريته ، وأولادها أولاده ، رداً على من عمّره بأنه (صلى الله عليه وآله) أبتر ^(٣) .

(١) البحار ج ٤٣ / ١٩

(٢) فاطمة من المهد الى اللحد / ٢٧٩

(٣) .راجع تفسير الاختيار للمؤلف في تفسير سورة الكوثر

أي لا عقب له ، ولا ذرية ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

فجعل ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) من ابنته فاطمة الزهراء ، و جعل الكثرة من هذه الذرية ، و هاهم يملأون بقاع الارض .
وكان (صلى الله عليه وآله) يؤكد دائما أن ذرية فاطمة (عليها السلام) ذريته وأولادها أو أولاده ، فكان كلما ذكر الحسن و الحسين (عليهم السلام) يقول : إنهما ولدائي ، و ريحانتي من الدنيا ^(١) .

وقد عبر عنهما الله جل جلاله في كتابه المجيد بأنهما أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(٢) .

وهما من أهل بيته في حديث الكساء ، و لقد خصهما مع أيهما وأمهما به ، و ميّزهم بالحديث الشريف الذي ورد عنه (صلى الله عليه وآله) وذلك بنزول آية التطهير ، و هي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٣) .

جمع النبي (صلى الله عليه وآله) علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً (عليهم السلام) و جلس و إياهم تحت كساء و قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس

(١) البحار ج ٤٣ / ص ٢٦٤

(٢) آل عمران / ٦٠

(٣) الاحزاب / ٣٣

وطهرهم تطهيراً - وأم سلمة كانت واقفة - فقالت : يا رسول الله و أنا معهم ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : لا و إنك على خير ، وهؤلاء أهل بيتي ، اللهم أهلي أحق^(١) .

و كان (صلى الله عليه وآله) غالباً ما يقول أمام الصحابة في الحسن و الحسين (عليهما السلام) : اللهم إني أحبهما ، فأحبهما ، وأحب من أحبهما .
وقال (صلى الله عليه وآله) : من أحب الحسن و الحسين أحبته ، و من أحبته أحبه الله ، و من أحبه الله أدخله الجنة ، و من أبغضهما أبغضته ، و من أبغضته أبغضه الله ، و من أبغضه الله أدخله النار^(٢) .

وروي عن ابن مسعود أنه قال : كان النبي (صلى الله عليه وآله) يصلي ، فجاء الحسن و الحسين (عليهما السلام) فارتدفاه^(٣) فلما رفع رأسه أخذهما أحذاً رقيقاً فلما عاد عادا ، فلما انصرف ، أجلس هذا على فخذه الأيمن ، و هذا على فخذه الأيسر ثم قال : من أحبني فليحب هذين^(٤) .

وروي عن عامر الشعبي أنه قال : بعث اليّ الحجاج ذات ليلة ، فخشيت فقامت فتوضأت ، و أوصيت ، ثم دخلت عليه ، فنظرت فاذا نطع منشور ، و السيف مسلول ، فسلمت عليه ، فرد عليّ السلام فقال : لا تخف قد أمنتك الليلة و غداً إلى الظهر ، و أجلسني عنده ، ثم أشار فأتي برجل مقيّد

(١) دلائل الصدق ج٣/ص١٠٦

(٢) البحار ج٤٣/٢٧٥

(٣) اي ركبا على ظهره (صلى الله عليه وآله)

(٤) البحار ج٤٣/ص٢٧٥

بالكبول والاغلال ، فوضعوه بين يديه فقال : إن هذا الشيخ يقول : إن الحسن والحسين كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ! ليأتيني بحجة من القرآن وإلا لأضربن عنقه .

فقلت : يجب ان تحمل قيده ، فإنه إن احتج فإنه لا محالة يذهب ، وإن لم يحتج فإن السيف لا يقطع هذا الحديد ، فحلّوا قيوده وكبوله ، فنظرت ، فإذا هو سعيد بن جبير ، فحزنت بذلك وقلت : كيف يجد حجة على ذلك من القرآن !؟

فقال له الحجاج : إئتني بحجة من القرآن على ما ادعيت وإلا أضرب عنقك ، فقال له : إنتظر فسكت ساعة ، ثم قال له : مثل ذلك ، فقال : إنتظرا فسكت ساعة ، ثم قال له : مثل ذلك ، فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قال : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين ﴾ ثم سكت وقال للحجاج : إقرأ ما بعده ، فقرأ : ﴿ وذكريا ويحي وعيسى و الياس كل من الصالحين ﴾ (١) . فقال سعيد : كيف يليق ههنا عيسى ؟

قال : إنه كان من ذريته ، قال : إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أب ، بل كان ابن ابنته ، فنسب إليه مع بعده ، فالحسن والحسين أولى ان ينسبا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع قربهما منه !

فأمر له بعشرة آلاف دينار ، و أمر بأن يحملوها معه إلى داره ، و أذن له
في الرجوع

قال الشعبي : فلما أصبحت قلت في نفسي : قد وجب عليّ ان آتي هذا
الشيخ فأتعلم منه معاني القرآن ، لأنني كنت أظن أنني أعرفها ، فاذا انا لا
أعرفها ، فأتيتته فاذا هو في المسجد ، و تلك الدنانير بين يديه يفرقها عشرا
عشرا ، و يتصدق بها ، ثم قال : هذا كله ببركة الحسن والحسين (عليهما
السلام) لئن كنا أغممنا واحداً ، لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا الله ورسوله (صلى الله
عليه وآله)^(١)

يعنى أن الله سبحانه نسب عيسى أنه من ذرية إبراهيم من ناحية أمه مريم
مع كثرة الآباء بينه و بين إبراهيم (عليه السلام) و لا يجوز أن ننسب الحسن
والحسين (عليهما السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أنه لا يوجد بينهما
إلا فاطمة (عليها السلام) .

وهناك روايات كثيرة تدل على أن الحسن والحسين (عليهما السلام) ابنا
رسول الله (صلى الله عليه وآله) حقيقة .

فلهذه الامور وغيرها من الدوافع التي يعلمها (صلى الله عليه وآله) مستقبلا ، مما
يجري على بضعته بعد وفاته ، من غضب حقها ، وحق زوجها أمير المؤمنين
(عليهما السلام) ، و إنتراع فذك من يدها ، و حرمانها من إرثها ، و دخولهم عليها
بيتها بغير إذنها ، و ضغطها خلف الباب ، و إسقاطهم جنينها المحسن ،
و غيرها من المصائب والآلام والمحن .

من أجل ذلك كان (صلى الله عليه وآله) يُذكّر المسلمين دائماً بفضلها ، وقدرها عنده ، وعند الله تعالى

وخامساً : إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي الوحيدة من النساء التي عصمها الله تعالى من الدنس والخطأ والزلل ، وطهرها من الرجس تطهيراً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) .

وهي الوحيدة من النساء التي باهل بها النبي (صلى الله عليه وآله). في آية المباحلة، مع كثرة ما عنده من النساء ، قال سبحانه : ﴿ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعِ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢) .

وهي المقصودة بآية المودة وهل هناك أقرب من الزهراء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) ؟ قال عز وجل : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾^(٣) .

وقد ورد في الصحاح أن المسلمين سألوا النبي (صلى الله عليه وآله) بعد نزول هذه الآية فقالوا : يا رسول الله : من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ فقال (صلى الله عليه وآله) : علي و فاطمة و ابناهما^(٤) .

(١) الاحزاب / ٣٣

(٢) آل عمران / ٦٠ / ٦١

(٣) الشورى / ٢٣

(٤) فاطمة من المهد الى الحد ص ٢٣٣

وبفاطمة وأمير المؤمنين وابنيهما (عليهم السلام) نزلت آيات من سورة الدهر ،
تذكر فضلهم ، و تشكر لهم صنيعهم . .

قال العلامة في نهج الحق وكشف الصدق : روى الجمهور أن الحسن
والحسين مرضا ، فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعامة العرب ، فنذر
علي صوم ثلاثة أيام ، وكذا أمهما فاطمة ، و خادمتهم فضة ، لئن برئنا .
فبرئنا وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فاستقرض أمير المؤمنين (عليه السلام)
ثلاثة أصوع من شعير ، وطحنت فاطمة منها صاعا ، فخبزته خمسة أقراص ،
لكل واحد قرص ، و صلى علي المغرب ثم أتى المنزل ، فوضع الطعام بين
يديه للإفطار ، فاتاهم مسكين ، وسأهم ، فأعطاه كل منهم قوته ، ومكثوا
يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا ، ثم صاموا اليوم الثاني ، فخبزت فاطمة صاعاً
آخر ، فلما قدمته بين أيديهم للإفطار أتاهم يتيم وسأهم القوت ، فتصدق
كل منهم بقوته ، فلما كان اليوم الثالث من صومهم ، وقدم الطعام للإفطار
، أتاهم أسير وسأهم القوت ، فأعطاه كل منهم قوته ، ولم يذوقوا في الأيام
الثلاثة سوى الماء ، فرآهم النبي (صلى الله عليه وآله) في اليوم الرابع ، وهم
يرتعشون من الجوع ، وفاطمة (عليها السلام) قد التصق بطنها بظهرها من شدة
الجوع ، وغارت عيناها .

فقال (صلى الله عليه وآله) : واغوثاه يا الله ! أهل محمد يموتون جوعا ! فهبط
جبرائيل فقال : خذ ما هناك الله في أهل بيتك فقال : وما آخذ يا جبرائيل ؟
فأقرأه : ﴿هل أتى ... يوفون بالندر ويخافون يوما كان شره مستطيرا *

ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴿١﴾ .

وأما ما ورد في فضلها من الأحاديث عن أبيها الرسول (صلى الله عليه وآله) فحدّث ولا حرج ، وقد ذكرنا بعضاً من هذه الأحاديث ونذكر هنا بعضاً مما ورد في فضل أهل البيت (عليهم السلام) عامة ، وهذه الرويات قد اتفق عليها جميع المسمين .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وأنهما لن يزالا جميعاً حتى يردا عليّ الحوض ، فأنظروا كيف تخلفوني فيهما ^(٢) .

وقال (صلى الله عليه وآله) : إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . ومثل باب حطّة ، من دخله نجح ، ومن لم يدخله هلك ^(٣) .

وقال أبو ذر الغفاري (رض) : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : إجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين من الرأس ، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس ، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين ^(٤) .

(١) دلائل الصدق ج ٢/ص ١٧٢ والآيات من أول سورة الدهر .

(٢) البحار ج ٢٣/ ١٣٤

(٣) البحار ج ٢٣/ ١٢٠

(٤) البحار ج ٢٣/ ١٢١

وقال ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) : ... مثلك ومثل الأئمة من ولدك بعدي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجح ، ومن تخلف عنها غرق ، ومثلكم مثل النجوم ، كلما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة (١) .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : هؤلاء بنو اسرائيل نصب لهم باب حطة : وأنتم يا معشر أمة محمد نصب لكم باب حطة أهل بيت محمد (عليهم السلام) وأمرتم بإتباع هداهم ، ولزوم طريقتهم ، ليغفر لكم بذلك خطاياكم وذنوبكم ، وليزداد المحسنون منكم ، وباب حطتكم أفضل من باب حطتهم لأن ذلك كان بأخاشيب ، ونحن الناطقون ، الصادقون ، المؤمنون ، الهادون الفاضلون ، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن النجوم في السماء أمان من الفرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الضلالة في أديانهم ، لا يهلكون مادام منهم من يتبعون هديه وسنته .

أما إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قال : من أراد أن يحيى حياتي ، ويموت مماتي ، وأن يسكن جنة عدن التي وعدني ربي ، وأن يمسك قضيباً غرسه بيده وقال الله : كن فكان ، فليتولّ عليّ ابن ابي طالب (عليه السلام) ، وليوال وليه ، وليعاد عدوّه ، وليتول ذريته الفاضلين ، المطيعين لله من بعده ، فانهم خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أناهم الله شفاعتي (٢) .

(١) البحار ج/ ٢٣ / ١٢٦

(٢) البحار ج ٢٣/ص/ ١٢٢

وروى عن ابن عباس انه قال : خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال :
 ... معاشر الناس : ألا إن أهل بيتي خاصتي ، وقرابتي ، وأولادي ، وذريتي ،
 ولحمي ، ودمي ، ووديعتي ، وإنكم بمجموعون غداً ، ومسؤولون عن الثقلين ،
 فانظروا كيف تخلفوني فيهم ، فمن آذاهم فقد آذاني ، ومن ظلمهم فقد
 ظلمني ، ومن نصرهم فقد نصرني ، ومن أعزهم فقد أعزني ، ومن طلب
 الهدى من غيرهم فقد كذبني ، فاتقوا الله وأنظروا ما أنتم قائلون غدا ، فإنني
 خصم لمن كان خصمهم ، ومن كنت خصمه فالويل له (١) .

وروى عن جابر الانصاري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فاطمة
 بهجة قلبي ، وإبناها ثمرة فؤادي ، وبعلمها نور بصري ، والأئمة من ولدها
 أمانتي ، والحبل الممدود ، فمن اعتصم بهم فقد نجح ، ومن تخلف عنهم فقد
 هوى (٢) .

وروى أن لها تسبيح تعقب به بعد كل صلاة ، وهذا التسبيح لم يرو إلا
 عنها باتفاق الجميع .

وقد حدثت عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) لرجل من بني أسد فقال : ألا
 أحدثك عني وعن فاطمة ؟ إنها كانت عندي ، وكانت من أحب أهله إليه (٣)

(١) البحار ج ٢٣/١٥٣

(٢) البحار ج ٢٣/١٣٢

(٣) أي لى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وأنها استقت بالقربه حتى أثر في صدرها ، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها^(١) وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها ، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها^(٢) فأصابها من ذلك ضرر شديد^(٣) .

وقد وسّع الله على المسلمين ، فطلب منها أمير المؤمنين أن تذهب لأبيها النبي (صلى الله عليه وآله) وتطلب منه خادماً فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا فاطمة ! أعطيك ما هو خير لك من خادم ، ومن الدنيا بما فيها : تكبيرين الله بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة ، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسيحة ، ثم تختمين ذلك بلا إله إلا الله ، وذلك خير لك من الذي أردت ، ومن الدنيا وما فيها^(٤) .

وهكذا رجعت الزهراء (عليها السلام) بهذا التسيح الذي هو خير لها من الدنيا وما فيها ، وأصبح هذا التسيح ينسب إليها ، وفيه فضل عظيم ، وأجر كبير .

وقد ورد عن مولانا الامام الصادق (عليه السلام) انه قال : يا أبا هارون إنا نأمر صبياننا بتسيح فاطمة (عليها السلام) كما نأمرهم بالصلاة ، فالزمه ، فانه لم يلزمه عبد فشقي^(٥) .

(٤) المجلس : هر اللحم الميت يظهر على اليد من كثرة العمل .

(١) أي اسودت واتسخت

(٢) فاطمة من المهدي الى اللحد /ص ٢٦

(٣) فاطمة من المهدي الى اللحد /ص ٢٦٢

(٤) نفس المصدر /ص ٢٦٣

هذه فاطمة الزهراء ، بضعة الرسول ووحيدته ، وهذا القرآن يصرح
بفضلها وعصمتها ، وأنها سيدة نساء العالمين ، فهل بعد هذا الفضل فضل ؟
وبعد هذه المنزلة منزلة ؟ من فضلها الله تعالى على نساء العالمين ، من الاولين
والآخرين .

فما علينا الا ان نقرأ خطبها وكلامها ، ونطبق على أنفسنا ما وعظت به
غيرنا ، حتى نكون لها خير شيعة وأتباع ، كما وأنها (عليها السلام) لنا خير قدوة
صالحة .

أولُ محنةٍ للزهراء (عليها السلام)

مرضُ والدها رسول الله (صلى الله عليه وآله)

كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) تعيش حياة هائلة مستقرة في ظل أب رؤوف رحيم ، عطوف كريم ، وزوج مؤمن عادل مستقيم ، وأولاد في منتهى البر والطاعة ، لم ينغص صفو عيشها ، وهناءة حياتها سوى المرض الذي ألمّ بأبيها (صلى الله عليه وآله) خاصة بعد أن أخبرها أنه نُعيت إليه نفسه الشريفة . فبكت فاطمة ، فقال لها : لا تبكين ، فإنك لا تمكثين بعدي إلا اثنين وسبعين يوماً ونصف يوم حتى تلحقني بي ، ولا تلحقني بي ، حتى تتحفي بشمار الجنة ، فضحكت فاطمة (عليها السلام) ^(١) .

وقبل أن يمرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرضه الذي مات فيه ، كان قد جهّز جيش أسامة بن زيد بن حارثة لغزو الروم ، وهي آخر سراياه . وقد اهتم فيها اهتماماً عظيماً . فأمر أصحابه بالتهيؤ لها . وحضهم على ذلك . ثم عبأهم بنفسه الزكية . فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار ، كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم ، إلا وقد عُيى بالجيش ^(٢) .

وقد ورد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) أن الغاية من حشد جميع المهاجرين والأنصار في جيش أسامة - إلا القليل ممن عرف حبه لعلي (عليه

(١) البحار ج ٤٣ / ص ١٥٦

(٢) المراجعات رقم / ص ٩٠

السلام) - ما نقله العلامة المجلسي (ره) في البحار نقلاً عن كتابي الخصال للشيخ الصدوق^(١) والإختصاص للشيخ المفيد^(٢) : في جواب أمير المؤمنين (عليه السلام) لليهودي عن المواطن التي امتحن فيها ، فقال :

... ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتوجيه الجيش الذي وجهه مع أسامة بن زيد ، عند ذلك أحدث الله به المرض الذي توفاه فيه ، فلم يدع النبي (صلى الله عليه وآله) أحداً من أبناء العرب ولا من الأوس والخزرج وغيرهم من سائر الناس ، ممن يخاف عليّ نقضه ومنازعته ، ولا أحداً ممن يراني بعين البغضاء ، ممن قد وترته بقتل أبيه ، أو أخيه ، أو حميه ، إلا وجهه في ذلك الجيش ، ولا من المهاجرين والانصار ، والمسلمين وغيرهم ، من المؤلفة قلوبهم ، والمنافقين ، لتصفو قلوب من يبقى معي بحضرته ولئلا يقول قائل شيئاً مما أكرهه ، ولا يدفعني دافع عن الولاية ، والقيام بأحد رعيته من بعده ثم كان آخر ما تكلم به في شيء من أحد من أمر أمته أن يمضي جيش أسامة ، ولا يتخلف عنه أحد ممن أنهض معه ، وتقدم في ذلك أشد التقدم ، وأوعز فيه أبلغ الإيعاز ، وأكد فيه أكثر التأكيد^(٣) .

ولكنه (صلى الله عليه وآله) لاحظ التقاعس والتباطؤ فلعن من تأخر وتخلف عن جيش أسامة^(٤) . وخاصة بعد ان طلب منهم بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده ابداً .

(١) الخصال / ص ٣٤١

(٢) الإختصاص / ص ١٦٤

(٣) البحار ج ٢ / ص ٢٠٦ / ٢٠٧

(٤) المراجعات رقم / ٩٢

رزية منع النبي (صلى الله عليه وآله) من كتب الكتاب

بعد أن أحس النبي (صلى الله عليه وآله) بغدر أصحابه وتقاعسهم عن تنفيذ أوامره في تجهيز جيش أسامة ، طلب منهم أن يأتوه بكتف ودواة ليكتب لهم كتابا ، يكون فيه الهداية والمنارة التي ترسم طريق الهدى حتى قيام الساعة . وكانت المصيبة الكبرى ، والرزية العظمى ، أن منعه من ذلك وقالوا فيه كلاماً لا يفوه به من عنده أدنى ذرة من الإيمان بأنه (صلى الله عليه وآله) رسول من قبل الله تعالى ، وأنه يوحى إليه ، وهذا ما سنراه لاحقاً في الروايات ، وآراء بعض العلماء إن شاء الله تعالى .

روى في صحيح مسلم ، في آخر كتاب الوصية ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يوم الخميس ، وما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ . فقال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اتنوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . فقالوا : إن رسول الله يهجر^(١) .

وروى في صحيح البخاري حديث الهجر بلفظ الاخبار ، عن ابن جبير ، عن ابن عباس قال : يوم الخميس ، وما يوم الخميس ! ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء ، فقال : اشتد برسول الله وجعه يوم الخميس فقال : اتنوني بكتابٍ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي

(١) دلائل الصدق ج ٣ / ١١١ وعبد الله بن سبأ / ٨٠ والمراجعات رقم ٨٦/

تنازع ، فقالوا : هجر رسول الله ، قال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه ^(١) .

وفي صحيحي البعاري ومسلم ، عن ابن عباس قال : لما حضر النبي ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال : هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده ، قال عمر : إن النبي غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، فحسبنا كتاب الله ، واختلف أهل البيت ، واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلّوا بعده ، ومنهم من يقول : ما قال عمر فلما كثروا اللفظ والإختلاف عند النبي (صلى الله عليه وآله) قال : قوموا عني ^(٢) .
وحكى ابن أبي الحديد عن الجوهري - بعد رواية الحديث - قال : فلما أكثروا اللفظ ، واللغو ، والإختلاف ، غضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : قوموا عني ، لا ينبغي لني أن يختلف عنده هكذا ، فقاموا ^(٣) .

تعجب الشيخ المظفر من منع كتب الكتاب

قال الشيخ محمد حسين المظفر ، صاحب كتاب دلائل الصدق : تعليقا على رواياتهم في هجر النبي (صلى الله عليه وآله) وهذيانه : يا هل ترى إنا لو قلنا إن عمر يهجر في مقابل قوله للنبي (صلى الله عليه وآله) يهجر ، أكانوا يرضون منا بدون القتل ؟ .

(١) دلائل الصدق ج ٣ / ١١١ وعبد الله بن سبأ / ٨٠ والمراجعات رقم / ٨٦

(٢) دلائل الصدق ج ٣ / ١١٥ وعبد الله بن سبأ / ٨٠ / ٨١ والمراجعات رقم / ٨٦

(٣) دلائل الصدق ج ٣ / ١١٦

وأعجب من ذلك أنهم مع نسبة الهجر عندهم إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ، يستدلون على استحقاق أبي بكر الخلافة ، بدعوى أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمره بالصلاة في الناس ، والحال أن أمره بها على زعمهم ، كان في حال شدة المرض ، بحيث يغمى عليه مرة ، ويفيق أخرى ، - كما في بعض روايات البخاري ومسلم وغيرها - وكانت صلاته أيضا في الناس على زعمهم سبع عشرة صلاة أو نحوها ، وهي بعد أمر الكتاب . لأنه كان يوم الخميس ، والنبي توفي يوم الاثنين ، فكيف كان أمره بالكتاب هجراً ، وأمره بالصلاة دليلاً على الخلافة؟! .

بل أعجب من ذلك ، أنهم يرون أن أبا بكر - عندما حضرته الوفاة - أمر عثمان ان يكتب : أما بعد ، ثم أغمي عليه ، فكتب عثمان : أما بعد ، فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، ولم آلكم خيراً .

ثم أفاق أبو بكر فقال : إقرأ ، فقرأ عليه ، فقال : أراك خفت أن يختلف الناس؟! قال : نعم ، وأقرها أبو بكر . (رواه الطبري وابن الأثير) .

فأنت ترى أن أبا بكر قد كتب وأمضى ، وهو في حال يغشى عليه ، فلم يقولوا : يهجر ، وسيد النبيين (صلى الله عليه وآله) أمر بالكتابة قبل وفاته بخمسة أيام ، ولم تكن حاله في الشدة التي كانت عليها حال أبي بكر ، وقالوا يهجر فهل الفرق بينهما إلا مخالفة وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لهوى أولئك الصحابة ، وموافقة وصية أبي بكر لهواهم؟! .

وهل تصور أمراً لا تهواه ، يخالفون النبي فيه بالصراحة ، ويجدون في منعه كل الجد بأقبح المنع ، غير الوصية لعلي (عليه السلام) بالإمامة؟! .

أو هل تتوهم أن أمراً يُكي ابن عباس فواته ، حتى يخضب الحصباء ،
ويتذكّره بعد طول المدة ، ويجعل الحيلولة دونه كل الرزية ، غير خلافة أمير
المؤمنين (عليه السلام) ؟^(١) .

وقال (ره) في موضع آخر : فيا لهف نفسي ! يريد النبي (صلى الله عليه وآله)
ني الرحمة حياتنا إلى الأبد ، ويطلب أن يكتب لنا كتاباً حقيقياً بأن تتشوق
إليه قلوب المؤمنين !! وتتشوق إليه عيون المهتدين ، فلا يُتبع !! ويريد أبو
بكر أن يوصي إلى عمر ويظهر الشك في أمره ، بما يدعوا المسلم العاقل إلى
النفرة عنه ، فيتبع ! قال : إني أستخلفت عليكم عمر ، فإن عدل ، فذاك
ظني به ، وإن بدّل فلعل امرئ ما اكتسب ، ولا أعلم الغيب - كما ذكره في
الصواعق المحرقة ، ورواه جماعة كابن قتيبة ، وابن عبد ربه ، وغيرهما -

ويا بأبي وأمي ، الشفيق على أمته ، بأية كلمة ودّعوه بها ، وهو في فراش
الموت بينهم يحتضر !! وأية أساءة أسأروه بها ، وهو يريد الإحسان إليهم .
وقد ظهر من الاحاديث أنهم لم يأتوا بمجرد إساءة الادب مع النبي (صلى الله عليه
وآله) بل آذوه أيضاً ، وأغضبوه ، وغمّوه ، فكانوا مصداقاً لقوله تعالى :
﴿الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم﴾^(٢) .

وقوله سبحانه : ﴿الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والآخرة﴾^(٣) .

(١) دلائل الصدق ج ٣ / ص ١١٦-١١٧

(٢) التوبة / ٦١

(٣) دلائل الصدق ج ٣ / ١١٨ / ١١٩ والآية من سورة الأحزاب / ٥٧

رأي السيد مرتضى العسكري في منع الكتاب

قال : بعد ذكر الروايات في معارضة النبي (صلى الله عليه وآله) ومنعه من كتابة الكتاب ، الذي يحجب فيه ضلال أمته من بعده : في كل هذه الأحاديث لم يذكر غير عمر ، في من تكلم ومنع الرسول من كتابة الوصية ، فهو الذي قال لأزواج النبي - لما قلن : اتتوا رسول الله حاجته - إنكن صواحبه ، وقال لما رأى كفة المنافقين رجحت : إن النبي قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، فحسبنا كتاب الله ، وهو الذي قال : إن الرجل ليهجر ، وبهذا القول : جعل الرسول أمام أمر واقع . فانه لو كان قد كتب بعد هذا القول لجاز أن يهذي ويهجر عندما أملى الكتاب . وإلى هذا يشير ما جاء في حديث آخر لإبن عباس ، قال : فقال بعض من كان عنده إن نبي الله ليهجر ، قال : فقيل له : ألا نأتيك بما طلبت ؟ قال : أو بعد ماذا ؟ (١) .

رأي السيد الخميني في منع الكتاب

إتماماً للفائدة نذكر هنا رأي السيد روح الله الموسوي الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران . قال (ره) : في حال احتضار رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ومرض الموت ، وقد اجتمع عنده جماعة كثيرة ، طلب منهم ان يكتب كتاباً لن يضلوا بعده أبداً ، قال عمر بن الخطاب (هجر رسول الله) وقد نقل المؤرخون هذه الواقعة ، ورواة الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد ، مع اختلاف في اللفظ .

(٢) عبد الله بن سبأ / ٨١-٨٢

وجملة الكلام : أن هذا الكلام اللغو ، صدر من ابن الخطاب الذي يهجر وهو كاف إلى يوم القيامة للمسلم الغيور .
والحق أنهم يعرفون قدره جيدا ، وهو الذي تحمل الأذى والشدائد من أجل هدايتهم وارشادهم ، وبذل جهده لذلك .
والإنسان المؤمن الشريف الغيور يدرك بأي حال مضت هذه الروح المقدسة ، والنور الطاهر ، بعد سماع ذلك الكلام من ابن الخطاب .
إن هذا الهديان الذي ظهر من بقايا الكفر والزندقة ، مخالف للآيات الكريمة : ففي سورة النجم ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى ﴾ (١) .

- وآية : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ... ﴾ (٢) .
وآية : ﴿ ما أتاكم الرسول فخذوه ... ﴾ (٣) .
وآية ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ (٤) .

(١) النجم / ٣

(٢) النساء / ٢

(٣) الحشر / ٧

(٤) التكويد / ٢٠ راجع كتاب كشف الأسرار / ص ١٢١/١٢٢

في ما جرى عند وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقبل دفنه

توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ضحى يوم الاثنين ، وأبو بكر غائب في منزله بالسنع^(١) وعمر حاضر ، قالت عائشة : فاستأذن عمر ومغيرة بن شعبة ودخلا عليه ، فكشفا الثوب عن وجهه ، فقال عمر : واغشياه ! ما أشد غشي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قاما ، فلما انتهيا الى الباب ، قال المغيرة با عمر ! مات والله رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال عمر : كذبت ما مات رسول الله ، ولكنك رجل تحوسك فتنة ، ولن يموت رسول الله حتى يفني المنافقين^(٢) .

أخذ عمر يهدد بالقتل من قال إن رسول الله قد مات ، ويقول : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي ، وأن رسول الله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران !
والله ليرجعن رسول الله ، فليقطعن أيدي رجال ، وأرجل من يزعمون أن رسول الله مات^(٣) وقال : من قال أنه مات علوت رأسه بسيفي هذا ، وإنما ارتفع الى السماء^(٤) .

(١) السنع مكان شرقي المدينة تبعد ميل منها

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ / ٢ ق ٥٤ / ٢ / ٢ ومسند أحمد ج ٦ / ٢١٩ وأنساب الاشراف ج ١ / ٥٦٣ وكنز العمال

٥٠ / ٤ وتاريخ الذهبي ج ١ / ٣١٧ وغيرها من التواريخ

(٣) الطبري ج ٣ / ١٩٨ واليعقوبي ج ٢ / ٩٥ والبداية والنهاية ج ٥ / ٢٤٤ وتاريخ الخميس ج ٢ / ١٨٥ وغيرها

(٤) تاريخ ابي الفداء ج ١ / ١٦٤ وزيني دحلان ج ٣ / ٣٩٠

فقرأ عليه عمر بن قيس بن زائدة بن عاصم في المسجد ﴿وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾^(١)

وقال العباس بن عبد المطلب : إن رسول الله قد مات وإني قد رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت^(٢) .

لم ينته عمر حتى خرج العباس بن عبد المطلب على الناس فقال : هل عند أحدكم عهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وفاته فليحدثنا ؟ قالوا : لا . قال : هل عندك يا عمر من علم ؟ قال لا .

فقال العباس : اشهدوا أيها الناس إن أحدا لا يشهد على رسول الله بعهد عهد اليه في وفاته^(٣) .

والله الذي لا إله إل هو لقد ذاق رسول الله الموت^(٤) .

ولم يزل عمر يرعد ويهدد ويتكلم حتى أزيد شدقه^(٥) .

فذهب سالم بن عبيد إلى أبي بكر وكان في منزله بالسنع ، فأعلمه بموت رسول الله^(٦) .

(١) ابن سعد في طبقاته وكنز العمال ج٤/٥٣ وابن كثير ج٥/٢٤٣ وابن ماجه. والآية في سورة آل عمران ١٤٤/

(٢) رواه في التمهيد للباقلاني ص/١٩٢

(٣) ابن سعيد في طبقاته ج٢ق ٥٧/٢ وابن كثير في تاريخه ج٥/٢٤٣ والسيره الحلبية ج ٣/٣٩٠-٣٩١ وكنز العمال ج٤/٥٣

(٤) التتمه في تاريخ أبي القداء ج١/١٥٢

(٥) أنساب الاشراف ج١/٥٦٧ وابن سعد ج٢ق ٥٣/٢ق ٥٣ وكنز العمال وتاريخ الخميس ج٢/١٨٥ والسيره الحلبية ج ٣/٣٩٢

(٦) تاريخ بن كثير ج ٥/٢٤٤ وزيني دحلان ج ٣/٣٩٠ بها مش الحلبية

فأقبل أبو بكر ، فوجد عمر بن الخطاب قائما يوعد الناس ويقول : إن رسول الله حي لم يموت ، وأنه خارج إلى من أرحف به ، وقاطع أيديهم ، وضارب أعناقهم ، وصالبيهم ^(١) .

جلس عمر عندما رأى أبا بكر مقبلاً ^(٢) .

فحمد الله أبو بكر ، وأثنى عليه ثم قال : من كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ثم قرأ : ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ الخ .. ﴾ ^(٣) .

فقال عمر : هذا في كتاب الله ؟ قال : نعم ^(٤) .

إن أبا حفص لم يغير رأيه بكلام المغيرة ، ولا بتلاوة عمرو بن قيس الآية المصراحة بأن النبي يموت ، ولا باحتجاج العباس عم النبي ، كلا ! إن كل ذلك لم يؤثر في نفس عمر ، ولم يكن أبو حفص يغير رأيه بما احتجوا به ، ومن احتج ، حتى اذا رأى أبا بكر ، وسمع قوله اطمأن وهدأ وقد ذكر موقفه هذا بعد حين ، وقال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت ، حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله قد مات ^(٥) .

(١) الطبري وابن كثير وابن ابي الحديد ج ١ / ٦٠

(٢) كنز العمال ج ٤ / ٥٣

(٣) الطبقات لابن سعد والطبري ، وابن كثير ، والسيرة الحلبية وابن ماجه

(٤) التمه من طبقات ابن سعد

(٥) رواه ابن هشام والطبري وابن كثير ، وابن الأثير وابن ابي الحديد ، وصفوه الصفوة . وكنز العمال ونهاية

ليت شعري : هل كان الباعث لعمر في إشهاره السيف ، وتهديده من قال : إن رسول الله قد مات حبه لرسول الله ، وحزنه على فقدته ؟ وهل صح ما قاله البعض بأن عمر قد خبل في ذلك اليوم ؟^(١) .

أم أصاب ابن أبي الحديد حين يقول : إن عمر لما علم أن رسول الله قد مات ، خاف من وقوع فتنة في الإمامة ، وتغلب أقوام عليها ، إمّا من الانصار ، أو من غيرهم ، فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس فأظهر ما أظهر ، وأوقع تلك الشبهة في قلوبهم ، حراسة للدين والدولة ، إلى أن جاء أبو بكر^(٢) .

إننا نرى أن ابن أبي الحديد كان مصيباً في قوله : بأن عمر خاف من تغلب أقوام عليها - أي على الإمامة - إمّا من الانصار ، أو من غيرهم ، فإظهار ما أظهر وكان علي من جملة (غير الأنصار) الذين كان عمر يخاف من استيلائهم على الإمامة^(٣) .

قال الشهيد السيد محمد باقر الصدر :

بينما كان المسلمون في هذه الغمرة الطاغية ، والصمت الرهيب ، لا ينطق منهم أحد بكلمه ، وقد اكتفوا في تأبين الراحل العظيم بالدموع والحسرات ، والخشوع والذكريات ، يفاجؤون بصوت يجلجل في الفضاء ، ويقطع خيط الصمت الذي لف المجتمعين وهو يعلن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يموت

١) السيرة الخلبية وبهامشها زيني دحلان

٢) ابن أبي الحديد ج ١ / ١٢٩

٣) راجع كتاب عبد الله بن سبأ الى العلامة السيد مرتضى العسكري ص ٨٢ / ٨٧

ولا يموت ! حتى يظهر دينه على الدين كله ، وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرحف بموته ، لا أسمع رجلا يقول : مات رسول الله إلا ضربته بسيفي .

والتفت الأنظار إلى مصدر الصوت ليعرفوا القائل فوجدوا عمر بن الخطاب ! فوقف خطيبا بين الناس ، وهو يجلجل برأيه في شدة لا تقبل نزاعا وشاعت الحياة في الناس من جديد ، فتكلموا ، وتحدثوا ، في كلام عمر ، والتف بعضهم حوله ، وأكبر الظن أن قوله وقع من أكثر هم موقع الإستغراب والتكذيب .

وحاول جماعة منهم أن يجادلوه في رأيه ولكنه بقي شديدا في قوله ، ثابتا عليه ، والناس يتكاثرون حوله ، ويتكلمون في شأنه ، ويعجبون لحاله ، حتى جاء أبو بكر ، وكان حين توفي النبي في منزله بالسنع ، والتفت الى الناس وقال : من كان يعبد محمدا فإنه قد مات ، ومن كان يعبد الله فإنه حي لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا القرآن على رسلك بالقراءة والحكمة ولو لم تكن من المرسلين لكانت لك العاقبة السيئة لو لم يكن الله جازما بما كان يفعل ﴾ (١) .

وقال : ﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ (٢) .

ولما سمع عمر ذلك أذعن واعترف بموت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال : وكأنني ما سمعتها - يعني الآية - .

ونحن لا نرى في هذه القصة ما يراه كثير من الباحثين ، من أن الخليفة كان بطل ذلك الظرف العجيب ! .

(١) الزمر ٣٠

(٢) آل عمران ١٤٤

والرجل الذي تهيأت له معدات الخلافة بحكم موقفه من رأي عمر^(١) .
إلى ان قال (ره) :

الثاني : موقف عمر من مسألة وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وادعاؤه أنه لم يمّت ، ولا يستقيم في تفسيره أن نقول : أن عمر ارتبك في ساعة الفاجعة ، وفقد صوابه ، وادعى ما ادعى . لأن حياة عمر كلها تدل على أنه ليس من هذا الطراز ، وخصوصاً موقفه الذي وقفه في السقيفة ، بعد تلك القصة مباشرة ، فالذي تؤثر المصيبة عليه إلى حد تفقده صوابه لا يقف بعدها بساعة يحاجج ويجادل ، ويقاوم ويناضل .

ونحن نعلم أيضا : أن عمر لم يكن يرى ذلك الرأي الذي أعلنه في تلك الساعة الحرجة قبل ذلك بأيام أو بساعات حينما اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله) المرض وأراد أن يكتب كتابا لا يضل الناس بعده ، فعارضه عمر وقال : إن كتاب الله يكفيننا ، وإن النبي يهجر ، أو قد غلب عليه الوجع ، كما في صحاح السنة . فكان يؤمن بأن رسول الله يموت ، وأن مرضه قد يؤدي إلى موته وإلا لما اعترض عليه^(٢) .

(١) فندك في التاريخ ٥٣ / ٥٤

(٢) فندك في التاريخ ٥٧ / ٥٨

السقيفة

ودفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الإثنين حين زاغت الشمس ، فشغل الناس عن دفنه !^(١) . وقيل : عند الضحى من يوم الإثنين^(٢) .
والذي شغل الناس عن دفنه ، هو المؤامرة التي حيكت للإستيلاء على الخلافة والإمارة ! .

والاخذ والرد الذي حصل في السقيفة بين الأنصار فيما بينهم ، وبين الأنصار والمهاجرين ، بعد وصول أبي بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ، وبعد الخطب التي أُلقيت ، والكلمات التي تبادلوها والمشاورات التي حصلت بينهم وكانت الغلبة لمن سارع وبايع أولاً وهو عمر بن الخطاب ، الذي قام ليقطع النزاع ، فبايع أبا بكر وتبعه أبو عبيدة بن الجراح .

والذي ساعد في البيعة لأبي بكر هو خلاف الأنصار القديم بين الأوس والخزرج ، فقامت فئة وبايعت ، وهكذا تمت البيعة الأولى في سقيفة بني ساعدة .

وجاء الذين بايع بعضهم بعضاً في حالة من الفرح والسرور ، والتهليل والتكبير كما روي في العقد الفريد ، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد :

(١) عبد الله بن سبأ / ص ١٠٠ /

(٢) البحار ج / ٢٨ / ١٧٨

بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه ، فسمع العباس وعلي التكبير في المسجد ، ولم يفرغوا من غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ! .
فقال علي : ما هذا ؟!

فقال العباس : ما رأي مثل هذا قط ! ما قلت لك ؟! (١) .

بل تعدت الفرحة والغبطة والسرور في ذلك إلى أبعد من هذا . فبعد تعيين الخليفة الجديد جاؤا يزفونه بالاهازيب والزغاريد كما يزفون العروس ، وهذا ما روي عن الرياض النضرة ، وتاريخ الخميس : فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي تزفه زفافاً إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فصعد المنبر - منبر رسول الله - فبايعه الناس حتى أمسى وشغلوا عن دفن رسول الله ، حتى كانت ليلة الثلاثاء (٢) .

هكذا كانت الفرحة ، والغبطة والسرور في بيعة أبي بكر !! ورسول الله (صلى الله عليه وآله) ما زال مسجى ، بانتظار من يلي غسله وتكفينه وتجهيزه لمواراته حفرته .

وقد ذكر المؤرخون : عدد الذين باشروا دفن النبي (صلى الله عليه وآله) فقالو : ولي وضع رسول الله في قبره هؤلاء الرهط الذين غسلوه : العباس ، وعلي ، والفضل ، وصالح مولاه . وخلق أصحابه بينه وبين أهله فتولوا إجنانه . - أي دفنه - .

ودخل القبر : علي ، والفضل وقثم ابنا العباس ، وشقران مولاه .

(١) عبد الله بن سبأ ٩٨

(٢) عبد الله بن سبأ ٩٩

ويقال : أسامة بن زيد ، وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كله ^(١) .
وهكذا دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يحضر أيُّ من الصحابة دفنه
أو تجهيزه

وروي في كنز العمال : أن أبا بكر ، وعمر ، لم يشهدا دفن النبي (صلى الله
عليه وآله) ^(٢) .

وقالت عائشة : ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنا صوت المساحي من
جوف الليل ، ليلة الاربعاء ^(٣) .

وفي رواية أخرى عن تاريخ ابن سعد : ولم يله إلا أقاربه ، ولقد سمعت
بنو غنم صريف المساحي حين حضر ، وأنهم لفي بيوتهم ^(٤) .

وقال شيوخ الأنصار من بني غنم سمعنا صوت المساحي آخر الليل ^(٥) .
ومجمل القول - حسب هذه الروايات المروية من طرق غير شيعية أهل
البيت (عليهم السلام) - أن النبي (صلى الله عليه وآله) توفي ، وبعد أن تأكدوا من وفاته
ذهبوا ، وأتموا الموأمة التي دبروها ، وخططوا لها ، وسعوا لها سعيها ،
وأظهروا فرحهم وسرورهم بوصولهم إلى ما أرادوا ودبروا ، وكان هذا
الفرح والسرور علنياً وفي المسجد ، وعلى مرأى ومسمع من الجميع .

(١) عبد الله بن سبأ ١٠١

(٢) نفس المصدر

(٣) هناك ثمانية مصادر من تواريخ أهل السنة ذكرت هذه الرواية راجع كتاب عبد الله بن سبأ

(٤) عبد الله بن سبأ /ص ١٠٢

(٥) نفس المصدر ، ونقل العلامة الأميني هذه الروايات من مصادرها في كتابه الغدير ج ٧/ص ٧٤/٨٠

بعد هذا كله ذهبوا إلى بيوتهم فرحين بالفوز والنجاح الذي حققوه ،
ونسوا أو تناسوا أمر نبيهم ، الذي هو فخرهم ، وشرفهم ، وعزهم ،
وتركوه مسجى لم يدفن إلى ثلاثة أيام ! وحتى دفن آخر الليل من يوم
الاربعاء ، وباليات المسألة وقفت عند هذا الحد . بل أجبروا الناس على
بيعتهم التي زعموا أنها شورى فهددوا ، وتوعدوا وضربوا كل من خالفهم .
وللعلامة الشيخ الأميني (ره) في غديره العذب ، كلام جميل في هذا
المضمار ، يختصر لنا بيعة أبي بكر ، وما جرى فيها ، وما جرى بعدها من
الويلات والمصائب التي مازلنا نعيش تبعاتها إلى يومنا الحاضر .

قال : ونحن لا نحوم حول موضوع الخلافة ، وإنها كيف تمت ؟ كيف
صارت ؟ كيف قامت ؟ كيف دامت ؟

وإن الأراء فيها هل كانت حرة ؟ ووصايا المشرع الأعظم هل كانت
متبعة ؟ أو كانت للاهواء والشهوات يوم ذاك حكومة جبارة ، هي تبطش
وتقبض ، وهي ترفع وتخفض ، وهي ترتق وتفتق ، وهي تنقض وتبرم ، وهي
تحل وتعقد ، لا يهمنا البحث عن هذه كلها ، بعدما سمعت أذن الدنيا
حديث السقيفة ، مجتمع الثويلة ، وقرطت نبأ تلك الصاخة الكبرى .
والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار . إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها
كاذبة ، خافضة رافعة .

ما عساني أن أقول ؟ والتاريخ بين يدي الباحث يدرسه ، بأن كل رجل
من سواد الناس يوم ذاك كان يرى الفوز والسلامة لنفسه في عدم التحزب
بأحد من تلك الاحزاب المتكثرة ، وترك الإقتحام في تلك الثورات النائرة ،

وكانت الخواطر تهدده بالقتل مهما أبدى الشقاق ، أو التحيز إلى فئة دون فئة . بعدما رأت عيناه فرند^(١) الصارم المسلول ، وسمعت أذناه نداء محز^(٢) يتوعد بالقتل كل قائل بموت رسول الله .

ويقول : لا أسمع رجلا يقول : مات رسول الله إلا ضربته بسيفي .
أو يقول : من قال : إنه مات علوت رأسه بسيفي . وإنما ارتفع إلى السماء^(٣) يصيح :

مَنْ قَالَ نَفْسَ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ عُلُوتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أَبْرِيهَا^(٤)

بعدها تشازرت الأمة ، وتلاكمت ، وتكالمت ، وقام الشيخان يعرض كل منهما البيعة لصاحبه . قبل أخذ الرأي من أي أحد . كأن الأمر دبر بليل ، فيقول هذا لصاحبه أبسط يدك فلا بايعك . ويقول الآخر : بل أنت . وكل منهم يريد أن يفتح يد صاحبه ويبايعه ، ومعهما أبو عبيدة الجراح ، حفار القبور بالمدينة ، يدعوا الناس اليهما^(٥) .

والوصي الأقدس ، والعترة الهادية ، وبنو هاشم ، ألهام النبي الأعظم ، وهو مسجى بين أيديهم ، وقد أغلق دونه الباب أهله وخلق أصحابه بينه وبين أهله فولوا إجنانه ومكت ثلاثة أيام لا يدفن أو من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء ، أو ليلته ، فدفنه أهله ولم يله الا أقاربه ، دفنوه في الليل ، أو في

(١) أي السيف .

(٢) أي الرجل الغليظ الكلام

(٣) القائل عمر بن الخطاب

(٤) من قصيدة الحافظ ابراهيم شاعر النيل

(٥) تاريخ الطبري ج ٣ / ١٩٩

آخره ، ولم يعلم به القوم الا بعد - سماع - صريف المساحي ، وهم في بيوتهم من خوف الليل ، ولم يشهد الشيخان دفنه (صلى الله عليه وآله) .

بعدهما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر ، وقد نبر حتى أزبد شذقاه ^(١) .

بعدهما قرعت سمعه عقيرة صحابي بدري عظيم - الحباب بن المنذر - وقد انتضى سيفه على أبي بكر ويقول : والله لا يرد عليّ أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف ، أنا جزيلها المحكك ^(٢) وعذيقها المرجّب ، أنا أبو شبل في عرينه ، الأسد يعزى إلى الأسد .

فيقال عليه : إذن يقتلك الله فيقول : بل إياك يقتل أو بل أراك تقتل ، فأخذ ووطيء في بطنه ، ودس في فيه التراب ^(٣) .

بعدهما شاهد ثالثاً : يخالف البيعة لأبي بكر وينادى : أما والله أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل ، وأخضب منكم سناني ورحمي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي ^(٤) .

بعدهما رأى رابعاً : يتذمر على البيعة ، ويشب نار الحرب بقوله : إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم .

(١) طبقات ابن سعد وشرح ابن أبي الحديد ج ١/١٣٣

(٢) مثل يضرب لصاحب الراى الذي يعتمد عليه

(٣) مصادرها كثيرة جدا انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢/١٦

(٤) الامامة والسياسة ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الاثير ، وشرح ابن أبي الحديد ، والسيرة الحلبية

بعدهما نظر إلى مثل سعد بن عبادة أمير الخزرج وقد وقع في ورطة الهون ينزى عليه وينادى عليه بغضب : اقتلوا سعداً قتله الله إنه منافق أو صاحب فتنة . وقد قام الرجل على رأسه ، ويقول : لقد هممتُ أن أطأك حتى تندر عيونك ^(١) .

بعدهما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحية عمر قائلاً : والله لو خفضتَ منه شعرة ما رجعتَ وفيك جارحة ، أو لو حصصتَ منه شعرة ما رجعتَ وفيك واضحة ^(٢) .

بعدهما عاين الزبير : وقد اختزط سيفه ويقول : لا أغمده حتى يبائع عليّ فيقول عمر : عليكم بالكلب ، فيؤخذ السيف من يده ويضرب به الحجر ويكسر ^(٣) .

بعدهما أبصر مقداداً ! ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره . أو انظر إلى الحباب بن المنذر وهو يحطم أنفه ، وتضرب يده ^(٤) .

أقول : بعد هذا التصوير الرائع ملخصاً الروايات التاريخية التي تحكي لنا عما جرى عند وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وكيف تركوه ثلاثة أيام بلا دفن ، وذهابهم إلى البيعة في السقيفة ، وخطبهم وتهديدهم كل من خالف البيعة . وإجبارهم الناس بالتهيب والقوة .

(١) مسند أحمد ، العقد الفريد ، تاريخ الطبري ، سيرة ابن هشام ، الرياض النضرة ، السيرة الحلبية

(٢) تاريخ الطبري ، السيرة الحلبية

(٣) الامامة والسياسة ، والطبري ، الرياض النضرة ، وشرح النهج للحديدي

(٤) الغدير ج ٧ / ٧٤ / ٧٥

٦٠

فهل بعد هذا يمكن أن يقال : إن البيعة كانت شورى ؟ وخلافة إجماعية
من الأمة ؟ وليس فيها معارض ، أو مناوئ ؟ !.

موقف فاطمة الزهراء (عليها السلام)

من الأحداث

عندما رأت فاطمة الزهراء (عليها السلام) موقف الأمة من وفاة أبيها ، وما جرى من المؤامرة التي دبّرت ونفذت بدقه متناهية ، وعدم حضورهم دفن والدها ، نبي الأمة ، ورسول الرحمة (صلى الله عليه وآله) ، مع أنه بقي ثلاثة أيام بدون دفن ، ليتسنى للذين تلهّوا بما صَبّوا إليه من أمر الخلافة ، العودة الى رشدهم وحضور دفن نبيهم على الأقل ، ولكن التأخير لم يجدِ نفعاً بل بقوا على ما هم عليه من الغي والضلال . فما كان من فاطمة (عليها السلام) إلا أن أرسلت إلى الخليفة الغاصب ، تطالبه بميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وما لها من الحقوق ، وهذه كانت الخطوة الأولى من الاسلوب الذي انتهجته (سلام الله عليها) في مطالبتها بحقوقها (١) .

وعندما رأت أنها منعت من حقها بواسطة الرسول ، قامت هي بنفسها عليها السلام بالمطالبة بحقها بالميراث ، وما كان من الخليفة إلى أن قطع الطريق من أساسه ، وادعى انه سمع حديثاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ان الانبياء لا تورث إلا العلم والحكمة .

ولنرو ما ورد في منعها من إرثها كما في صحيح البخاري في ثلاث مواضع ولنكتف بذلك لأن البخاري هو حجة دامغة عند أتباعه :

روي في كتاب الخمس ، الحديث الثاني ، بسنده عن عروة بن الزبير ، أن عائشة أخبرته أن فاطمة (عليها السلام) ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) مما أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، فغضبت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهجرت أبا بكر ، فلم تنزل مهاجرته حتى توفيت ... وكانت فاطمة (عليها السلام) تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خير وفدك وصدقة بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذلك (١) .

وفي حديث آخر أيضاً من صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق في باب غزوة خيبر ، روي بسنده عن عروة عن عائشة ، أن فاطمة (عليها السلام) بنت النبي (صلى الله عليه وآله) ، أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها ... إلى أن قال : فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة (عليها السلام) منه شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرت ، فلم تكلمه حتى توفيت (٢) .

وفي حديث ثالث : في كتاب الفرائض باب قول النبي (صلى الله عليه وآله) : لا نورث ، روى بسنده عن عائشة أن فاطمة (عليها السلام) والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك ، وسهمهما من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول

(١) كتاب السبعة من السلف / ص ٢٠ ودلائل الصدق ج ٣ / ٤٨

(٢) نفس المصدر

الله (صلى الله عليه وآله) يقول : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، (إلى ان قال) :
فهجرته فاطمة (عليها السلام) فلم تكلمه حتى ماتت (١) .

وقد روى هذه الأخبار كثير من أصحاب الصحاح ، والكتب المعتمدة عند
أهل السنة أمثال صحيح مسلم والترمذي ومسنند أحمد وسنن البيهقي (٢) .
وبعد ان طالبت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بإرثها وبحقها من تركة رسول الله
(صلى الله عليه وآله) ووجدت التصميم والإصرار على حرمانها من حقوقها ،
عادت تطالب بالنحلة التي نحلها إياها أبوها النبي (صلى الله عليه وآله) في حياته ،
وهي فدك .

روى الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل عن أبي سعيد الخدري أنه قال
لما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿ قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ (٣) . دعا
فاطمة ، فأعطاهما فدكاً والعوالي .، وقال (صلى الله عليه وآله) هذا قسم قسمه الله
لك ولعقبك .

وقال ياقوت الحموي في معجمه : فدك : هي قرية تبعد عن المدينة مسافة
يومين أو ثلاثة ، أرضها زراعية خصبة ، فيها عين فوارة ، ونخيل كثير (٤) .
وروى الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص (٥) بإسناده عن أبي عبد الله
الصادق (عليه السلام) أنه قال : لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجلس أبو

(١) نفس المصدر

(٢) راجع كتاب السبعة من السلف للسيد المقدس الفيروز آبادي

(٣) الروم ٣٨

(٤) فاطمة الزهراء في القرآن / ص ١٣٥

(٥) ص ١٧٨

بكر مجلسه ، بعث إلى وكيل فاطمة (صلوات الله عليها) فأخرجته من فدىك فأتته فاطمة (عليها السلام) فقالت : يا أبا بكر ادعيت أنك خليفة أبي ، وجلست مجلسه ، وانك بعثت إلى وكيلي فأخرجته من فدىك ، وقد تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تصدق بها عليّ ، وأن لي بذلك شهوداً ، فقال لها : إن النبي لا يورث .. فرجعت الى علي (عليه السلام) فأخبرته ، فقال : ارجعي إليه ، وقولي له : زعمت ان النبي (صلى الله عليه وآله) لا يورث ، وورث سليمان داود ، وورث يحيى زكريا ، وكيف لا أرث أنا أبي ؟ فقال عمر : أنت معلّمة ، قالت : وإن كنت معلّمة ، فإنما علمني ابن عمي وبعلي ، فقال أبو بكر : فإن عائشة تشهد وعمر أنهما سمعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول أن النبي لا يورث فقالت : هذه أول شهادة زور شهد بها في الاسلام ثم قالت : فإن فدىك إنما هي صدق بها عليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولي بذلك بينة ، فقال لها : هلمي بينتك قال : فجاءت بأم أيمن ، وعلي (عليه السلام) فقال أبو بكر : يا أم أيمن انك سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لفاطمة ؟؟ فقالا : سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة .

ثم قالت أم أيمن : فمن كانت سيدة نساء أهل الجنة تدعي ما ليس لها ؟ وأنا امرأة من أهل الجنة ، ما كنت لأشهد إلا بما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال عمر : دعينا يا أم أيمن من هذه القصص ، بأي شيء تشهدان ؟ فقالت : كنت جالسة ببيت فاطمة (عليها السلام) ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس حتى نزل عليه جبرائيل فقال : يا محمد قم فإن الله تبارك

وتعالى أمرني أن أخط لك فدكاً بجناحي ، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع جبرائيل (عليه السلام) ، فما لبث أن رجع ، فقالت فاطمة (عليها السلام) : يا أبا أيمن ذهبت ؟ فقال : خط جبرائيل (عليه السلام) لي فدكاً بجناحيه ، وحدّ لي حدودها ، فقالت له : يا أبا أيمن أخاف العيلة والحاجة من بعدك ، فصدّق بها عليّ ، فقال : هي صدقة عليك ، فقبضتها ، قالت نعم ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا أم أيمن اشهدي ، ويا علي اشهد .

فقال عمر : أنت امرأة ، ولا تجيز شهادة امرأة وحدها ، وأما علي فيجر إلى نفسه ، قال : فقامت مغضبة وقالت : اللهم إنهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها ، فاشدد وطأتك عليهما (١) .

وروي في الإحتجاج (٢) : بالإسناد إلى أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال : لما بويح أبو بكر ، واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها . فجاءت فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى أبي بكر ثم قالت : لِمَ منعتني ميراثي من أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخرجت وكيلي من فدك ، وقد جعلها لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى ؟

فقال : هاتي على ذلك بشهود ، فجاءت بأُم أيمن ، فقالت له أم أيمن : لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أنشدك بالله أألسنت تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : أم أيمن امرأة

(١) اعلموا اني فاطمة ج ٣ / ٦٤٧

(٢) ج ١ / ٩٠

من أهل الجنة ؟ فقال : بلى . قالت : فأشهد أن الله غز وجل أوحى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ (١) .

فجاء علي (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتاباً ودفعه إليها ، فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟ فقال : إن فاطمة (عليها السلام) ادعت في فديك ، وشهدت لها أم أيمن وعلي ، فكتبت لها ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ، ومزقه ، فخرجت فاطمة (عليها السلام) تبكي .

فلما كان بعد ذلك جاء علي (عليه السلام) إلى أبي بكر وهو في المسجد ، وحوله المهاجرون والأنصار فقال : يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد ملكته في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقال أبو بكر : هذا فيئ للمسلمين ، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها ، وإلا فلا حق لها فيه . فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين ؟ قال : لا . قال (عليه السلام) فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ، ثم ادعيت أنا فيه ، من تسأل البينة ؟ قال : إياك أسأل البينة . قال (عليه السلام) : فما بال فاطمة (عليها السلام) سألتها البينة على ما في يدها ، وقد ملكته في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبعده ، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادعوه شهوداً ، كما سألتني على ما ادعيت عليهم ؟ فسكت أبو بكر ، فقال عمر : يا علي ! دعنا من كلامك ، فإننا لا نقوى على حجتك ، فإن أتيت بشهود عدول ، وإلا فهو فيئ للمسلمين ، لا حق لك ولا لفاطمة فيه . فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : يا أبا بكر تقرأ كتاب

الله ؟ قال نعم قال (عليه السلام) : أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١) .
 فيمن نزلت ، فينا أم في غيرنا ؟ قال : بل فيكم ، قال (عليه السلام) : فلو أن
 شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفاحشة ، ما
 كنت صانعاً بها ؟ قال كنت أقيم عليها الحد ، كما أقيم على نساء
 المسلمين .

قال (عليه السلام) : إذن كنت عند الله من الكافرين ، قال : ولم ؟
 قال (عليه السلام) : لانك رددت شهادة الله لها بالطهارة ، وقبلت شهادة
 الناس عليها ، كما رددت حكم الله ، وحكم رسوله ، أن جعل لها فداً قد
 قبضته في حياته ، ثم قبلت شهادة أعرابي بائل على عقيبه ، عليها ، وأخذت
 منها فداً ، وزعمت أنه فيئ للمسلمين ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه
 وآله) : البينة على المدعي ، واليمين على المدعى عليه . فرددت قول رسول
 الله (صلى الله عليه وآله) : البينة على من ادعى ، واليمين على من ادعى عليه .
 قال : فدمدم الناس وانكروا ، ونظر بعضهم الى بعض ، وقالوا : صدق والله
 علي بن ابي طالب (عليه السلام) ورجع إلى منزله (٢) .

قال في كتاب إعلموا أني فاطمة : ما جاء عن الياقوت الحموي في معجم
 البلدان : أن فداً ، هي قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة

(١) الاحزاب ٣٣

(٢) اعملوا اني فاطمة ج ٣ / ٦٥١

...فهي مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكانت خالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قيل لَمَّا نزل قوله تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾^(١) .

استوضح رسول الله (صلى الله عليه وآله) من جبرائيل مراد الآية ؟ .

فقال له : إعط فاطمة فدك لتكون بلغة لها ولأولادها ، وذلك عوض ما بذلته أمها خديجة من أموال ، وجهود في سبيل الإسلام . وبقيت فدك عند فاطمة ، حتى توفي أبوها ، فانتزعتها أبو بكر منها ، مبررا عمله هذا بحديث انفرد هو بروايته عن النبي حيث لم يسمعه أحد من أهل البيت ، ولا من الأصحاب ، وإنما الحديث فقط رواه أبو بكر وليس غيره ، وهو : (نحن معاشر الانبياء لا نورث) . ولكن ما حزّ أبا بكر لو أنه ترك فاطمة وشأنها تتصرف في فدك ؟^(٢) .

وقد أوضح العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين موضوع فدك بقوله (ره) : وذلك أن الله عز سلطانه ، لما فتح لعبده وخاتم رسله حصون خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك ، فنزلوا على حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) صاغرين ، فصالحوا على نصف أرضهم ، فقبل ذلك منهم ، فكان نصف فدك ملكاً خالصاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب ، وهذا مما أجمعت الأمة عليه بلا كلام لأحد منها في شيء منه ، ثم لَمَّا أنزل الله عز وجل عليه : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ أنحل فاطمة فدكاً ، فكانت في يدها حتى انتزعت منها لبيت المال . هذا ما

(١) الإسراء ٢٦

(٢) اعلّموا النبي ف ج ٣ / ٦٧٠

أدعته الزهراء بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأوقفت في سبيله موقف المحاكمة بإجماع الأمة .

وقد علم المسلمون كافة ان الله عز وجل اختارها من نساء الأمة . كما اختار ولديها من الابناء ، واختار بعلمها من الانفس ، فهم الخيرة مع رسول الله للمباهلة يوم أوحى الله سبحانه اليه : ﴿ فمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (١) .

وقد فهم الحقيقة في منع أبي بكر لفاطمة (عليها السلام) من حقها في فذك أكثر المؤرخين ، ولكنهم ، لسبب أو لآخر ، لم يستطيعوا المجاهرة أو التصريح .

ولقد روي ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة (٢) الحوار الذي دار بينه وبين علي بن الفارقي - وهو أحد شيوخه ، وكان مدرسا في مدرسة بغداد الغربية - إذ سأل ابن أبي الحديد شيخه أحمد بن الفارقي قائلاً : أكانت فاطمة الزهراء صادقة في دعواها النحلة ؟ قال : نعم ، قال له ابن أبي الحديد : فلمَ لم يدفع أبو بكر فذكاً وهي عنده صادقة ؟ فتبسم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسننا مع ناموسه ، وحرمة ، وقلة دعابته ، قال لو أعطها اليوم فذكاً بمجرد دعواها لجاءت اليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ، ولم يكن يمكنه حينئذ الإعتذار بشيء ، لأنه يكون قد سجل على

(١) اعلموا اني فاطمة ج ٩ / ٢٥٧ والآية من سورة آل عمران / ٦١

(٢) ج ١٦ / ٢٨٤

نفسه بأنها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان ، من غير حاجة الى بينة ولا شهود (١) .

وقال شيخ الطائفة ، الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) في تلخيصه للشافي :
ومما طعنوا (٢) فيه أيضا : ما كان منه من منع فاطمة (عليها السلام) فذكاً ، وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) أعطاها إياها في حياته ، وتصرف فيها وتولاها .
وكان ذلك عند نزول قوله تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ (٣) .

وأنه دعاها وأعطاها إياها : روى ذلك أبو سعيد الخدري ، وجماعة من الصحابة ونحن نعلم أنها ما ادعت ذلك الا لأنها كانت محقة ، وأن مانعها متعنت ، عادل عن الصواب ، لأنها لا تحتاج إلى شهادة ، ولا بينة ، لقيام الدلالة على عصمتها من الغلط ، ومن فعل القبيح ، ومن كانت هذه صفته لا يحتاج الى بينة فيما يدعيه .

والذي يدل على عصمتها (عليها السلام) قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وقد بينا أن هذه الآية تتناول جماعة منهم فاطمة ، وأنها تدل على عصمة من تناولته ، وعلى طهارته ويدل على عصمتها أيضا : قول النبي (صلى الله عليه وآله) : فاطمة بضعة مني ، يؤذيها ما يؤذيها ، فمن آذى فاطمة فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل

(١) اعلموا اني فاطمة ج ٩ / ٢٥٩

(٢) في ذكر المطاعن والمآخذ على أبي بكر .

(٣) الاسراء ٢٦

وهذا يدل على عصمتها لأنها لو كانت ممن تقارف الذنوب ، لم يكن من يوذيتها مؤذياً له (صلى الله عليه وآله) على كل حال .

والذي يدل على صحة ما ذكرناه أيضا : أنه لا خلاف بين أهل النقل في أن أعرابياً نازع النبي في ناقة ، فقال (صلى الله عليه وآله) : هذه لي ، وقد خرجت اليك من ثمنها ، فقال الأعرابي : ومن يشهد لك بذلك ؟ فقام خزيمه بن ثابت فقال : أنا أشهد بذلك فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) : من أين علمت أحضرت ابتياعي لها ؟ فقال : لا ، ولكني علمت ذلك من حيث علمت أنك رسول الله ، فقال (صلى الله عليه وآله) : قد أجزت شهادتك وجعلتها شهادتين ! فسمي خزيمه (ذا الشهادتين) بذلك (١) .

وهذه قصة مشهورة ، وهي مشابهة لقضية فاطمة (عليها السلام) . يشهد بذلك من حيث علم أنه رسول الله ، ولا يقول إلا حقا . وأمضى النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك على هذا الوجه ولم يدفعه عن الشهادة من حيث لم يحضر ابتياعه . فقد كان يجب على من علم أن فاطمة (عليها السلام) لا تقول إلا حقا ، ألا يستظهر عليها بطلب شهادة أو بيّنة .

هذا ، وقد روي : أن أبا بكر لما شهد لها أمير المؤمنين (عليه السلام) كتب بتسليم فدى إليها ، فاعترض عمر قضيته ، وخرق ما كتبه .

وقد روي بالإسناد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال : جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت : إن أبي أعطاني فدى ، وعلي يشهد لي ، وأم أيمن . قال : ما كنت لتقولين على أيك إلا الحق ، قد أعطيتكها . ودعا

(١) راجع الاصابة لابن حجر ج ١ / ٤٢٥ وأسد الغاية ج ٢ / ١١٤ وسنن ابن داود وغيرها من كتب التاريخ

بصحيفة من آدم ، فكتب لها فيها فخرجت ، فلقيت عمر ، فقال : من أين جئت يا فاطمة ؟ قالت من عند أبي بكر ، أخبرته أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطاني (فدك) وعلي يشهد لي وأم أيمن ، فأعطانيها ، وكتب بها لي فأخذ عمر منها الكتاب ، ثم رجع إلى أبي بكر ، فقال أعطيت فاطمة فدك وكتبت لها ؟ قال : نعم قال عمر : علي يجر الى نفسه ، وأم أيمن امرأة . وبصق في الكتاب ، ومحا (١) .

عطايا أبو بكر ، وما آل اليه فدك .

نقل شيخنا المظفر في دلائل الصدق عن صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد : أن أبا بكر أعطى جابر بن عبد الله في أيام وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) لثا جاء من مال البحرين ، ألفاً وخمسمائة درهم . وفي كنز العمال : عن ابن سعد : سمعت منادي أبي بكر ينادي بالمدينة حين قدم عليه مال البحرين : من كانت له عدة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فليأت .

فيأتيه رجال فيعطيههم ، فجاءه أبو بكر بشر المازني فقال : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي : إذا جاءنا شيء فائتنا : فأعطاه أبو بكر حفتين أو ثلاثا ، فوجدناها ألفاً وأربعمائة .

(١) تلخيص الشافعي ج ٣ / ١٢١ / ١٢٥ وراجع دلائل الصدق وتعرف على رأي العلامة الحلبي والشيخ المظفر في

وروي في الإستيعاب بترجمة معاذ : أنه مكث باليمن أميراً وكان أول من
 اتجر بمال الله ، فمكث حتى أصاب ، وحتى قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله)
 فلما قدم ، قال عمر لأبي بكر : أرسل الى هذا الرجل ، فدع له ما يعيشه ،
 وخذ سائرته منه - إلى أن قال - فقال أبو بكر : لا آخذ منك شيئاً قد وهبته
 لك .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد عن الجوهري في كتاب السفينة أن النبي
 (صلى الله عليه وآله) بعث أبا سفيان ساعياً ، فرجع من سعائته وقد مات رسول
 الله (صلى الله عليه وآله) فقال : من ولي بعده ، قيل : أبو بكر ، قال : أبو فضيل ؟
 قالوا نعم . - إلى أن قال - فكلم عمر أبا بكر فقال : إن أبا سفيان قد قدم
 وإننا لا نأمن من شره ، فدفع له ما في يده فتركه فرضي .

وأنت تعلم أن مال السعاية التي يوجه بها أبو سفيان ، ويرشى به في أمر
 الخلافة ، ويرضيه ممن ازدراه ، واستصغره هو من أكثر الأموال (١) .
 وقال : إن ما كان ينفق على أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) أكثر بكثير من
 هذه المبالغ التي ذكرت .

وذكر أيضاً في كتاب دلائل الصدق : ان منطقة فدك صارت من مختصات
 أبو بكر في خلافته

وروي عن السيوطي ، عن أبي الطفيل قال : جاءت فاطمة إلى أبي بكر
 تطلب ميراثها من النبي ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله يقول : إن الله

(١) دلائل الصدق ج ٣ / ٥١ / ٥٢ وفدك في التاريخ / ٦٥

عز وجل إذا أطعم نبياً طعماً فهي للذي يقوم بعده . وهكذا كانت لعمر من بعد أبي بكر كما هو ظاهر مما ذكر في كنز العمال : عن أحمد ، وأبي داود وأبن جرير ، والبيهقي^(١) .

فدك في عهد حكام بني امية

نقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن كتاب السقيفة للجوهري قال :.. فلما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان ، أقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وأقطع عمر بن عثمان بن عفان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ، وذلك بعد موت الحسن بن علي (عليهما السلام) فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم في أيام خلافته ، فوهبها لعبد العزيز ابنه ، فوهبها عبد العزيز لإبنه عمر بن عبد العزيز . فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، كانت أول ظلامة ردها ، دعا حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقيل : بل دعا علي بن الحسين (عليهما السلام) وكانت بيد أولاد فاطمة (عليها السلام) مدة ولاية عمر بن عبد العزيز^(٢) .

وروى في تلخيص الشافعي : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى واليه على المدينة يرد فدك إلى ذرية فاطمة (عليها السلام) فكتب اليه والي المدينة : إن فاطمة (عليها السلام) قد ولدت في آل عثمان ، وآل فلان ، فعلى من أردّ منهم ؟ فكتب إليه عمر :

(١) دلائل الصدق ج٣ / ٥٤

(٢) اعلموا اني فاطمة ج٣ / ٦٥٤

أمّا بعد ، فاني لو كتبت اليك أمرك أن تذبح شاة ، لسألتني : جماء أو قرناء ؟ أو كتبت اليك أن تذبح بقرة ، لسألتني : ما لونها ؟!

فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة من علي (عليهما السلام) . قال أبو المقداد : فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبد العزيز ، وعاتبوه فيه وقالوا : هيجت فعل الشيخين . وخرج اليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة ، فلما عاتبوه على فعله . قال إنكم جهلتم وعلمت ، ونسيتم وذكرت ، أن أبا بكر محمد بن عمر بن حزم حدثني ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : فاطمة بضعة مني ، يسخطني ما أسخطها ، ويرضيها ما أرضاها . وأن فداً كانت صافية على عهد أبي بكر ، ثم صار أمرها الى مروان ، فوهبها لعبد العزيز أبي ، فورثتها أنا واخواني ، فسألتهم أن يبيعوني حصتهم منها ، فمنهم من باعني ، ومنهم من وهب لي ، حتى استجمعتها ، فرأيت ان أردّها على ولد فاطمة .

قالوا : فإن أبيت إلا هذا فأمسك الأصل ، وأقسم الغلّة . ففعل (١) . وقد روى ذلك في كشف الغمة ، وذكر أنه عندما اجتمع أهل الشام وعلماء السوء عند عمر بن عبد العزيز وعاتبوه على رد فداً إلى ذرية فاطمة (عليها السلام) قال لهم : قد صح عندي وعندكم أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ادعت فداً ، وكانت في يدها ، وما كانت لتكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع شهادة علي وأم أيمن وأم سلمة ، وفاطمة عندي صادقة فيما تدعي .

وان تقم البينة وهي سيدة نساء أهل الجنة ، فأنا اليوم أردّها على ورثتها
أتقرب بذلك إلى رسول الله ، وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين
يشفعون لي يوم القيامة ، ولو كنت مكان أبي بكر ، وادعت فاطمة كنت
أصدقها على دعواها ، فسلمها إلى محمد بن علي الباقر (عليهم السلام) وعبد الله
بن الحسن ، فلم تنزل في أيديهم إلى أن مات عمر بن عبد العزيز (١) .

وروى أن المأمون العباسي أرجعها في زمانه إلى ورثة فاطمة (عليها السلام)^(٢)
هذا ملخص لقصة فذك ، وما جرى عليها وكيف انتقلت من حاكم إلى
حاكم ومن أمير إلى أمير منهم الغاصب ، ومنهم المنصف .
ومن أراد التوسعة في ذلك ، فليرجع الى كتب السير ، والمطولات من
التواريخ .

وعندما تبين لفاطمة الزهراء (عليها السلام) أن القوم أجمعوا على غصب حقها
ولم يغضبوا غيرها بل كانوا من الأسخياء مع غيرها ، عمدت إلى خطبتها
التي خطبتها في المسجد ، وأمام جميع الناس لتكشفهم على حقيقتهم أمام
أنفسهم لأنهم أمام الله والتاريخ والناس مكشوفون .

(١) كشف الغمة ج ٢ / ١١٦

(٢) تلخيص الشافي ج ٣ / ١٢٩

خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد أمام الصحابة

روى في كتاب الاحتجاج للشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ره) عن عبد الله بن الحسن ، بإسناده عن آبائه (عليهم السلام) : أنه لما أجمع أبو بكر وعمر ^(١) على منع فاطمة (عليها السلام) فداكاً ، وبلغها ذلك لاثت خمارها ^(٢) على رأسها ، واشتملت بجلبابها ^(٣) وأقبلت في لمة ^(٤) من حفدتها ، ونساء قومها ، تطأ ذيوها ^(٥) .

ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ^(٦) . فجلست ، ثم أنت أنة ، أجهش القوم لها بالبكاء ، فارتج المجلس ، ثم أمهلت هنيئة ، حتى إذا سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم ، افتتحت الكلام بحمد الله ، والثناء عليه ، والصلاة على رسوله (صلى الله عليه وآله) ، فعاد القوم في بكائهم ، فلما أمسكوا ، عادت في كلامها ، فقالت (عليها السلام) :

(١) أي أحكم النية والعزيمة

(٢) لبست ثيابها والخمار هو غطاء الوجه

(٣) الرداء والإزار الذي يغطي كل الجسد

(٤) جماعة من النساء الهاشميات

(٥) أي أن ثيابها كانت طويلة حتى لا يرى منها شيء ، وذيوها أي أطراف الثوب

(٦) أي علقث بينها وبينهم ازار وغطاء ليحجبها عنهم

الأصل

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما أهدى ، والثناء بما قدّم ، من عموم نعم ابتداها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولها ، جمّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الإدراك أبدها ، وندبهم لإستزادتها بالشكر لإتصافها ، واستحمد إلى الخلائق بإجزائها ، وثنى بالنذب إلى أمثالها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها ، وضمت القلوب موصولها ، وأثار في التفكير معقولها ، والممتنع من الأبصار رؤيته ، ومن الألسن صفتها ، ومن الأوهام كيفيته ، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها وأنشأها بلا احتذاء ، أمثلة امثلها ، كونها بقدرته ، وذراها بمشيئته ، من غير حاجة منه الى تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، إلا تثبيتاً لحكمته وتبييناً على طاعته ، وإظهاراً لقدرته ، وتعبداً لبريته ، وإعزازاً لدعوته .

ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، زيادةً لعباده من نعمته ، وحياسةً لهم إلى جنته .

وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله ، اختاره قبل أن أرسله ، وسماه قبل أن اجتبله ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علماً من الله تعالى بما يل الامور وإحاطةً بحوادث الدهور ومعرفةً بمواقع المقدور .

ابتعثه الله إتماماً لامره ، وعزيمةً على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير
رحمته ، فرأى الأمم فرقا في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدةً لأوثانها ،
منكرةً لله مع عرفانها ، فانار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ظلمها ،
وكشف عن القلوب بهمها ، وجلى عن الأبصار غممها ، وقام في الناس
بالهداية ، وأنقذهم من الغواية ، وبصّرهم من العماية ، وهداهم إلى الدين
القوم ، ودعاهم إلى الصراط المستقيم .

ثم قبضه الله إليه قبض رافةٍ واختيار ، ورغبةٍ وإيثار ، فمحمدٌ (صلى الله
عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة ، قد حف بالملائكة الأبرار ،
ورضوان الرب الغفار ، ومجاورة الملك الجبار ، صلى الله على أبي نبيه ،
وأمينه على الوحي وصفيه ، وخيرته من الخلق ورضيّه ، والسلام عليه
ورحمة الله وبركاته .

الشرح

ولنبدا بشرح بعض كلمات تلك الخطبة التي أظهرت مدى بلاغة وفصاحة الزهراء (عليها السلام) ، وعمقها في فهم القرآن وأحكامه ، وسيرة وسنة أبيها سيد الانام (صلى الله عليه وآله) .

وهذا ما سيظهر للمتأمل بكلامها (سلام الله عليها) . وهذه الخطبة من الأهمية بمكان بحيث : إن مشايخ آل أبي طالب يروونها عن آبائهم ، ويعلمونها أبناءهم ، وأن مشايخ الشيعة تأسّوا بأئمتهم الأطهار ورووا هذه الخطبة المباركة على مرور الزمان . قالت عليها السلام :

[الحمد لله على ما أنعم]

شكر المنعم من الواجبات التي أوجبها العقل والدين ، ونعم الله سبحانه أكثر من أن تحصى أو تعد كالحياة والصحة والهداية ، ونحوها ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار ﴾ (١) .

[وله الشكر على ما أنعم]

هناك نعم لله تعالى ظاهرة ، وهناك نعم باطنة ، وهي التي أهدمنا إياها
وأعطانا قابلية فهمها وتمييز خيرها وشرها ، كالعلم والمعرفة .

[والثناء بما قدّم]

وهناك نعم قدّمها الله تعالى في الدنيا ، وهناك نعم أخرها للآخرة ، وهي
الجنة والنعيم الدائم وهي الأهم .

[من عموم نعم ابتداها]

نعمُ الله تعالى منها ما يأتي عن طلب ، ومنها ما يأتي بدون طلب .
الله سبحانه يعطي الناس ابتداء سواء طلبوا ذلك أم لا ، وسواء كانوا
يستحقون ذلك أم لا : فالماء والكأ والهواء والرزق والدنيا كلها أعطها الله
جميع مخلوقاته . حتى الملحدون والكفار ، لهم الدنيا ، وحتى الوحوش
والحشرات لهم الدنيا . لان الدنيا لا قيمة لها عند الله تعالى ، وقد قال رسول
الله (صلى الله عليه وآله) : لو كانت الدنيا تعادل عند الله جناح بعوضه لما سقى
كافرا منها شربة ماء^(١) .

إلا أن الدنيا دار ممر ، وليست دار مقر ، وهي جسر للآخرة وعبرة لها

[وسبوغ الآء أسداها]

(١) جامع السعادات ج ٢ / ٢٤ ولآلئ الاخبار ج ١ / ٤٨

الآلاء السابعة : أي النعم الشاملة الكاملة التامة ، وأسداها : أي أعطائها ،
كنعمة الاعضاء والجوارح ، والمشاعر والمدارك ، والعقلانيات التي تميّز
الإنسان من غيره من المخلوقات .

[وتمام ممن أولاهها]

المن جمع منة : أي أن الله سبحانه أعطى خلقه عطاياه ، وأنعم عليهم
نعمه ، منة منه ، وتفضلاً وإحساناً ، وليس استحقاقاً وجزاءً . ونعمه سبحانه
متوالية غير منقطعة .

[جمّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن

[الادراك أبدها]

أي لا يمكن للإنسان مهما فعل أن يؤدي شكر خالقه . ﴿ وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها.. ﴾ .

[وندبهم لاستزادتها ، بالشكر لاتصالها]

فالله سبحانه يقول : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (١) .

فمهما حاول الإنسان أن يشكر الله تعالى على نعمائه التي لا تحصى ،
فالله سبحانه يزيد من فضله وكرمه وجوده ، وفيوضاته ونفحاته المباركة ،
فيبقى بحاجة الى شكر على الشكر ، وهكذا ...

[واستحمد إلى الخلائق بأجزائها ، وثنى بالندب الى امثالها]

وهكذا يجزل الله لعبده عطاياه ، ويبارك له فيما أفاض عليه ، كلما زاد
العبد حمداً لربه ، وأثنى على خالقه سبحانه وتعالى .

[وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص

تأويلها]

نعم كلمة (لا اله الا الله) هي كلمة التوحيد ، كلمة خفيفة على اللسان
ثقيلة في الميزان .

فليس المقصود منها لفظها فقط ، بل المقصود منها العمل بها ، حتى
يكون العمل خالصاً لله تعالى ، فيكون الإخلاص بالعمل ، دليلاً على صدق
العقيدة ، وصفاء النية له سبحانه .

فكلامها (سلام الله عليها) ، دليل على زيف وفساد إعتقاد الذين يقولون هذه
الكلمة بأفواههم ولا يظهرونها في جوارحهم واعمالهم .

[وضمّن القلوب موصوها]

أي أن الله سبحانه خلق الأنسان ، وفطره على قابلية التوحيد والإخلاص والعبودية له . ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ (١) .
وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه (٢) .
يعني أن الطفل يولد على الإعتراف بوجود الله تعالى وتوحيده ، ولكن أهله يعلمونه دينهم ، إن كانوا يهوداً ... وإن كانوا نصارى ... فيصبح مثلهم .

[وأنار في التفكير معقولها]

أي أن كلمه (لا إله إلا الله) موصولة بالقلوب النظيفة الطاهرة التي لم تلوث بالكفر والإلحاد ، والظلم والإستبداد ، والطغيان على العباد والبلاد . وهذه الكلمة تنير الأفكار المتعقلة ، وتضيء القلوب الصافية ، لأن الله سبحانه أعطى الإنسان قابلية التفكير في مخلوقاته ، والتعمق بالإعتقاد بتوحيده عز وجل .

[الممتع من الأبصار رؤيته]

قال الله سبحانه : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ (٣)

(١) الروم / ٣٠

(٢) البحار ج ٢٨١/٣ والطفل بين الوراثه والتربية ج ١ / ٣٠١

[ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كفيته]

فإن الله جل جلاله ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾^(١)

[ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها]

إن الله تبارك وتعالى ، خلق الكون بسمائه وأرضه ، وحيوانه ونباته وجماده ، ليس تقليداً لمخلوقاتٍ كانت مشابهة قبلها ، فاقتردى بها - كما يفعل المخترعون اليوم - بل خلقها ابتداءً ، وكونها تكويناً ، وجعلها دليلاً على عظمته وقدرته سبحانه.

[وأنشأها بلا احتذاء ، أمثلة امثلها ، كونها بقدرته ، وذراها بمشيئته]

فإن الله سبحانه خلق الخلق بقدرته ، وابتدأ المخلوقات ابتداءً ، وأنشأ المخلوقات إنشأً ، لم يكن لها سابقة فخلق مثلها ، بل شاءت قدرته هذا فكان كما شاء ، ولا سابقة لوجود الموجودات في الكيفية والكمية والشكل

[من غير حاجة منه إلى تكوينها]

قال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : أمّا بعد فإن الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم ، غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ، لأنه لا تضره معصية من عصاه ، ولا تنفعه طاعة من أطاعه^(٢) .

(١) الأنعام / ١٠٣

(٢) الشورى / ١١

[ولا فائدة في تصويرها]

لأنه سبحانه غني عن العالمين ، ولا يتوخى من تكوين الإنسان ، بل وجميع المخلوقات ، أيّ فائدة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

[إلاّ تثبتاً لحكمته ، وتنبهها على طاعته]

قال سبحانه : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون ﴾ (١)

[وإظهاراً لقدرته ، وتعبداً لبريته ، وإعزازاً لدعوته]

أي أن الله سبحانه خلق الخلق لحكمة يعلمها هو سبحانه ، وطالبتهم بطاعته وعبادته .

وأظهر سبحانه بالمخلوقات التي خلقها عظيم قدرته وتحداهم أن يخلقوا مثلها فقال سبحانه : ﴿ يا أيها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (٢) .

فخلق سبحانه المخلوقات ليظهر قدرته ، ويعزز دعوته لعباده أن لا يعبدوا سواه ، وأنه هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو على كل شيء قدير

(١) نهج البلاغة / خ / ١٩٣

(٢) الذاريات / ٥٦

(١) الحج / ٧٣

[ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته]

لأن الإنسان الإعتيادي بطبيعته يجب العمل لدافعين :

أولاً : لجلب الخير له ولمن يجب .

ثانياً : لدفع الضرر عنه ، وعمّن يجب .

وهكذا جعل الله سبحانه ، الثواب على طاعته ، والعقاب على معصيته ،
وأما الإنسان غير الإعتيادي ، وأعني به المعصوم ، أمثال مولانا أمير المؤمنين
(عليه السلام) الذي يقول : ربي ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك
بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك^(٣) .

فعبادته هي عبادة الإستحقاق ، وهي عبادة الأحرار .

[زيادةً لعباده من نعمته ، وحياسةً لهم إلى جنته]

الذود والزيادة : هو الدفع والطرْد . والحياسة : هي الجمع والسوق .

هكذا جعل الله سبحانه قانون الثواب والعقاب رحمة منه لعباده .

فقانون العقوبات : لردع الناس عن المعاصي الموجبة لنقمة الله سبحانه ،
ويكون مآلهم الى النار وغضب الجبار .

وقانون الثواب ، الذي يرغّب الناس بالنعيم ويسوقهم إلى رضوان رب

العالمين ، ويسكنهم جنته سبحانه التي أعدّها لعباده المطيعين .

[وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله ، اختاره والتجبه ، قبل أن أرسله]
 نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ، الذي شهدت له ابنته فاطمة الزهراء (عليها
 السلام) بأنه عبدٌ لله تعالى ، ورسولٌ له ، هو الذي اختاره الله سبحانه وأرسله
 رحمة للعالمين ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾ (١) .
 ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (٢) .

[وسماه قبل أن اجتبله ، واصطفاه قبل أن ابتعثه]

محمد (صلى الله عليه وآله) له الأهمية الكبرى ، والكرامة العظيمة ، فقد سماه
 الله سبحانه لأنبيائه وأوليائه قبل أن يخلقه ، ويظهره للوجود ، واختاره
 واصطفاه ، وكرّمه قبل أن يبعثه ويجعله رسولاً نبياً .

[إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم

مقرونة]

يعني أن الله أكرم محمداً (صلى الله عليه وآله) واختاره واصطفاه قبل أن توجد
 الخلائق أجمعين .

بل كانت الخلائق حينها مخبأة مستورة في عالم الغيب والعدم .

[علماً من الله تعالى بما يلى الأمور ، وأحاطة بحدوث الدهور ، ومعرفة

بمواقع المقدور]

فالله سبحانه عالم بما تصير إليه الأمور ، وعلمه علم إحاطة بجميع
الحدوث التي تأتي في المستقبل ، فإنما اختار محمداً (صلى الله عليه وآله) عن علم
ومعرفة لهذا الإختيار وكان (صلى الله عليه وآله) أهلاً ومحلاً لهذا الإختيار .
وقد صرحت الأخبار الصحيحة ، والروايات المعتمدة ، من أنه (صلى الله عليه
وآله) مع أهل بيته الأطهار (عليهم السلام) كانوا أنواراً قبل أن يخلق الله المخلوقات
بآلاف السنين (١)

[ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمة على إضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير

رحمته]

بعث الله حبيبه محمداً رحمةً للعالمين ، وأتم به عدة أنبيائه والمرسلين ،
وأكمل به حكمته التي خلق من أجلها السموات والأرضين ، وجعل ذلك
سبحانه فرضاً محكماً ، وحثماً لازماً ، لا يتغير ولا يتبدل إلا بأمره ومشيئته
سبحانه .

[فرأى الأمم فرقا في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدةً لأوثانها ،

منكرةً لله مع عرفانها]

(١) راجع البحار أول الجزء الخامس عشر من الطبعة الجديدة

رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الناس على أديانٍ مختلفةٍ ، من يهود
ونصارى وصابئة ، وعلى طبقاتٍ متفاوتة ، من غنى وفقر ، وصحة ومرض
وغيرها ، وهي مصرّة على ضلالها من عبادة النيران والأوثان ، وهم يعرفون
أن هناك إلهاً وخالقاً وذلك عن طريق الفطرة والوجدان .

كما قال سبحانه ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾^(١) فإنهم كانوا
يعرفون بفطرتهم أن لكل مصنوع صانع ، ولكل مخلوق خالق .

[فأنازل الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) ظلماً ، وكشف عن القلوب بُهيمها

وجلى عن الأبصار غمها]

أي أنار الله سبحانه بمحمد (صلى الله عليه وآله) تلك الظلمات التي كانت
سائدة ، من جهلٍ وكفرٍ وظلمٍ وعاداتٍ فاسدة ، وكشف أيضاً به (صلى الله عليه
وآله) ما أخفي على تلك الأمم بسبب جهلها ، والظلم والظلمات التي كانت
تعتبر في ذلك الزمان من المكرمات^(٢) .

[وقام في الناس بالهداية ، وأنقذهم من الغواية ، وبصرهم من العمية]

هذه هي وظيفة الأنبياء (عليهم السلام) ، وهي الدعوة إلى الله تعالى .

(١) النحل / ٨٣

(٢) مثل رآد البنات ودفنهن أحياء

وقد قام بها نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) خير قيام ، فأنازلهم الطريق ودلّهم على ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، فأنقذهم مما كانوا فيه من الغواية والضلالة وبصّرهم بالأدلة والبراهين ، وجعل منهم أصحاب علم وفكر ويقين .

[وهداهم إلى الدين القويم ، ودعاهم إلى الصراط المستقيم]

نعم قام (صلى الله عليه وآله) بوظيفته خير قيام ، وهدى الناس إلى الدين القويم ودلّهم على الصراط المستقيم ، الذي ليس فيه اعوجاج أو التواء .

وقد ذكره سبحانه بكتابه المجيد بقوله : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ (٣) .

وهكذا كان (صلى الله عليه وآله) شاهداً على أمته في حياته وبعد مماته ، ومبشراً لمحسنهم بالنعيم في جنة الخلد ، ومنذراً لمسيئهم بالعذاب الأليم ، في نار الجحيم . وكان داعياً إلى الله تعالى بإذنه مخلصاً له في دعوته ، وسراجاً مضيئاً دائماً ، يستنرون بفضل تعاليمه وسنته المباركة ، وسيرته العطرة .

[ثم قبضه الله إليه قبض رافةٍ واختيار ، ورغبةٍ وإيثار]

إن الله سبحانه ينقل الإنسان من دار الدنيا إلى الآخرة ، لدافعين : إمّا رحمة له ، وإمّا نقمة منه .

فنبينا محمد (صلى الله عليه وآله) نقله الله تعالى من دار الدنيا رحمة به ، وتفضلا
منه تعالى ﴿ وللاخرة خير لك من الأولى ﴾^(١) وباختياره ورضاه (صلى الله عليه
وآله) .

[فمحمد (صلى الله عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة ، قد حُف
بالملائكة الأبرار ، ورضوان الرب الغفار ، ومجاورة الملك الجبار]
أي أن الموت كان راحة لمحمد من تعب هذه الدنيا وآلامها ، وما جرى
عليه من أذية قريش له ، واعتداء المنافقين عليه .
فهو انتقل من دار التعب والعناء ، إلى دار الراحة والرخاء ، ومن جوار
المنافقين ، إلى جوار رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، محفوفاً ومحاطاً مكرماً من
الملائكة الأبرار ، بكل حفاوة وتكريم واعتبار .

[صلى الله على أبي ، نبيه ، وأمينه على الوحي ، وصفيته ، وخيرته من
الخلق ، ورضيته ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .]
بهذه الكلمات المادحة ، والعبارات الواصفة لأبيها بأنه أمين الله على
الوحي ، وبأنه الصفوة المختارة ، والمنارة المرشدة الهادية ، والعلم الأورحد ،
والناطق الصادق ، والمتكلم الأمين ...
صلت على أبيها ، وسلّمت تسليمًا .

الأصل

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت :

أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحمله دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم ، وبلغاؤه الى الأمم ، زعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم : كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضيء اللامع ، بينة بصائرهم ، منكشفة سرائره ، منجلية ظواهره ، مغتبطة به أشياعه ، قائد إلى الرضوان اتباعه ، مردّ إلى النجاة استماعه ، به نال حجج الله المنورة ، وعزائمه المفسرة ، ومحارمه المحذرة وبيناته الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة ، فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر ، والزكاة تركيةً للنفس ، وغناءً في الرزق ، والصيام تشيئاً للإخلاص ، والحج تشييداً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب وطاعتنا نظاماً للملة ، وإمامتنا أماناً للفرقة ، والجهاد عزاً للإسلام ، والصبر معونةً على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحةً للعامة ، وبر الوالدين وقايةً من السخط ، وصلة الأرحام منسأةً في العمر ، ومنمأةً للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، وإجتنب القذف حجاباً من اللعنة ، وترك السرقة إيجاباً للعفة ، وحرّم الله

الشرك اخلاصاً له بالربوبية ، فاتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، وأطيعوا الله فيما أمركم به ، ونهاكم عنه ، فإنه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

الشرح

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت :

[أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه]

أي أنتم ياعباد الله تعالى ! منصوبون لأوامر الله تعالى ، ونواهيه .

[وحملة دينه ووحيه]

أي وأنتم ياعباد الله ، بعد أن نصبكم لأوامره ونواهيه ، حمّلكم مسؤولية دينه ووحيه على رسله ، فهي أمانة في أعناقكم ، وأنتم مسؤولون عنها أمامه سبحانه .

[وأمناء على أنفسكم]

أي أن الله سبحانه أهداكم هذه النفس ، فهي أمانة عندكم ، فلا تحجبوها عن الهداية فتوردوها موارد التهلكة ، فتكونوا مسؤولين أمامه تعالى عنها .

[وبلغاؤه الى الأمم]

أي هناك أمانة أخرى ، هي أن تُبلّغوا دين الله إلى الأمم اللاحقه ، لأنكم شاهدتم الرسول ، وسمعتم أقواله ، وعاشتتم أخلاقه وأفعاله ، فسوف يأتي

قوم لم يشاهدوه ، ولم يعايشوه ، فيؤمنون به عن طريق الحكاية والرواية ، فكونوا خيرا مبلغين لمن يأتي بعدكم بأعمالكم ، وأقوالكم وأفعالكم .

[زعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم]

يعني أن النبي (صلى الله عليه وآله) له حق عليكم ، بما أوصله اليكم من دين الله وعهد الله ، الذي أوصله بكل أمانة وإخلاص ، وهذا الحق الذي له عليكم هو التمسك بالبقية الصالحة التي تركها فيكم ، كتاب الله ، وعزته الطاهرة كما ورد في الحديث الشريف ، عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال : إني يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما «» .

والملاحظ من الروايات الواردة في أكثر الصحاح ، أنها تذكر - وعترتي أهل بيتي - ولا تذكر وسنتي ، إلا بعض الروايات الشاذة النادرة . ومع هذا ترى الاعلام اليوم وخطباء المنابر والمساجد ، والكتب والصحف والمجلات ، والإذاعات تقول : وسنتي . تتمسك بالشاذ القليل وتترك الصحيح الكثير ، لماذا ١٩ .

وقد بينت فاطمة الزهراء (عليها السلام) عظمة القرآن بقولها :

[كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء

[اللامع]

كل من قرأ القرآن الكريم وتفكر في معانيه ، وتأمل فيما ترمي اليه الآيات
البيّنات يعلم بكل صدق وأمانة بانه كلام الله الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

وقد قالت الحكمة : إذا أردت ان يكلمك الله تعالى فاقرأ القرآن .
فكلام الله صادق ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ . وكلام الله نور
ساطع ، وضياء لامع .

[بيّنة بصائره ، منكشفة سرائره ، متجلية ظواهره]

القرآن نزل بلغة العرب . وكلامه واضح جليّ لكل من تفهمه ، وتذوق
معاني فصاحته وبلاغته .

وأهل الذكر ، هم الذين يعلمون جميع علوم القرآن ، من عام وخاص ،
ومجمل ومبين ، ومطلق ومقيد... وهم أهل البيت (عليهم السلام) الذين جعلهم
الرسول (صلى الله عليه وآله) عدل القرآن في حديث الثقلين .

[مغتبط به أشياعه ، قائد إلى الرضوان اتباعه]

أتباع القرآن هم الذين طبقوا أحكامه ، وأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه ،
فلهم منزلة يوم القيامة يغطّهم عليها أهل المحشر : وأن قارئ القرآن يزهر
نوره إلى أهل السماء كما تزهّر النجوم لأهل الأرض ^(١) .

[مؤدّ إلى النجاة استماعه]

لأن الذي يصغي ويستمع لكلام الله تعالى ، فلا بد أن يتأثر ويطبّق
أحكام القرآن التي تؤدّي إلى النجاة في الآخرة وقد قال سبحانه : ﴿ وإذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ ^(٢) .

[به تُنال حجج الله المنورة]

أي بالقرآن الكريم ، تُنال العلوم والمعارف العالية ، التي يحتج بها على
الآخرين ، ويستدل بها على عظمة الدين القويم ، ونور الخالق العظيم ،
الذي يعم المخلوقات أجمعين .

[وعزائمه المفسرة]

أي الواجبات الموضحة ، التي أوضحتها القرآن بآياته ، أو أوضحتها أهل
البيت (عليهم السلام) ، لأن القرآن نزل في بيوتهم ، وأهل البيت أدري بالذي فيه

(١) اصول الكافي ج ٢ / ٦١٠

(٢) الاعراف / ٢٠٤

[ومحارمه المحذرة]

أي أن القرآن ذكر محرمات حرّمها الله سبحانه ، وحذّر وشدّد العقاب على من يفعلها أو يأتي بها .

[وبيناته الجالية ، وبراهينه الكافية]

إن القرآن فيه بينات واضحة ، وبراهين وأدلة كافية وقاطعة لمن أراد أن يؤمن بها ، أو يسير عليها .

[وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائع المكتوبة]

إن في القرآن أموراً مستحبة ، ومحبة الى الله تعالى ، رغب فيها القرآن ، وهناك أمور مباحة بخيرة ، إن شاء المكلف أن يفعلها ، وإن شاء أن يتركها ، وهناك أمور وشرائع مفروضة ومكتوبة ، لا يسامح العبد على تركها ، أو الإستهانة بها .

علل بعض الواجبات في الإسلام

بعد أن ذكرت الزهراء (عليها السلام) : الحمد لله تعالى ، والثناء عليه ، وصلت على أبيها محمد (صلى الله عليه وآله) ، ويّنت فضائله ، وفضائل الكتاب الذي جاء به وهو القرآن الكريم . أخذت (عليها السلام) بتبيان علل بعض الشرائع ، والفرائض المهمة في الإسلام ، فذكرت الايمان بالله أولاً فقالت :

[فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك]

فالايان بأنه عز وجل معنا ، يراقبنا ، ويشرف علينا ، ويرعانا ، ولا تخفى عليه خافية في السموات والارض ، وبأن الايمان بالله تعالى ، يطهر الناس من رجس الشيطان ، ومن رجس الشرك . والشرك رجس وقذارة تؤثر على عقل الانسان وروحه ، فتجعل منه إنساناً أقرب الى الحيوانية منه الى الانسانية ، فيأتي الايمان بالله تعالى ، والإخلاص إليه عز وجل وحده ، ليغسل وينظف ما علق على الروح والعقل والضمير ، من هذه الأوساخ والأدران .

[والصلاة : تطهيراً لكم من الكبر]

أيّ أن كل من يصلي ، ويعيش الصلاة في جوارحه وكيانه ، قلباً وقالباً ، قولاً وعملاً ، تُنزع منه كبرياء الإنسانية ، والعجرفة الحيوانية ، ويتعلّم التواضع ، والخضوع ، والخشوع لله وحده .

إنّ كل من لا يصلي ، فهو من المتكبرين ، والعاصين لرب العالمين ، وفي الآخرة من الخاسرين ، وأما ﴿ عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ (١) .

فالصلاة صلة بين العبد وربّه . وقربان كل تقويّ . وعمود الدين ، إن قبلت قبل ما سواها ، وإن ردت رد ما سواها . وهي علامة فارقة من علامات المؤمنين ، مَنْ تركها هدم دينه ، كما ورد ذلك بروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله) (٢) .

[والزكاة : تزكية للنفس ، ونماء في الرزق]

إداء الزكاة ، وإعطاء الحقوق الشرعية ، التي فرضها الله تعالى على عباده بعد الصلاة ، تجعل الرزق ينمو ، وتزيد بركة الأرض ، فيأذن الله لها بأن تكثر خيراتها ، قال سبحانه : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ (٣) .

فالزكاة صدقة ، والصدقات تنمي الرزق وتكثره .

[والصيام : تثبيتاً للإخلاص]

الصوم مظهر من مظاهر العبادة الخالصة لوجه الله تعالى .

(١) الفرقان / ٦٣

(٢) راجع جامع الأخبار / ص ٧١

(٣) التوبة / ١٠٣

يمكن للمصلي أن يصلي أمام الناس رياءً وتظاهراً ولكن لا يُتصور أن يصوم الإنسان مُدَّة شهرٍ ، ممتنعاً عن الطعام والشراب ، ومشتهيات الحياة كذباً ورياءً .

الصوم إذن من أظهر العبادات الخالصة لوجه الله تعالى .

[والحج : تشييداً للدين]

الحج في الإسلام هو مؤتمر سنوي عالمي ، يجتمع المسلمون ، ويأتون من جميع البلدان والأقطار ، ليؤدوا مناسكهم ، ويتعارفوا ، ويتزودوا من حضارات بعضهم البعض .

وكلما ازداد المسلمون ثقافةً وعلماً وحضارةً ، كلما ازداد دينهم عظمةً ورفعةً وشموعاً ، لأن الإسلام بالمسلمين ، والدين بالمتدينين الواعين المثقفين .

[والعدل : تنسيقاً للقلوب]

لا يمكن أن يقوم نظام إجتماعي ، إذا لم يقيم على العدالة والمساواة بين الناس ، على اختلاف طبقاتهم ، وأشكالهم وأنواعهم وألوانهم . فالإسلام يعتبر المسلمين كأسنان المشط ، وكالحب في المسبحة .

يقول نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) : يأيها الناس ! ألا إن ربكم واحد ، ألا إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ،

ولا لأسودٍ على أحمر ، ولا لأحمرٍ على أسودٍ إلا بالتقوى ، ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾^(١) .

وهذا ما أشارت إليه الزهراء (عليها السلام) ، وهو أن تكون القلوب متساوية متعادلة ، متناسقة ، كل واحد يقوم بواجبه أمام الله سبحانه .

[وإطاعتنا : نظاماً للملّة]

أي لا يمكن أن يسود النظام العادل في المجتمع الإسلامي ، إلا بقيادة معصومين عن الهوى ، ومنزهين عن الزلل ، الذين عينهم الله تعالى على لسان رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ، وهم أئمة الهدى ، والعروة الوثقى ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا^(٢) .

[وإمامتنا : أماناً للفرقة]

تتوحد الكلمة الإسلامية بتوحيد الراية ، والقيادة والقادة .
والقادة الذين عينهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) هم الأئمة الإثنى عشر ، من ذريته ، وهم أمانٌ للأمة من كل آفة وتفرقة .

وقد أشار إلى ذلك (صلى الله عليه وآله) في عدة روايات منها قوله : إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق^(٣) .

(١) الميزان ج١٨/ص٣٣٤ ، والآية ١٣ الحجرات .

(٢) إشارة إلى الآية ٣٣/ من سورة الأحزاب

(٣) البحار ج٢٣/ص١١٩

وقال (صلى الله عليه وآله) : من دان بديني ، وسلك منهاجي ، واتبع سنتي ، فليدن بتفضيل الأئمة من أهل بيتي ، على جميع أممي ، فإن مثلهم في هذه الأمة ، مثل باب حطة في بني إسرائيل . يحط الله بها الخطايا ^(١) .

فكل من قرأ سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ، وتعرّف عليهم ، وجدّ أنهم كانوا محور الأخلاق الفاضلة ، والصفة الإسلامية العالية . كانت أخلاقهم من أخلاق القرآن ، لأنهم عدله وترجمانه ، وكتاب الله الناطق ، كما ورد ^(٢) .

كما وأنهم هم أولي الأمر الذين أمرنا الله بطاعتهم في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٣) .

[والجهاد : عزاً للإسلام]

الجهاد من الواجبات التي أعتمد عليها الدين الإسلامي للدفاع عن وجوده ووجود رجاله الذين وجد الإسلام بوجودهم . وقد عبر عنه مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) : أنه من أبواب الجنة فتحه الله سبحانه لخاصة أوليائه المتقين ^(٤) .

(١) البحار ج٢٣/ص١١٩

(٢) راجع أرشاد القلوب للدليمي /ص٢٤٩

(٣) النساء/٥٩

(٤) نهج البلاغة /خطبة الجهاد رقم/٢٧

والجهاد قوة ومنعة ، يُدفع به اعتداء المعتدين ، وكيد الظالمين ، وفيه تحفظ العزة والكرامة لجميع أعضاء الأمة ، أفراداً وجماعات .

[والصبر : معونةً على استيجاب الأجر]

أي يكثر الأجر ، ويزداد الثواب ، بالصبر والتحمل على مكاره الدهر ، ومصائب الحياة .

والصبر : يكون في الأمور التي تقع على الإنسان ، ولا يستطيع التخلص منها ، أو الهروب عنها .

قال : مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) : الصبر صبران : صبر عند المصيبة حسن جميل ، وأحسن من ذلك ، الصبر عند ما حرم الله عز وجل عليك^(١) .

وقال : (عليه السلام) : ... وعليكم بالصبر ، فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس معه ، ولا خير في إيمان لا صبر معه^(٢) .
وقال الله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾^(٣) .

[والأمر بالمعروف : مصلحةٌ للعامة]

الأمر بالمعروف مفروض على كل مكلف بحسب علمه وإمكاناته ، حتى يشعر كل فرد مهما دنت أو ارتفعت منزلته أنه مسؤول أمام الله سبحانه

(١) أصول الكافي ج ٢/ص ٩٠

(٢) نهج البلاغة قصار الحكم رقم/٨٢

(٣) الزمر / ١٠

وتعالى ، وقد اشتهر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته .

فالأمر بالمعروف : هو ما تقوم عليه المصالح ، ويرتكز عليه النظام ، لأن الإسلام نظام كامل للحياة ، وهو ما ارتضاه سبحانه للناس .
فلا فساد ، ولا إفساد ، ولا ضرر اجتماعي ، ولا تظاهر بأي مظهر مضاد للدين ، ما دام هناك من يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر .

[وبر الوالدين : وقاية من السخط]

اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالوالدين ، وجعل شكرهما من شكر الله تعالى ، وكذلك رضاهما .

لأن الولد عندما ينشأ في بيت ، ويرى والده باراً بوالديه الشيخين الكبرين ، محسناً لهما ، مطبّقاً لأحكام القرآن في حقهما ، يتأثر ويصبح هو أيضاً باراً بوالديه ، محسناً لهما عندما يكبر .

وهكذا ... يُقيم الإسلام المجتمع المتكامل المؤمن ، ويُربي الفرد باراً محسناً لوالديه ، وإلفاً لإخوانه ، وحنوناً عطوفاً على الصغار والقاصرين .

وقد ذكر سبحانه في كتابه الجيد آيات في بر الوالدين والإحسان إليهما قال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عَنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ۚ وَقُلْ

لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربني ارحمهما
كما ربياني صغيراً ﴿١١﴾ .

وقال سبحانه أيضاً : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على
وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير * وإن جاهداك
على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا
معروفا... ﴾ ﴿١٢﴾ .

وقال سبحانه أيضاً : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين
إحساناً... ﴾ ﴿١٣﴾ .

فالزهاء (عليها السلام) اعتبرت أن بر الوالدين يقي من سخط الله سبحانه .
ونبي الله عيسى بن مريم (عليه السلام) عسر عن هذا بأسلوب آخر ، وهو أن
العاق لوالديه المسئ إليهما ، هو الجبار الشقي ، قال تعالى : ﴿ وبراً بوالدي
ولم يجعلني جباراً شقياً ﴾ ﴿١٤﴾ وقال سبحانه عن يحيى بن زكريا (عليهما السلام) :
﴿ وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً ﴾ ﴿١٥﴾ .

[وصلة الأرحام : منسأة للعمر ، ومنمأة للعدد]

(١) الإسراء / ٢٣ / ٢٤

(٢) لقمان / ١٤ / ١٥

(٣) النساء / ٣٦

(٤) مريم / ٣٢

(٥) مريم / ١٤

أي أن صلة الأرحام تطيل العمر ، وبإطالة العمر يكثر عدد المسلمين .
وقد ورد بذلك روايات كثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) تبين أن صلة الرحم
تطيل العمر ، وأن مقاطعة الأرحام والأقارب تقصّر العمر .

قال أبو عبد الله الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : ما نعلم شيئاً يزيد في
العمر إلا صلة الرحم ، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين ، فيكون
وصولاً للرحم ، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة ، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة
ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة ، فيكون قاطعاً للرحم ، فينقصه الله ثلاثين
سنة ، ويجعل أجله إلى ثلاث سنين ^(١) .

وقال مولانا أبو جعفر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) : صلة الأرحام تزكّي
الأعمال ، وتنمّي الأموال وتدفع البلوى ، وتيسر الحساب ، وتنسئ ^(٢) في
الأجل ^(٣) .

[والقصاص : حقناً للدماء]

الإسلام نظام الله في الأرض ، وهذا النظام لا بد أن يحافظ على أبنائه
ومجتمعه من الانحراف . ومن طبع الإنسان الانحراف عن الجادة التي رسمها
الله سبحانه له . ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ ^(٤) .

(١) أصول الكافي ج ٢/ص ١٥٢

(٢) أي توجل الموت ، وتطيل العمر .

(٣) أصول الكافي ج ٢/ص ١٥٠

(٤) يوسف / ٥٣

فسن سبحانه ، لحماية هذا النظام والمجتمع ، القصاص .
 فعندما يقاصص ويعاقب كل معتدٍ ، ويضرب على يد كل مجرم ، لا
 يعتدي الإنسان على أخيه الإنسان ، ولا يظلم أحد أحداً ، وهكذا.. تسطرح
 حياة المجتمع والأمة . قال الله تعالى : ﴿ ولکم فی القصاص حياة یا أولی
 الألباب لعلکم تتقون ﴾ (١) .

[والوفاء بالندر : تعريضاً للمغفرة]

الندر عهد مع الله ووعد .
 لأن الإنسان عندما يمر عليه في حياته بعض الإبتلاءات الدنيوية ، ينذر الله
 تعالى أو يعاهده على صوم أو صلاة أو دفع مال إلى فقراء أو غيرها من
 العهود والندور ، إذا دفع عنه هذا البلاء الذي وقع فيه . وعندما يقبل الله
 منه النذر أو العهد يجب على الإنسان أن يفي بما وعد أو نذر .
 والذي يفي بوعوده وعهوده وندوره ، يكون قد عرض نفسه لمغفرة الله
 تعالى ، والله غفور رحيم . قال سبحانه : ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله
 فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ (٢) .

[وتوفية المكاييل والموازين : تغييراً للبخس]

(١) البقرة / ١٧٩

(٢) الفتح / ١٠

الإسلام دين الحياة ، ونظام الدنيا ، ولا بد أن يثبت العادات الحسنة في المجتمع ، وينفي العادات السيئة منه .

فالغش والغبن والخداع وغيرها من العادات الفاسدة ، قد حرمها الإسلام ونهى عنها .

والإنسان العاقل يكره أن يُغش ، فعليه أن لا يغش ، وأنه لا يجب أن يُظلم فعليه أن لا يُظلم ، وهكذا...

عندما يتعامل الناس بالمثل ، ويحبّ المرء لغيره مثلما يحبّ لنفسه ، تسود العدالة والمساواة في المجتمع ، ولا يكون هناك غبن ، أو غش ، أو ظلم .
عندها يكون مجتمعاً إسلامياً ، صالحاً ، عادلاً ، كاملاً ، متكاملأً ، كما أراد الله تعالى .

[والنهي عن شرب الخمر : تنزيهاً عن الرجس]

اهتم الإسلام كنظام كامل للحياة اهتماماً كبيراً بصحة الفرد والأسرة والمجتمع جسدياً وعقلياً .

لهذا تراه يشدد العقاب على كل ما يؤدي المجتمع الإسلامي ، ويشتت أبنائه ، ويضر أفراداه .

ومن أشد المحرمات ضرراً وإضراراً هو شرب الخمر ، الذي يذهب العقل ويؤدي الجسم ، ويصل ضرره إلى النطفة التي يتكون منها إنسان آخر .

وقد شدّد سبحانه في كتابه المجيد على تحريم شربه وجعله رجساً من عمل الشيطان فقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ

من عمل الشيطان فاجتنبوه * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم
منتهون ﴿١﴾ .

أوليس هذا منتهى الرجس والقذارة ، أن يُدخِل الإنسان في جوفه ما يجعله
من جنود إبليس ، ويكون منه مصدراً للعداوة والبغضاء في المجتمع ؟؟
هذا المشروب النجس هو مصدرٌ للصدِّ عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة .
فهل يُتَصَوَّرُ أن إنساناً عاقلاً فاهماً واعياً يُدخِل في جوفه ما يجعله فاقداً لهذا
العقل ، الذي فضّل به على جميع المخلوقات ؟

وقد ورد أن النبي (صلى الله عليه وآله) : لعن الخمرة ، وعاصرها ، ومعتصرها
وبايعها ، ومشتريها ، وساقبها ، وأكل ثمنها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ،
وشاربها ﴿٢﴾ .

وقال (صلى الله عليه وآله) : شارب الخمر كعابد الوثن ﴿٣﴾ .

وقيل لأمير المؤمنين (عليه السلام) : إنك تزعم أن شرب الخمر أشدُّ من الزنا
والسرقة ، فقال (عليه السلام) : نعم إن صاحب الزنا لعله لا يعدوه إلى غيره ،
وإن شارب الخمر ، إذا شرب الخمر زنى ، وسرق ، وقتل النفس التي حرم
الله عز وجل ، وترك الصلاة ﴿٤﴾ .

(١) المائدة / ٩٠/٩١

(٢) كنز العرفان في فقه القرآن ج٣/ص١٦٩ والكافي ج٦/ص٣٩٨

(٣) نفس المصدر

(٤) الكافي ج٦/ص٤٠٦

فالزهراء (عليها السلام) جعلت تجنب شرب الخمر ، تنزيهاً للنفس عن الرجس والقذارة .

[واجتناب القذف : حجاباً عن اللعنة]

اهتم الإسلام بالمحافظة على كرامة الإنسان وعرضه وشرفه .
والقذف هو أن يتهم الإنسان أخاه الإنسان بتهم وإفترآءت بدون دليل .
كمن يتهم الآخر بالزنا وليس له دليل على ذلك .
وإذا كانت هناك اتهامات بلا دليل فيقابلها اتهامات أخرى مما يوجب الملاعنة بين الطرفين .

فالزهراء (سلام الله عليها) تقول : إنه لا يجوز لك أن تتهم أحداً بدون دليل شرعي على ما تقول .

والإبتعاد عن الإتهامات الباطلة تحجب المجتمع وتحميه من الملاعنة .
وقد شدد الله سبحانه العقاب والعذاب على الذين يرمون بعضهم بالإتهامات الباطلة ، والإفترآءت الكاذبة ، قال سبحانه : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة وهم عذاب عظيم ﴾ (١) .

[وترك السرقة : إيجاباً للعة]

شدد الإسلام في معاقبة السارق ، واعتبر أن السرقة خيانة ، واليد السارقة خائنة . لهذا أمر بقطعها وجعلها وسمه دائمة لصاحبها . والخائن يجب أن يجتث ويقطع من المجتمع ، لكي لا يكون سبباً في تلوينه وإفساده .
وقد تعجّب أبو العلاء المعري وتساءل عن الحكمة في قطع يد السارق إذا سرق نصف دينار فقال :

يد بخمس معين عسجدٍ فديت ما بالها قطعت في نصف دينار
يعني اليد التي تقطع خطأً ، ديتها في الإسلام خمسمائة دينار ذهب ، فلماذا
نقطعها إذا سرقت نصف دينار ؟
فأجابه الشريف الرضي (ره) شعراً فقال :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري
وأجابه الشريف المرتضى علم الهدى (ره) نثراً فقال : لما كانت أمانة ثمينة
ولما خانت هانت (١) .

إذن اليد السارقة أئيمة خائنة ، مسلوبة العزة والكرامة ، لهذا تقطع وتُجتثُّ من المجتمع ، كذلك الخائن ، يجب أن يبعد ويطرده من بين المسلمين .
فالزهراء (عليها السلام) اعتبرت أن تارك السرقة ، عفيفاً شريفاً محترماً في المجتمع .

[وحرّم الشرك : إخلاصاً له بالربوبية]

أي أن الشرك كفر للنعم ، وجحود بالمنعم عز وجل . فالذين أشركوا بالله ، وجعلوا له ولداً ، أو نداءً ، أو صاحبة ، إنما أغمضوا أعينهم عن الحقائق التي جاء بها الأنبياء ، وصدقها العقل على وحدانية الله سبحانه ، وأنه منزّه عن كل شريك أو شبيهه وأنه تعالى ليس كمثله شيء .

ولذا وعد سبحانه بإمكان المغفرة لبعض المعاصي إلاّ الشرك به عز وجل فقال سبحانه : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ (١) .

ثم إن الزهراء (عليها السلام) أدجحت الآيات القرآنية المناسبة لموضوع كلامها فقالت :

[﴿ فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون ﴾] (٢)

بعد أن نبهت (سلام الله عليها) الناس أن الشرك حرام ، والمشرك غير مخلص لربه باعتقاده ، جاءت بهذه الآية التي توصي الناس بأن يتقوا الله حق تقاته ، ولا يموتوا إلاّ على دين الإسلام ، الذي لا تُقبل الأعمال إلاّ من خلاله يوم القيامة :

(١) النساء / ٤٨

(٢) آل عمران / ١٠٢

[ومن يتغني غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴿١﴾ وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿٢﴾ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴿٣﴾]

ونبهت (عليها السلام) أيضاً في نهاية هذا الفصل من كلامها ، أن على المؤمن المسلم أن يكون مطيعاً لربه فيما أمره به من الواجبات ، ومطيعاً له عز وجل فيما نهاه عنه من المحرمات ، والذي يأتي يوم القيامة ، ولم تكن أعماله مطابقة لدين الإسلام فهو عند الله في الآخرة من الخاسرين .

وختمت كلامها بقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٢) . أي أن طاعة الله في أوامره ونواهيه لا بد لها من العلم والمعرفة بأوامر الله تعالى ونواهيه ، فكيف تحصل الخشية لله ، والطاعة لأوامره بدون علم ؟ فإنما الذين يخشون الله حق خشيته هم العلماء .

وقد أشارت (سلام الله عليها) إشارة خفية إلى أهل البيت (عليهم السلام) من خلال هذه الآية الكريمة ، لِتُدَلَّلَ على فضلهم وعلمهم ووجوب الرجوع اليهم في كل الشؤون .

(١) آل عمران / ٨٥

(٢) فاطر / ٢٨

الأصل

أيها الناس : إعلموا أنني فاطمة ! . وأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، أقول
 عوداً وبدءاً ، ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً ﴿ لقد
 جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
 رؤوف رحيم ﴾

فإن تعزوه وتعرفوه : تجدوه أبي دون نساءكم ، وأخا ابن عمي دون
 رجالكم ، ولنعم المعزى إليه (صلى الله عليه وآله) ، فبلغ الرسالة ، صادعاً
 بالندارة ، مائلاً عن مدرجة المشركين ، ضارباً ثبجهم ، آخذاً بأكظامهم ،
 داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يكسر الأصنام ، وينكث
 الهام ، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر ، حتى تفرى الليل عن صبحه ،
 وأسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين
 وطاح وشيظ النفاق ، وانحلت عقد الكفر والشقاق ، وفهتم بكلمة
 الإخلاص ، في نفر من البيض الخماص ، وكنتم على شفا حفرة من النار ،
 مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطئ الأقدام ،
 تشربون الطرق ، وتقتاتون القيد والورق ، أذلة خاسئين ، تخافون أن
 يتخطفكم الناس من حولكم .

فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله) ، بعد اللتيا والتي
 وبعد أن مني بهم الرجال ، وذؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب ،

﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله﴾ أو نجّم قرن الشيطان ، أو
 فغرت فاغرة من المشركين ، قذّف أخاه في هوائها ، فلا ينكفيء حتى يطأ
 جناحها بأخصه ، ويخمد هبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في
 أمر الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً ،
 مجدداً كادحاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وأنتم في رفاية من العيش ، وادعون ، فاكهون ، آمنون ، تذبصون
 بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار ، وتنكصون عند النزال ، وتفرون من
 القتال.

الشرح

ثم قالت (عليها السلام) :

[أيها الناس ! إعلموا : أني فاطمة ! ^(١) وأبي محمد (صلى الله عليه وآله)]
فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) تعرف أنهم يعرفون من هي ، ومن أبوها ،
ولكنها قالت ذلك لتذكّرهم بموقعها عند أبيها (صلى الله عليه وآله) ، وبموقع أبيها
عند الله تعالى ، لعلهم يعودون إلى رشدهم ، ويرجعون عن غيهم ، لأنها
كانت تأمل أن يكون صوت الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ما زال يرن في آذانهم
في فضلها وعظمتها وكرامتها في الدنيا والآخرة .

[أقول عوداً وبدءاً ، ولا أقول ما أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل

شططاً]

أي أن الزهراء (عليها السلام) بعد أن ذكّرتهم بحسبها ونسبها ، أحبّت أن
تعرفهم أن ما ستقوله ليست شاكّة فيه ، أو مترددة ، بل مستعدة لتكراره ،
وتأكيده أولاً وآخرأ ، وإعادةً وتكراراً ، وهي مطمئنة كل الإطمئنان بأنها
مصيبة ومحقة .

^(١) بهذا الاسم صدر كتاب في عشر مجلدات في حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وفضائلها . للخطيب الحسيني

الشيخ عبد الحميد المهاجر

ولا تقول ذلك عن خطأ أو تلاعب أو خديعة ، أو عن ظلم أو جور أو تجاوزٍ حدود .

[﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾]^(١)

بدأت (سلام الله عليها) ، بقول الله تعالى : الذي يصف أباهما (صلى الله عليه وآله) بأنه رسول من عند الله تعالى ، وأنه يعزّ عليه ويشق وقوع المسلمين في شدة أو ضيق ، وهو حريص على سعادتهم ، وعطوف عليهم ، ورحيم بهم .

[فإن تعزوه وتعرفوه : تجدوه أبي دون نسائكم]

أي أنكم إذا أردتم أن تتعرفوا إليه ، فإنكم تجدونه أبي وحدي دون نسائكم ، وأنا وحيدته ، وبضعة منه .

[وأخا ابن عمي دون رجالكم ، ولنعم المعزّي إليه]

قضية المواتحة بين المسلمين قام بها النبي (صلى الله عليه وآله) أكثر من مرة . فقد آخى بين المسلمين في مكة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة ، وفي جميع الحالات كان يترك علياً (عليه السلام) بلا أخ ، فيطالب عليّ بحقه ويقول: يا رسول الله ! آخيت بين المسلمين وتركتني ، فيقول (صلى الله

عليه وآله) : يا علي ! أنت أخي ، أما ترضى أن تدعى إذا دعيت ، وتكسى إذا كسيت ، وتدخل الجنة إذا دخلت ؟

قال (عليه السلام) : بلى يا رسول الله ! وكان ذلك عند نزول قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ^(١)

فالزهاء (عليها السلام) أطلقت هذه الموأخاة ، واحتجت بها على المسلمين ، ومن ثم قالت نعم النسب الذي يعود إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ونعم الموأخاة المنسوبة إليه ، لأنه الشرف ما بعده شرف ، والكرامة ما بعدها كرامة .

[فبلغ بالرسالة ، صادعاً بالندارة]

أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) قام بواجبه خير قيام ، فقد بلغ رسالة ربه . وقد أظهر وصدع بالإنذار والتخويف من عذاب الآخرة لكل من يخالف أوامر الله سبحانه ، أو يكفر به .

[مائلاً عن مدرجة المشركين ، ضارباً ثبجهم ، آخذاً بأكظامهم]

ومن صفاته (صلى الله عليه وآله) : أنه كان متناقضاً مع عقيدة المشركين ، متبايناً مع أعمالهم الكافرة الشريرة ، ضارباً كاهلهم ، وشاداً على خناقهم ، حتى آمنوا وأسلموا واهتدوا ، فصار بهم رؤوفاً رحيماً .

^(١) راجع كتاب علي من المهدي إلى اللحد للقرظيني / ص ٢١٨ وقد ذكر اسم خمسين كتاباً من كتب السنة تذكر

فصة الموأخاة ، والآية ١٠ / الحجرات

[داعياً إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة]

ومن صفاته (صلى الله عليه وآله) : أنه كان داعياً إلى الله سبحانه ، متواضعاً لعباده . يرشدهم إلى صراط ربهم المستقيم ، بالبراهين الواضحة ، والمواظب النافعة ، المعبرة المقنعة .

وكان يجادل المعاندين بأحسن الطرق التي يمكن أن تستعمل لإقناع الآخرين ، لأن غايته كانت هداية الناس ، لا الغلبة والإنتصار عليهم في المجادلة والمناقشة .

[يكسر الأصنام ، وينكث الهام]

ومن صفاته (صلى الله عليه وآله) : أنه كان يكسر الأصنام ، ويقضي على عبادتها ، ويقضي على رؤساء الشرك ، أمثال أبو جهل ، وأبوسفيان ، وأبو لهب وغيرهم ، من الذين كانوا أصناماً متحركة ، وأشد خطورة من الأصنام الحجرية .

[حتى انهزم الجمع وولو الدبر]

أي استمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بجهاده المتواصل ، وبأخلاقه الكريمة وبمواظبه وإرشاداته الإلهية العالية ، حتى اضطر للحروب والغزوات ، وفي النهاية كان النصر لله ولرسوله ، فقضى على الكفار والجاحدين ، والمشركين المعاندين ، حتى انهزموا وولوا مدبرين ، إلى غير رجعة .

[حتى تفروى الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن محضه]

أي حتى انجلي ليل الكفر وظلماته السوداء ، وظهر صبح الإسلام ،
ببياضه الناصع ، وبان للجميع حقائق الأمور ، وزالت الحواجز التي كانت
تجيب الحقائق عن بصر المبصرين ، وطلعت شمس الحق والدين .

[ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين]

في السابق كان لا يستطيع أحد أن يتكلم بإسم الدين ، وأما بعد بزوغ
فجر الإسلام ، فأصبح كل إنسان متدين ، ينطق بإسم الدين .
وبذلك خرست وانطفأت مكاييد وحيل الشياطين ، وأتباعهم من
الكافرين والجاحدين ، وذلك بعد بعثة سيد المرسلين ، وإمام الأنبياء أجمعين
سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله أجمعين) .

[وطاح وشيظ النفاق ، وانحلت عقد الكفر والشقاق]

أي بعد أن قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الكافرين ، وهدم أركان
المشركين ، ذكرت هنا (سلام الله عليهما) : إن المنافقين حاولوا الإعتداء على
رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولكن الله تعالى نجّاه منهم ، وأفشل تدبيرهم ،
وأفسد مساعيهم ، ونجّى رسوله الكريم منهم ، ووأد محاولاتهم التي كانت

تهدف إلى القضاء على الإسلام والمسلمين ، كما حصل في ليلة العقبة عندما حاول المنافقون قتله (صلى الله عليه وآله) ^(١) .

[وفهتتم بكلمة الإخلاص ، في نفرٍ من البيض الخماص]
كلمة الإخلاص : هي كلمة (لا إله إلا الله) ، وقد تفوه بها العرب ، وقالوها بألسنتهم ، قالوها في نفرٍ من البيض ، أي أصحاب الوجوه البيضاء . وربما أرادت الزهراء (عليها السلام) بقولها هذا أن تقسم الناس إلى قسمين : قسم فاه بكلمة الإخلاص ولفظها بلسانه ، ولم يعتقدها بقلبه . وقسم ثانٍ : وهم قلة ، وجوههم منيرة من العبادة ، وأجسادهم ضامرة من كثرة الصوم ، وهذا الوصف ينطبق على الصفوة من آل الرسول (صلوات الله عليهم أجمعين) .

^(١) راجع إرشاد القلوب للدليمي ص ٣٣١ . وتفسير الميزان ج ٩/ص ٣٤٤

صورة عن حالة العرب قبل الإسلام

كانت العرب قبل الإسلام ، قبائل مشرذمة متفرقة ، متباغضة ، تسودهم الفوضى ، وتفشى فيهم عادات سيئة ، من الأخذ بالثأر ، وغزو بعضهم البعض .

ناهيك عن تلك العادة القبيحة ، التي هي وأد البنات ، أي دفنهنّ أحياءً ، والتي كانوا يعتبرونها من الفضائل ، ويقولون : وأد البنات من المكرمات^(١) وكانوا يعيشون حياة الذل والهوان ، أقوياء على بعضهم البعض ، ضعفاء أمام القوتين العظيمين ، الشرق الفارسي ، والغرب الروماني .

ولنأخذ مثلاً : الكتاب الذي أرسله نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) إلى كسرى ملك الشرق - لأنه (صلى الله عليه وآله) أرسل كتباً ورسائل إلى الملوك والأمراء ، ليلقي عليهم الحجة وينذرهم - والذي جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى كسرى بن هرمزد ؛ أما بعد : أسلم تسلم ، وإلاّ فأذن بحرب من الله ورسوله ، والسلام على من اتبع الهدى^(٢) .

عندما وصل الكتاب إلى كسرى ، وقرأه عليه ، وعرف محتواه ، غضب وطار صوابه ، وقال : كيف يتجرأ عليّ هذا العربي ، ويقول هذا الكلام ، وهو يعلم أن الجزيرة العربية كلها تعتبر مستعمرة صغيرة تحت حكمي ؟ .

(١) فاطمة هي فاطمة / للدكتور شريعتي ص ١٠١

(٢) البحار ج ٢٠ / ٣٨١

والتفت إلى الرسول حامل الكتاب ، وقال : لولا أنه قبيح قتل الرسول لقتلتك ، وأمر جنوده أن يُحمّلوه تراباً وحجارةً من أرضه ، وأخذ الكتاب ومزقه .

وعندما عاد الرسول إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأخبره الخبر ، وما جرى معه ، تنبأ النبي بالغيب وقال : مزق الله ملكه كما مزق كتابي ، أمّا إنكم ستمزقون ملكه . وبعث إليّ بترابٍ ، أمّا إنكم ستملكون أرضه ^(١) .

فكان كما قال (صلى الله عليه وآله) .

هذه صورة مصغرة عن مهانة العرب ، وحقارتهم عند الآخرين ، وعن حالة الفوضى والتحلل ، والتفسخ الإجتماعي عندهم قبل الإسلام ...
أقول : ولسنا أحسن حالاً منهم ، نحن ، في هذه الأيام - في آخر القرن العشرين - فنحن في حالة فوضى ، وتفرقة ، وتبعية للأجنبي ، واستزلام للكافرين .

هذه إسرائيل - جرثومة الفساد في الأرض - التي تعتبر كشجرة سوداء في جلد البعير الأبيض ، وهؤلاء هم العرب والمسلمون ، مع كثرتهم الهائلة ، يرونها ويرون ظلمها للشعب العربي الفلسطيني المسلم ، وكيف طردته من بلاده ، على مرأى ومسمع من العالم ...

لا يجركون ساكناً ، وهم فيما بينهم متفرقون ، مُتباغضون مُتقاتلون ، كأسلافهم عين بعين ، والسبب واحد : أولئك كانوا كافرين مشركين ، وهؤلاء عادوا إلى ما كان أسلافهم عليه ، من الإرتداد والكفر ، والجحود

^(١) البحار ج ٢٠/ص ٢٨١

بنظام السماء ، ورحمة أهل السماء ، فكانوا مصداقاً لقوله (صلى الله عليه وآله) :
لتأمرن بالمعروف ، ولتنهئن عن المنكر ، أو ليستعملن عليكم شراركم ،
فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم^(١).

وهذا خير وصف ، وأحسن تعبير ، عن حالة العرب في ذاك الزمان .
وما ذكرته فاطمة الزهراء (عليها السلام) : في معرض كلامها عن حالة العرب
الذين كانت تخاطبهم ، يمكن أن ينطبق على عرب زماننا الذي نحن فيه .

[وكنتم على شفا حفرة من النار]

ما أقرب الكافر من النار ! لأن الإنسان ينتقل بالموت إلى إحدى حالتين :
إمّا إلى النعيم الدائم ، إذا كان من أهله ، وإمّا إلى العذاب الدائم ، إذا كان
من أهله .

فالعرب ! لولا نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ، وبعثته المباركة ، لكان الكفر
والإلحاد باقيين فيهم ، ينقلهم الموت إلى الجحيم ، والعذاب الأليم - فهم
على حافة جهنم بانتظار الموت فقط - .

[مذقة الشارب ، ونهزة الطامع]

^(١) جامع السعادات ج ٢/ص ٢٣٤

إنها (عليها السلام) تصف حال العرب قبل الإسلام من تفرّق وتشردم ، بحيث أنهم يُقضى عليهم كقضاء العطشان على شربة الماء ، ويُطمعُ بهم ، ويُؤكلون وليمةً سهلة لكل جائع .

[وقبسة العجلان ، وموطيء الأقدام]

أي شعلة نار ، أو قبس منها ! لكل من أراد ذلك ، وهو في عجلة من أمره .

وأيضاً وصفتهم (سلام الله عليها) ، بأنهم موطيء لأقدام كل قويّ ، ولا كرامة لهم .

[تشربون الطرق.، وتقتاتون القِد والورق]

أي كنتم تشربون الماء العكر ، المزوج ببول الإبل ، والمتجمّع في المستنقعات ، وموطيء أرجل الحيوانات .

وأما طعامكم فلم يكن أحسن حالاً : فكان الجلد واللحم اليابس المقدد ، وأوراق الشجر ...

ومع أن أرض الله واسعة ، فإنكم لجهلكم وغباكم ، لم تعرفوا كيف تستغلونها ، وتنتفعون بها .

[أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم]

الخاسيء : هو المنبوذ المطرود من قومه لحقارته .

أي وكنتم في حالة من الخوف والرعب ، بحيث أنكم كنتم تتوقعون دوماً
 الهجوم والإعتداء عليكم ، لأن الغزو كان عادة العرب ، وكان يحصل فيه
 كل ألوان الخطف والقتل والظلم ، والإغتصاب والإعتداء بأشكاله وألوانه .
 فالعرب كانوا أذلة خاسمين ، لأنهم كانوا لا يستفيدون من خيرات
 الأرض وزراعتها ، ونمائها الطيب ، ولا يستطيعون أن يسيروا في ركب
 حضارة عصرهم ، ولم يكونوا أحسن حالاً من عرب زماننا .

[فأنقذكم الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله)]

بعد أن أشارت الزهراء (عليها السلام) إلى الحالة المخزية التي كان عليها
 العرب قبل الإسلام ، ذكّرت المسلمين المستمعين إليها بأن المنقذ من هذه
 الحالة التي كانوا عليها هو الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وقالت : إنه
 أبرها !

النور الساطع ، والضياء اللامع ، المنصور المؤيد ، المصطفى الأجد ، أبو
 القاسم محمد (صلى الله عليه وآله) .

[بعد اللتيا والتي]

هذا مثل يضرب في هذا المعنى .

أي بعد أن تحمل الرسول (صلى الله عليه وآله) في سبيل الدعوة إلى الإسلام ،
 ورفع راية الله تعالى في الأرض ما تحمل ، وجرى عليه ما جرى من الأذية

١٣٠

والإعتداء ، تعطينا الزهراء (عليها السلام) فكرةً عن الرجال الذين ابتلي بهم النبي
(صلى الله عليه وآله) فتقول :

[وبعد أن مُنيَ بيَّهم الرجال]

اليَّهم من الرجال هم الأقوياء ، ولكنهم أغبياء ، فهم أقرب إلى الحيوانية
منهم إلى الإنسانية .

فهؤلاء الذين أُبتلي بهم الرسول (صلى الله عليه وآله) ، هم الذين حاربوه ،
وأرادوا القضاء عليه ، وعلى دينه ، بكل ما عندهم من قوة وإرادة ، مع
كثرتهم وقوتهم وشجاعتهم ، ولكن الله سبحانه نصره عليهم وأخزاهم .

[وذؤبان العرب]

الذئب هو ذاك الحيوان المفترس .

ولقد شبهتهم الزهراء (عليها السلام) بالذئب الجشعة المفترسة ، التي ليس لها
ذمام ، أو ضمير ، أو حسن جوار .

ولقد قال الله سبحانه عن هذه الفئة من الناس في كتابه المجيد : ﴿ ولقد
ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا
يبصرون بها وهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل
أولئك هم الغافلون ﴾ ^(١) .

^(١) الأعراف / ١٧٩

[ومردة أهل الكتاب]

وأيضاً أبتلي النبي (صلى الله عليه وآله) ، بالمردة والمحاربين من أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى ، الذين حاربوه وقاتلوه ، وكادوا له المكائد ، ولكن الله نصره عليهم ، وأيده ، وأخزاهم .

[﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ﴾ ^(١)]

لأن الله سبحانه ناصرٌ من نصره ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ^(٢) ﴿ لينصرون الله من ينصره إن الله لقويٌ عزيز ﴾ ^(٣) .

[أو نجم قرنٌ للشيطان ، أو فغرت فاغرة من المشركين]

أي كلما تحرك شيطان من شياطين الكفر ، أو كلما فتح ثعبان فاه ليسمم المجتمع الإسلامي . لأن شياطين الكفر والإلحاد ، وثعابين الشرك والعناد ، بذلوا كل ما عندهم من قوة لكي يقضوا على الإسلام ، ولكن الله تعالى أبى إلا أن يعلي كلمته ، ويتم نوره ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ ^(٤)

^(١) المائدة / ٦٤

^(٢) محمد / ٧

^(٣) الحج / ٤٠

^(٤) التوبة / ٣٢

وكلام الزهراء (عليها السلام) جاء تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ﴾ المتقدم ذكرها .

[قذف أخاه في هوانها]

أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان كلما عرض له عارض من هؤلاء الأعراب ، أمثال مشركي قريش ، ومردة أهل الكتاب ، يقذف الصاعقة القاضية على الكفر والإلحاد : ابن عمه وخليفته علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، الذي وهب نفسه للحق وللدفاع عن راية الإسلام .

[فلا ينكفيء حتى يطأ صماخها بأخصه]

أي إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يتراجع حتى يطأ أذني هؤلاء الأبطال والشجعان من الأعراب برجليه ، وينظم بقوته ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ﴾ بأمر المؤمنين علي (عليه السلام) .

[ويخمد هبها بسيفه]

أي يطفىء نار الحرب ، ويُفني الكفار والمشركين بقوته وسيفه (عليه السلام) .

[مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً ، مجداً كادحاً]

أي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أجهد نفسه وأتعبها لمرضاة الله تعالى ، وهو القريب من رسوله (صلى الله عليه وآله) .

وليس القرب الجسدي فقط ، بل ما تعنيه (عليها السلام) هو القرب المعنوي ، لأنه (عليه السلام) هو نفس النبي (صلى الله عليه وآله) ، بنص قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ من آية المباهلة ^(١) .

وهو (عليه السلام) سيد أولياء الله تعالى ، وأميرهم وقائدهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

[وأنتم في رفاهية من العيش ، وادعون ، فاكهون ، آمنون]

أشارت (عليها السلام) إلى أن المسلمين كانوا في رفاهية وعيش رغيد ، لا يشعرون بالمسؤولية ، يراقبون من بعيد ، ويدعون المسلمين الخللص يجاهدون ، ويقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الإيمان ، فإن انتصروا ، فإنهم منهم ، وإن انكفأوا فإنهم لم يخسروا شيئاً ، وهكذا يحافظون على أنفسهم من المخاطر والتعرض للقتل .

بينما أمير المؤمنين (عليه السلام) كان البطل في كل الأوقات : في ليلة المبيت ، فدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى هاجر من مكة إلى المدينة ، وفي وقعة بدر الكبرى ، ويوم الأحزاب وخيبر ، وهكذا بقية الحروب والغزوات .

^(١) آل عمران / ٦١

وأولئك الصحابة يحافظون على حياتهم ، ويفرون من الزحف والقتال ،
عندما يرون أن النجاة في الهرب والفرار .

ففي يوم أحد كانت المأساة من فرار المسلمين ، ويوم حنين كانت
الفضيحة أكبر ، ويوم خيبر كان العار منطبعاً على جبين الفاشلين ، الذين
عادوا خائبين ، ويوم الخندق كان يوم الخوف والهلع والرعب ، الذي استولى
على النفوس ، وقد صور الله سبحانه الفرع الذي استولى على المسلمين
بقوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ ﴾ * هنالك ابتلي
المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴿^(١).

وأما إمام الأحرار ، الكرار غير الفرار ، كما قال عنه النبي المختار (صلى الله
عليه وآله) ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) فلم ينهزم من زحف قط ، ولم يهرب
من حرب أبداً ، كما ورد ذلك في سيرته ، وفضائله ، وغزواته .

[تتبصون بنا الدوائر ، وتتوكفون الأخبار]

أي عندما تدور معارك طاحنة بيننا وبين المشركين والكافرين ، تنتظرون
أن تأتيكم أخبار هلاكنا ، وتتوقعون أن نهزم ونغلب ، ويقضى علينا ،
ولكن الله تعالى ناصر عبده وأوليائه .

^(١) الأحزاب / ١٠ / ١٢

[وتنكصون عند النزال ، وتفرون من القتال]

أي أن صفاتكم معنا كانت مكشوفة ، ونفاقكم كان معروفاً ، والبراهين على ذلك في المعارك التي انهزمت فيها ، والغزوات التي كنتم أول الفارين منها ، وأعظم برهان على ذلك ، فراركم في غزوة أحد ، وحنين ، وخيبر . وقد روى ذلك العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه النص والإجتهد^(١) .

^(١) المورد / ٥٠ في فرار من فرّ منهم من الزحف . راجع ترى العجب العجاب .

الأصل

فلما اختار الله لنيّه دار أنبيائه ، وماوى أصفياه ، ظهر فيكم حسكة النفاق ، وسمل جلاباب الدين ، ونطق كاظم الفاوين ، ونبغ حامل الأقلين ، وهدر فيق المبطلين ، فخطر في عرصاتكم ، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه ، هاتفاً بكم ، فألفاكم لدعوته مستجيين ، وللغرة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألفاكم غضاباً ، فوسمتم غير إبلكم ، ووردتم غير مشربكم .

هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل ، والرسول لما يقبر ، ابتداراً خوف الفتنة ﴿ ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ .

فهيئات منكم ، وكيف بكم ؟ وأنى تؤفكون ! وكتاب الله بين أظهركم ، أموره ظاهرة ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة ، وزواجه لائحة ، وأوامره واضحة ، وقد خلفتموه وراء ظهوركم !

أرغبة عنه تريدون ، أم بغيره تحمون ؟ ﴿ بس للظالمين بدلا ﴾ ، ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ، ويسلس قيادها ، ثم أخذتم تورون وقدتها ، وتهيجون جمرتها ، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي ، وإطفاء أنوار الدين الجلي ، وإحماد سنن النبي الصفي ، تسرون حسواً في

ارتفاء ، وتمشون لأهله وولده في الحَمَر والضراء ، ونصبر منكم على مثل
حزّ المَدَى ، ووخز السنان في الحشا ، وأنتم الآن ترعمون : أن لا يرث
لنا ، ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾
أفلا تعلمون ؟ بلى ، تجلّى لكم كالشمس الضاحية إني إبنته ! .
أيها المسلمون أغلب على إرثيه ١؟ .

الشرح

حالة المسلمين بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)

بعدهما أن أنهت (صلوات الله وسلامه عليها) سرَّدَ ما جرى في حياة أبيها (صلى الله عليه وآله) ، بدأت بشرح ما ظهر بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) فقالت (عليها السلام) :

[فلما اختار الله لنيِّه (صلى الله عليه وآله) دار أنبيائه ، وماوى أصفياه]

﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾^(١)

أي أن الله سبحانه ينقل أنبياءه وأوليائه من دار الدنيا إلى الدار الآخرة ، نقل رافة ورحمة ، والكافر ينقله بقسوة ونقمة ، لأن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر .

[ظهر فيكم حسكة النفاق ، وسمل جلباب الدين]

أي بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ظهر بالمسلمين النفاق الذي كانوا يُخفُّونه طيلة حياته (صلى الله عليه وآله) ، والحسكة هي الشوكة ، والمراد بها العداوة لأهل البيت (عليهم السلام) .

^(١) القصص / ٦٨

وبظهور النفاق ، يندرس ويختفي رداء الدين ، الذي كان في منتهى الحسن والجمال . وقد ظهر من ذلك أنهم قد استعملوا الدين للدنيا ، ولبسوا جلود الخرفان على قلوب الذمبان .

[ونطق كاظم الغاوين]

أي نطق ، وتكلم الذي كان بالأمس يخاف الكلام ، لأنه من المنافقين ، فيخاف أن يفضحه الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ولذا كان (صلى الله عليه وآله) يهددهم بفضح أمرهم ، وليلة العقبة أكبر شاهد على ما نقول : إذ نجى الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) منهم بإعجوبة ، وقد كشفهم (صلى الله عليه وآله) وسمّاهم بأسمائهم لبعض أصحابه المخلصين^(١) .

بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) أصبح للمنافق سوق يبيع ويشترى فيها ما يشاء .

[ونبغ حامل الأقلين]

أي برز الساقط الخامل ، الذي لم يذكر له التاريخ فضيلة ، أو منقبة طيلة حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)^(٢) .

أما بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) فلقد أصبح من النابغين الظاهرين البارزين .

(١) راجع لإرشاد القلوب للدليمي /ص ٣٣١ والميزان ج ٩/ص ٣٤٤

(٢) راجع دلائل الصدق للشيخ المظفر ج ٣/ص ٩٢ ، وفدك في التاريخ /ص ٩٦ وتعرف على بعض الصحابة الذين لم يكن لهم منقبة أو موقف شريف .

[وهدر فنيق المبطلين]

أي رفع صوته الذي لم يكن يسمع ، كما لم يكن يرى له منقبة أو ذكر .

[فخطر في عرصاتكم]

أي مشى المنافق بينكم متبخترًا نشطاً ، بعد أن كان خاملاً في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، ولا وجود له .

[وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم]

أي أن الشيطان في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان محتفياً ، هارباً خائفاً ، أما بعد وفاته ، فإنه قد خرج من مخبأه ، ودعا أتباعه الذين وعدهم وقال في حقهم : ﴿ لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين ﴾^(١).

ولقد قيل : إذا حضرت الملائكة هربت الشياطين ، أما هنا فينطبق القول : إذا غابت الملائكة حضرت ونطقت الشياطين .
وهكذا .. فالشيطان كان منادياً لكم ، وصارخاً في أنديتكم .

[فالفاكم لدعوته مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين]

أي بعد أن ناداكم واستنهضكم ، وجدكم بانتظار دعوته ، ولتغريه وخذاعه منتظرين ، ولما يريد منكم فاعلين .

(١) الحجر / ٣٩

[ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألفاكم غضاباً]

أي طلب منكم النهوض لإطفاء نور الله تعالى ، فوجدكم قد نهضتم بسرعة وخفة ، ثم حمسكم ورغبكم من أجل فعل الشر ، وغضب حق أصحاب الحق ، فوجدكم مؤازرين له ، مسرعين لمرضاته .

[فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتم غير مشربكم]

أي أنكم أخطأتم في المورد ، والمشرب ، وبالقول والعمل ، ففعلتم أفعالاً ليست لكم ، ولبستم لباساً لا يحق لكم أن تلبسوه .
وهذا إشارة منها (سلام الله عليها) إلى الخلافة التي غضبها ، والمنصب الذي زعموا أنهم أهل له ، وقد غضبوه من أصحابه الشرعيين .

[هذا والعهد قريب]

أي فعلتم كل هذه الأفعال ، وغيرتم في الشرع والدين ، وعهد صاحب الدعوة والدين ما زال قريباً ، لمّا يمضِ على وفاته أيام ، أو ساعات ، وجسمه لمّا يدفن بعد .

[والكلم رحيب]

أي أن الجرح بوفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) واسع .
وهل هناك جرح أوسع وأعظم ، وأشد ألماً على قلوب المؤمنين من وفاة رسول رب العالمين ، وحييب قلوب المؤمنين (صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين) .

[والجرح لما يندمل ، والرسول لما يقبر]

أي ظهرت فيكم علامات الغدر والخيانة ، والتغيير والتبديل عن سنة الرسول ، والرسول (صلى الله عليه وآله) ما زال على وجه الأرض ، لم يقبر بعد ، وجرحنا لفقده وغيابه لم يلتئم .

[ابتداراً خوفاً للفتنة ، ﴿ ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة

بالكافرين ﴾]

أي أنهم ادّعوا : إن استعجالهم في اجتماع السقيفة خوفاً الوقوع في الفتنة .

ولكن الزهراء (عليها السلام) بيّنت أن عملهم هذا هو الفتنة بعينها . بل هي الفتنة الكبرى ، يغضبون الحق من أهله ، ويكذبون على الناس ، ولكنهم في الفتنة سقطوا ، وأيدت (سلام الله عليها) كلامها بقوله تعالى : ﴿ ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾^(١) .

نعم من يغضب الحق من أهله ، ويتجرأ على حرمة الإسلام ، وكرامة نبي الإسلام ، وآله الكرام ، فهو من أهل هذه الآية التي ذكرتها فاطمة الزهراء (عليها السلام) .

[فبهيات منكم ، وكيف بكم ، وأتى تؤفكون]

(١) التوبة / ٤٩

يحق للزهراء (عليها السلام) أن تتعجب من هولاء القوم ، الذين سارعوا إلى اغتصاب الخلافة لتلا تكون هناك فتنة ! .
وهل من عاداتهم أن يحافظوا على عدم حصول فتنة ؟ .
وتتعجب أيضا من هولاء الناس الذين لم يكن لهم ذكر أو منقبة أو موقف كيف انخدعت بهم الأمة ، وصدقت هذه المزاعم الكاذبة ، والإدعاءات الباطلة ! .

[وكتاب الله بين أظهركم]

أي لو لم يكن لهم دليل ، لكانوا أمام الله تعالى من المعذورين ، ولكن كتاب الله تعالى بينهم ، يتلونه آناء الليل ، وأطراف النهار .

[أموره ظاهرة ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة]

أي أن القرآن نزل باللغة العربية ، ولغته واضحة لكل عربي ، وأحكامه مشرقة ومضيئة لكل من يفكر بها .
والعلامات التي يُستدل بها على عظمة القرآن منيرة متألئة ، شعاعها يخطف الأبصار .

[وزواجه لائحة ، وأوامره واضحة]

أي أن القرآن الكريم فيه زواجر ، وأوامر .

فزواجهه ونواهيه عن اتباع الهوى ، وإطاعة النفس الأمّارة بالسوء ، واضحة بيّنة ، وأوامره بطاعة الله سبحانه وطاعتنا ، وأخذ أحكام الدين منّا ، ليست بحاجة إلى دليل أو برهان .

[وقد خَلَّفتموه وراء ظهوركم]

بعد أن ذكرت (سلام الله عليها) القرآن ، وأن دلائله وأحكامه واضحة بيّنة ، تتأسف من تركهم له ، ونبذهم إيّاه ، وجعله وراء ظهورهم .

[أرغبة عنه تريدون ؟ أم بغيره تحكمون ؟ ﴿ بشس للظالمين بدلاً ﴾]
 أي أن الزهراء (عليها السلام) تستفهم منهم استفهاماً توبيخياً ! وتسالهم : لماذا أعرضوا عن القرآن وأحكامه ؟ وهل رغبوا غيره لأنه أفضل منه ؟ أم استبدلوه بغيره من القوانين التي شرعها الإنسان ؟ فبئس ما استبدلوا به ، وأنهم ظالمون لأنفسهم ولغيرهم من الأجيال القادمة .

وقد اقتبست (سلام الله عليها) الشطر الأخير ، من قول الله تعالى في وصف إبليس وأتباعه : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفستخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾ ^(١) .

وجاءتهم بدليل آخر من القرآن الكريم فقالت :

^(١) الكهف / ٥٠

[﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من

الخاسرين ﴾] ^(٢)

وهذا ما حصل بالفعل فقد غيِّروا وبدلوا في كثير من الأحكام ، وجاؤا بأحكام مطابقة لما كان سائداً في الجاهلية .

ومن أراد الأدلة على ذلك فليراجع كتاب النص والاجتهاد للمقدس

السيد عبد الحسين شرف الدين (ره)

[ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ، ويسلس قيادها]

أي أنها (سلام الله عليها) شبَّهت الخلافة بالناقاة النافرة ، التي لا يستطيع أحد ركوبها ، وأن الخلافة سرعان ما تنقاد لكم ، وتهدأ الإضطرابات المضادة لكم ، وتحكمون الناس بما تريدون ، وتطبقون القانون الذي تحبون .

[ثم أخذتم تورون وقرنتها ، وتهيجون جهرتها]

أي أن الزهراء (عليها السلام) تشير إلى ما سيجري عليها من الآلام والمحن ، أو ما سيجري على أبنائها وذريتها من بعدها من القتل والأسر والسي والتشريد وأنهم سيثيرون الفتن ضد أهل البيت (عليهم السلام) كما يُنفخ في الجمره حتى تلتهب .

[وتستجيون لهتاف الشيطان الغويّ]

أي أن الشيطان هو الذي يوسوس في صدور أتباعه من الناس ويغويهم ،
ويبعدهم عن الصراط السويّ ، ومن ثمّ يتبرأ منهم ، كما قال سبحانه عنه :
﴿ ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴾^(١) وقال
سبحانه أيضاً ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني
بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾^(٢) .

نعم : إن المسلمين بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) قد دعاهم الشيطان
فاستجابوا له ، وتركوا دينهم ورسالتهم ، وارتدوا على أدبارهم كافرين ،
ضالين مضلين ، إلا الصفة منهم .

[وإطفاء أنوار الدين الجليّ ، وإخماد سنن النبيّ الصفيّ]

أي أنكم اتبعتم الشيطان الغوي بفعلكم هذا ، وأطفأتم أنوار الدين
الواضحة البيّنة ، وقضيتم على صراط الله المستقيم ، وأخمدتم سنة رسول
رب العالمين (صلى الله عليه وآله) ، الذي كان لا ﴿ ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ
وحي يوحى ﴾^(٣) وكانت سنته صافية ، لا غبار عليها .
ومع هذا تظهرون أنكم تريدون الإصلاح ، والقضاء على الفتنة ،
ولكنكم أوقعتم الأمة في فتنة لا نهاية لها .

(١) إبراهيم / ٢٢

(٢) الحشر / ١٦

(٣) النجم / ٤/٣

[تسرون حسواً في ارتغاء]

هذا مثل يضرب لمن يتظاهر بأنه يشرب رغبة الحليب ، وهو بالواقع يشرب الحليب ، وغرض الزهراء (عليها السلام) بضرب هذا المثل أن تقول للمسلمين : إنكم تظاهرتم بأنكم تريدون الحفاظ على الدين ، والقضاء على الفتنة ، ولكن الحقيقة والواقع هو أنكم لا تريدون إلا الحكم والسلطة ، وسد باب آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ، وإطفاء نور الرسالة المبين ، يقول سبحانه : ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (١) .

[وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء]

الخمر : بفتح الخاء والميم ، هو ما يسترك من الشجر وغيره .
والضراء : هو الشجر الملتف أو الأرض المنخفضة .

وما تريد الزهراء (عليها السلام) قوله : إنها تحاول أن تكشف الذين خدعوا أنفسهم وغيرهم من ضعفاء النفوس ، وعبيد الدنيا ، بأنهم ، حفاظاً على الدين وخوفاً على الإسلام ، سارعوا واختاروا خليفة لهم .
إن ما فعلوه كان مناقضاً ومغايراً لأقوالهم .

(١) التوبة / ٣٢

فهاهم يظهرّون عن خبث نياتهم ، وسوء أفعالهم ، فيمنعون أهل البيت لإرثهم وحقوقهم التي فرضها الله ورسوله لهم ، ويستنون الإعتداء عليهم ، بل وقتلهم وتشريدهم في البلاد .

ولكن الله سبحانه يأبى إلا أن يرفع راية الحق ، في كل زمان ومكان . وهذه راية أهل البيت (عليهم السلام) ترفرف في كل بقاع الأرض ، وهاهم الموالون لأهل البيت (عليهم السلام) ينتشرون في أقطار الدنيا .

[ونصبر منكم على مثل حز المدي ، ووخز السنان في الحشا]

كم كانت معاناة الزهراء (عليها السلام) مؤلمة ، وحزنها شديدا . وهل يمكن لأيّ إنسان أن يصبر على مثل تقطيع الجسم بالسكاكين ، أو على مثل وخز الأمعاء بالسيوف والنبال ؟ وهكذا كان الصبر عند أهل البيت (عليهم السلام) إيمانياً واحتساباً ، من أجل بقاء الدين ، وحفاظاً على شريعة سيد المرسلين ، (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) .

[وأنتم الآن تزعمون : أن لا إرث لنا]

أي لكي تبرروا جريمتكم الكبرى ، وهي غضب الخليفة ، تزعمون وتدّعون إفتراءً وكذباً وزوراً ، أن لا إرث لنا ، وهذه مسألة قد أوضحها القرآن الكريم بأعظم بيان ، وشرحها نبي الإسلام بأفصح لسان .

[﴿ أفحكّم الجاهلية ييغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم

يوقنون ﴾ ^(١)

أرادت (سلام الله عليها) أن تثبت لمن خاصمها وغصب حقها أنه لا يوجد في الوجود سوى حكمين : حكم سماوي إلهي ، وحكم جاهلي عدواني . فالذي لا يريد حكم الله تعالى ، أو لا يسير على طريق الله تعالى ونظامه في الأرض ، فهو سائر لا محالة على طريق الشياطين ، والمشركين الجاهليين . وقد جاءت (عليها السلام) بهذه الآية من سورة المائدة لتذكّرهم ، لعلهم يتذكرون ، وفي التذكير آيات للموقنين .

[أفلا تعلمون ؟ بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحية إنّي إبتته]

هل يعقل أن أحداً من المسلمين لا يعرف من هي فاطمة الزهراء (عليها السلام) ؟ وإبنة من ؟ .

نعم : إنهم يعلمون ذلك ، وضوح الشمس في وسط النهار ، ولكن الشيطان أغواهم ، فأنساهم ذكر الله ، ففعلوا ما فعلوا .

فالزهراء (عليها السلام) تستنكر ، وتشدد اللوم بأنهم يعرفونها ، ويعرفون أن لغضبها يغضب الله تعالى ورسوله ، ولرضاها يرضى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) ومع هذا أصروا على عنادهم .

[أيها المسلمون ! أأغلبُ على إرثيه ؟]

الهاء للوقف والتسكين ، والأصل - إرثي - .

أي أن الزهراء (عليها السلام) التفتت إلى المسلمين معاتبة ومؤنبة ، ومستفهمة
ومستنكرة .

لماذا تسلب إرثها ؟ ولا تأخذ منه شيئاً ، وهي صاحبة الحق ! .

الأصل

يا ابن أبي قحافة ! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟ .
 لقد جئت شيئاً فرياً !! أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ، ونبذتموه وراء
 ظهوركم ؟ إذ يقول : ﴿ وورث سليمان داوود ﴾ ، وقال : فيما اقتصر
 من خبر يحيى بن زكريا إذ قال : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث
 من آل يعقوب ﴾ ، وقال : ﴿ وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
 الله ﴾ ، وقال : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾
 وقال : ﴿ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على
 المتقين ﴾ .

وزعمتم : أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ، ولا رحم بيننا ،
 أفخصكم الله بآيةٍ أخرج أبي منها ؟ .

أم هل تقولون : إن أهل ملتين لا يتوارثان ؟ .

أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟ .

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟ ! .

فدونكها مخطومة مرحولة ، تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ،

والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون .

ولا ينفعكم إذ تندمون ، ﴿ ولكل نباٍ مستقر وسوف تعلمون ﴾ ،

﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ .

الشرح

الزهراء (عليها السلام) تأتي بأدلتها

ومن ثم التفتت فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى الرئيس والزعيم ، الذي جلس مجلساً لا يحق له الجلوس فيه ، وليس هو بأهل له ، وقالت له :

[يا ابن أبي قحافة]

بدأت الصديقة الطاهرة (عليها السلام) بتوجيه الخطاب إلى الرئيس بإسم والده فلماذا لم تخاطبه : بيا خليفة رسول الله ؟ ! . جوابنا على ذلك أولاً : إن الزهراء (عليها السلام) لا تعتقد بأنه خليفة رسول الله ، لأنه (صلى الله عليه وآله) لم يستخلفه .

وثانياً : لِمَ لم تخاطبه بالكنية ؟ كأن تقول : - يا أبا بكر - لأن الخطاب بالكنية للتعظيم ، وهي لم تكن في موقف تعظيم ومدح ، بل هي في موقف معارضة ، وفضح للمؤامرة .

وثالثاً : إن خطابها له بابن أبي قحافة ، هو للطعن به وبوالده ، لأن أبا قحافة لم يكن ذاك الرجل الوجيه ، المعتبر في المجتمع العربي الجاهلي . فقد

كان خادماً ينقل الطعام من المطبخ إلى مضيف عبد الله بن جذعان في الطائف ، وكان منادياً إلى مائدته (١) .

فمخاطبتها (عليها السلام) له بهذا الشكل هو تعريض به وبأبيه .

روى في العقد الفريد ، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ، قال : إن أبا سفيان صخر بن حرب كان غائباً عندما توفي النبي (صلى الله عليه وآله) ، وفي طريق عودته لقي رجلاً مقبلاً من المدينة .

قال له : مات محمد ؟ قال : نعم .

قال : فمن قام مقامه ؟ قال : أبو بكر .

قال أبو سفيان : فماذا فعل المستضعفان عليّ والعباس ؟ قال : جالسين .

قال : أما والله لئن بقيت لهما لأرفعن من أعقابهما ثم قال : إنني أرى غيرة لا يطفئها إلا دم .

فلما قدم المدينة جعل يطوف في أزقتها ويقول :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيّما تيم بن مرة (٢) أو عدي (٣)

فما الأمر إلا فيكم وإليكم ولس لها إلا أبو حسن علي (٤)

ونقل في كتاب دلائل الصدق ، عن كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري

برواية إبن أبي الحديد ، قال : عندما رجع أبو سفيان من سفره ، وتعلم أنه

(١) فاطمة الزهراء من المهدي إلى اللحد / ص ٥١٥

(٢) الجند الأعلى لأبي بكر

(٣) الجند الأعلى لعمر بن الخطاب

(٤) عبد الله بن سبأ / ص ١١٨

قد مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قال ومن ولي بعده ؟ قيل له : أبو بكر
قال : أبو فضيل ؟ قالوا : نعم .

إلى أن قال : فكلّم عمر أبا بكر فقال : إن أبا سفيان قد قدم ، وإنّا لا
نأمن شره ، فدفع له ما في يده ، فتركه فرضي ^(١) .

وروى في تاريخ الطبري : إن أبا سفيان ، بعد رجوعه من سفره ، قال
لعلي - (عليه السلام) - : ما بال هذا الأمر - أي الخلافة - في أقل حي من
قريش ، والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ...

وفي رواية أخرى قال أبو سفيان : ما لنا ولأبي فضيل إنما هي بنو عبد
مناف ، قال : فقيل له : إنه قد ولّى ابنك - أي جعله والياً على بعض
المناطق - قال : وصلته رحم ^(٢) .

إذن أبو بكر لم يكن له ذاك التاريخ العريق ، بل كان محل سخرية وهزاء
من أبي سفيان بقوله : أبي فضيل ، ولهذا تركوا له الأموال التي كانت في
يده ، وجعلوا ابنه والياً لكي يسكتوه ، فكانوا معه كرماء ، إلى أقصى
درجات الكرم .

أمّا فاطمة الزهراء (عليها السلام) : فقد حرموها من كل شيء ، حتى من
الحياة !.

فبعد أن نادته (سلام الله عليها) بهذا النداء الذي كله احتقار واستصغار ،
قالت :

^(١) دلائل الصدق ج ٣/ص ٥٢

^(٢) تاريخ الطبري ج ٣/ص ٢٠٢ ، وفدك في التاريخ /ص ٦٧

[أفي كتاب الله أن توث أباك ولا أرت أبي ؟ لقد جئت شيئاً فرياً]

بدأت الزهراء (عليها السلام) بهجومها على الطاغية الباغي الغاصب ، وألقت عليه أول حجة لها بإستفهام إستنكاري . فهل يعقل أن كل إنسان يرث أباه إلا فاطمة (عليها السلام) ؟ لقد جئت - ياأبا بكر- فعلاً منكراً ، وأمرأ قبيحاً ، وبدعة بالدين جديدة ، حيث تؤول القرآن وتفسره على هواك !!.

[أفعلى عمد تركتم كتاب الله ؟ ونبذتموه وراء ظهوركم]

أخذت تستغرب وتستنكر عليهم تركهم كتاب الله الذي سيسألون عن أحكامه يوم القيامة .

لماذا تركوه ونبذوه وراء ظهورهم ، لعلها توقظ ما بقي عندهم من ضمير أو إيمان أو دين ، إن كان بقي عندهم شيء ! .
وجاءتهم بحجج من كتاب الله تعالى . وهل هناك حجة أقوى من كتاب الله تعالى لقوم يؤمنون ؟ .

[إذ يقول : ﴿ وورث سليمان داوود ﴾]^(١)

إن داوود وسليمان (عليهما السلام) كانا نبيين ، بصريح القرآن الكريم ، وقد ورث سليمان من أبيه المال ، وليس النبوة والعلم كما ادعى البعض ، لأنه كان نبياً في حياة أبيه داوود^(٢) .

^(١) النمل/١٦

^(٢) دلائل الصدق ج٣/ ص٦١

وقال الزمخشري في تفسير الكشاف : وروي أن سليمان (عليه السلام) غزا أهل دمشق ونصيبين ، فأصاب ألف فرس ، وقيل : ورثها من أبيه ، وأصابها أبوه من العمالة ^(١) . وكذلك قال البيضاوي ^(٢) .

[وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا ، إذ قال : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾]

وجاءت (سلام الله عليها) ببرهان ثان من كتاب الله عز وجل : وهو أن الأنبياء يرثون ويورثون ، رداً على الذي ترأس المسلمون ، وادعى أن الأنبياء لا يُورثون .

فالآية الأولى ، أثبتت بالمطلق أن نبي الله سليمان (عليه السلام) ورث من أبيه المال .

وهذه الآية تستدل (سلام الله عليها) بها على أن زكريا (عليه السلام) خاف من الموالى - والموالى هم أبناء العم والأقارب -

قال في الكشاف : إن الموالى كانوا أشرار بني إسرائيل ^(٣) .

فهل يعقل أن زكريا خاف من أشرار بني إسرائيل أن يرثوا النبوة والعلم من بعده فطلب من الله تعالى أن يرزقه غلاماً لذلك الإرث ؟!

^(١) الكشاف ج ٤/ص ٩١

^(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد /ص ٤٥٤

^(٣) دلائل الصدق ج ٣/ص ٦٣

بل الحق والحقيقة أنه خاف على الأموال من بعده ، فسأل الله تعالى أن يرزقه غلاماً يرثه ، ويرث آل يعقوب ، وذلك معروف من مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وهذا بإجماع علمائهم ، وحتى أغلب مفسري أهل السنة على ذلك .

قال الفخر الرازي في تفسيره - بعد أن ذكر الاختلاف على أقوال -
قال : أحدها أن المراد بالميراث بالموضوعين -أي بالآيتين - هو وراثته المال ، وهذا قول : ابن عباس والحسن والضحاك .

أو يرث المال والنبوة : عن السدي ، ومجاهد ، والشعبي^(١)

فالزهراء (عليها السلام) جاءت بشطر من الآية ، ولنذكر الآية من أولها ، قال سبحانه : ﴿ قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ... * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضياً ﴾^(٢) .

بهذه الآيات احتجت فاطمة الزهراء (عليها السلام) : إن زكريا خاف على ماله أن يرثه أبناء عمومته الأشرار الأشقياء ، ولم يكن خوفه على العلم والنبوة ، كما زعم الذين أعماهم التعصب ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وغرهم بالله الغرور ، ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُرَدُّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾^(٣) .

(١) دلائل الصديق ج ٣ / ص ٦٢

(٢) مريم / ٦٤

(٣) البقرة / ٨٥

[وقال : ﴿ وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ (١)
 وقال : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ (٢)
 وقال : ﴿ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على
 المتقين ﴾ [(٣) .

هذه الآيات الثلاثة : إنما تذكر التوارث مطلقاً عند عموم الناس ، الأنبياء
 وغيرهم ، وهذا ما احتجّت به الزهراء (عليها السلام) ، وهي أعظم حجة لو
 كانوا يفتقرون ، أو على الوفاء بعهد الله عازمين .
 جاءتهم بآيات عن توارث الأنبياء خاصة ، وعن توارث عموم الناس .
 فهل رجعوا عن غيهم وظلمهم ؟ وهل ارتدعوا عن غضب حق أصحاب
 الحق ؟ ﴿ بنس للظالمين بدلاً ﴾ .

[وزعمتم أن لا حظوة لي ، ولا إرث من أبي ، ولا رحم بيننا]
 أي أنكم ادّعيتم ، وأنتم تعلمون أن ما قلتموه كذباً وزوراً ، أن لا قرابة
 بيني وبين أبي ، ولا منزلة لي عنده ، بحيث يخصكم بالحديث الذي منعموني
 الارث من خلاله ، ولا يخبرني بذلك ! .
 لقد جئتم بكثير من الافتراءات والأكاذيب .

(١) الأنفال / ٧٥

(٢) النساء / ١١

(٣) البقرة / ١٨٠

[أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها]

أي هل أن الله خصكم ، وأنزل عليكم آية من كتابه المجيد تتحدث عن الميراث ، وأخرج أبي منها ؟ .

أم أن آيات الميراث ليست عامة تشمل جميع الناس ؟ .
أم أن أبي ترك ذرية غيري ، وهم أقرب مني إليه رحماً ؟ .

[أم هل تقولون : إن أهل ملتين لا يتوارثان ؟]

أي أن الزهراء (عليها السلام) تحتج عليهم بموانع الإرث .
ومن موانع الإرث : أن يكون كل من الوارث والموروث على ملة ودين مختلف .

فقالت (عليها السلام) : فهل تقولون : وتصل بكم الجرأة أن تتهموني وأبي أن كل واحد منا على دين يخالف به دين الآخر ؟ حتى لا نتوارث !

[أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟]

يا لبحور الزمان ! لقد آلت الأمور إلى أن بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله) ،
وسيدة نساء العالمين ، من الأولين والآخرين ، تصل إلى هذا المستوى من
الاستنكار والاحتجاج على القوم .

إنها تثبت لهم أنها (سلام الله عليها) ، وأبيها (صلى الله عليه وآله) من ملة واحدة ،
ودين واحد .

[أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟]

وتزيد الزهراء (عليها السلام) من استنكارها وتعجبها ، من فعل هؤلاء القوم ، الذين غصبوا الخلافة ، وادعوا منصباً ليسوا بأهل له .
هذا المنصب بحاجة إلى عالم بكل علوم القرآن الكريم ، عامه وخاصه ، مطلقه ومقيده ، مجمله ومبينه ، محكمه ومتشابهه ...
أوضحت الزهراء (عليها السلام) أن الحاكم الإسلامي يجب أن يكون أشجع الناس ، وأورع وأتقى ، وأعلم الناس .
وهذه الصفاة المحمودة لا تجتمع إلا في رسول رب العالمين ، وفي وليه وخليفته ، وحِصن الإسلام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) .

[فدونها مخطومة مرحولة ، تلقاك يوم حشرك]

أي خذها إليك جاهزة مهيأة ، وهي إشارة إلى فدك ، وربما كانت الإشارة إلى الخلافة والإمارة ، وشبهتها بالناقة المسرجة الجاهزة للسفر .
فالخطم : هو الزمام الذي تقاد به الناقة .
والرحل : مثل السرج للفرس يوضع على ظهر الناقة للسفر والترحال .
وفي كلام الزهراء (عليها السلام) التهديد للمخاطب - وهو خصوص أبو بكر لأنه الغاصب والمعتدي - لما سيؤول إليه أمره يوم القيامة .

يقال للمعتدي : إفعل ما شئت ، فسوف ترى عاقبة أمرك عن قريب ،
وسيلقى كل امرئ نتيجة عمله يوم القيامة . ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً
ولا يظلم ربك أحدا ﴾^(١)

[فنعلم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعود القيامة]

ما أبلغ هذا الكلام ، وما أعظم هذا الوعيد ، لقوم يعقلون .
تصوير رائع ، ومشهد مهيب ليوم القيامة : الحاكم هو الله سبحانه
وتعالى ، نستجير بالله من غضب الله عز وجل ، والزعيم والقائد والمسؤول
الأول هو نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ، له المقام المحمود ، الذي يحمده ويغبطه
عليه كل أهل المحشر ، وله الشفاعة الكبرى ، والمكانة العظمى يوم القيامة .
وكفى بهذا اليوم عزاً وعظمةً للمحقين ، وذلاً وعاراً للظالمين .
عندها سيقف الجميع بين يدي الخالق العادل ، الذي سيأخذ للمظلوم
حقه من الظالم .

[وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذ تندمون]

نعم كفى بيوم القيامة خسارة كبرى لأصحاب الباطل ، الذين استهانوا
بالله تعالى ، وبرسوله ، ولم يطبقوا قانونه ، بل اعتدوا على أوليائه ، وفتكروا
وشردوا ، وغضبوا وظلموا ...

^(١) الكهف / ٤٩

فلهم موعد لا يعدونه ، ولهم ساعة بها يندمون ، ولكن هل ينفعهم الندم في ذلك الحين ؟ ! .

لأن مجال التوبة والندم في الدنيا ، وأما في الآخرة فلا ينفع الندم ، ولا ينفع التأسف ، وسيخسر الذين أبطلوا حدود الله تعالى .

فالزهراء (سلام الله عليها) أدجت كلام الله تعالى في كلامها .
فحسارة المبطلين : أخذتها من قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾ ^(١) .

وأخذت (عليها السلام) عدم منفعة الندم للنادمين من قوله تعالى : ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ ^(٢) .

وقوله سبحانه في آية أخرى : ﴿ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ ^(٣) .
فالزهراء (عليها السلام) ألقت عليهم أعظم حجة ، وأبلغ نصيحة ، ولم تترك لهم أي اعتذار أو تبرير لأعمالهم الشنيعة .

[﴿ ولكل نباً مستقر فسوف تعلمون ﴾ ، ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه

ويحل عليه عذاب مقيم ﴾]

^(١) غافر / ٧٨

^(٢) يونس / ٥٤

^(٣) سبأ / ٣٣

ما زالت الزهراء (عليها السلام) تهدد الغاصب ، وتأتي بآيات من كتاب الله المجيد ، وتذكّره ، علّه يرتدع ويعود عن غيّه ، ويتوب إلى الله تعالى ، ويُرجع الحق إلى أهله ، فجاءته آيتين في آخر هذا الفصل ، قبل أن توجه خطابها إلى الأنصار ؛ الأولى : قوله تعالى : ﴿ لكل نباً مستقر وسوف تعلمون ﴾ ^(١) .

أي لكل خير ونبأ مكان مستقر فيه ، وسوف نرد عليه ، ونحاسب . فإذا كان خيراً ، فلنا فيه الخير ، وإذا كان شراً فلنا فيه الشر .
الثانية : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ويحمل عليه عذاب مقيم ﴾ ^(٢) .

نعوذ بالله من غضب الله تعالى وعذابه الدائم ، ونستجير به عز وجل من ذاك العذاب المخزي ، الذي لا شرف فيه ، ولا كرامة .
أي عاقل يسمع هذا الكلام ، ويفكر في مغزاه ، وما يرمي إليه كلام الله سبحانه ، ومن ثمّ يظلم أو يعتدي على أحدٍ بعده .

^(١) الأنعام / ٦٧

^(٢) الروم / ٤٠

الأصل

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت :

يامعشر النقيية ، وأعضاء الملة ، وحصنة الإسلام .

ما هذه الغمزة في حقي ، والسنة في ظلامتي ؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبي يقول : (المرء يحفظ في ولده) ؟ سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة ، ولكم طاقة بما أحاول ، وقوة على ما أطلب وأزاول ، أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله) ؟ فخطب جليل : استوسع وهنه ، واستنهر فقهه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيته ، وكسفت النجوم لمصيته ، وأكدت الآمال ، وخشعت الجبال ، وأضيع الحريم ، وأزيلت الحرمة عند مماته .

فتلك والله النازلة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه ، في أفئيتكم ، وفي ممساكم ومصبحكم ، يهتف في أفئيتكم ، هتافاً وصراخاً ، وتلاوةً وألحاناً ، ولقبه ما حل بأنباء الله ورسله ، حكم فصل وقضاء حتم : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل أقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

إيهأ بني قيلة ! أهضم تراث أبي ؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع ، ومنتدى
ومجمع ، تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعُدَّة ،
والأداة والقوَّة ، وعندكم السلاح والجنَّة .

توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ، وأنتم
موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي أنتخبت ،
والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت .

قاتلتم العرب ، وتحملتكم الكدَّ والتعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم
البهيم ، لا نبرح أو تبرحون ، نامركم فتأتمرون ، حتى إذا دارت بنا رحي
الإسلام ، ودرَّ حلب الأيام ، وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة
الإفك ، وخذت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام
الدين ، فأنى جرتم بعد البيان ، وأسررتم بعد الإعلان ؟ .

بؤساً لقوم ﴿ نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وهمّوا باخراج الرسول
وهم بدؤكم أول مرّة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ .
ألا : وقد أرى أن أخلدتم إلى الخفض ، وأبعدتم من هو أحقُّ بالبسط
والقبض ، وخلوتم بالدعة ، ونجوتم من الضيق بالسعة ، فمجتتم ما
وعيتم ، ودسعتم الذي تسوغتم ، ف ﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض
جميعاً فإن الله لغني حميد ﴾ .

ألا : وقد قلت ما قلت هذا ، على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم ،
والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ ،

وَخَوْرَ الْقَنَاةِ ، وَبِئْسَ الصَّدْرُ ، وَتَقْدِمَةُ الْحِجَّةِ ، فَدُونَكُمْوَهَا ، فَاحْتَقِبُوهَا ،
 ذَبْرَةَ الظَّهْرِ ، نَقِيَّةَ الْحُفِّ ، بَاقِيَةَ الْعَارِ ، مُوسِوَمَةَ بَغْضَبِ الْجِبَارِ ، وَشِنَارِ
 الْأَبْدِ ، مُوَصُولَةَ بـ ﴿ نَارِ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ فَبَعِينِ
 اللَّهُ مَا تَفْعَلُونَ ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ وَأَنَا ابْنَةُ
 نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَاعْمَلُوا إِنَّمَا عَامِلُونَ ، وَانْتَظِرُوا إِنَّمَا
 مُنْتَظِرُونَ .

خطاب الزهراء (عليها السلام) للأنصار

الشرح

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت :

[يا معشر النقية ، وأعضاء الملة ، وحصنة الإسلام]

بعد أن أنهت (سلام الله عليها) الكلام الذي أرادت أن تذكر به الرئيس الغاصب وقد وجهت له بعض العبارات اللاذعة ، المرشدة لعلها توقظه من غفلة حب الدنيا - الذي هو رأس كل خطيئة - ، ومن سكرة حب المنصب الذي وصل إليه بالطرق الشيطانية ، بعد هذا ، أرادت أن تذكر الأنصار ، الذين حضنوا الإسلام ، ونبى الإسلام ، فقالت : يا معشر النقية ! أي أيتها الطائفة النجبية ، يا أصحاب الفتوة والشهامة .

نسبت إليهم ذلك لأنها تريد أن تهيج عزائمهم وعواطفهم . فوصفتهم بأنهم أعوان الدين ، الذين ساعدوا على إعلاء كلمته في المدينة ، وحضنوا الإسلام والمسلمين ، فكان لهم الفضل في بزوغ شمس الهداية ، وفي انتقلهم من مرحلة الهروب من مكة إلى مرحلة المواجهة في المدينة .

[ما هذه الغمزة في حقي ، والسنة في ظلامه . ٢٩]

بعد أن مدحتهم (سلام الله عليها) ، أخذت بعتابهم ، وإلقاء اللوم عليهم ، وتستنكر التغافل ، والتقصير في أخذ الحق ممن ظلمها ، والسكوت عن أخذ حقها وردّ إرثها المشروع .

والغميزة : هي التغافل والسكوت عن إعطاء الحق .
والسنة : بكسر السين ، هو الفتور في أول النوم .
والظلامة : هو ما يأخذه الظالم منك ، وأنت تطالب به .
وغرض الزهراء (عليها السلام) أن تقول لهم : هل أنتم غافلون ، أم متغافلون عن ظلامي ، فلا تنصفوني ممن ظلمني ؟ ! .

[أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبي يقول : المرء يحفظ في ولده ؟!]
أي أن كرامة الإنسان تحفظ في كرامة أولاده ، وحفظ حقوقهم .
بُوساً لتلك الأيام التي أحوجت الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين ، أن تطالب أولئك الأعراب ، بأن يحفظوها ، ويراعوا كرامتها ، وقربها من أيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

[سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة]

أي تتعجب (سلام الله عليها) من سرعتهم في التغيير والتبديل في سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وفي الإفتاء عليه في الأقوال .
وعجلان ذا إهالة : هذا مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل حدوثه .
والمعنى : إنكم دبرتم الأمور ضدنا بكل استعجال ، وبكل سرعة .

[ولکم طاقة بما أحاول ، وقوة علی ما أطلب وأزاول]

أي أنکم باستطاعتکم مساعدتي ، وإنصافي ، وعندکم المقدرة علی إرجاع ظلامتي من ظلمي .

[أتقولون : مات محمد (صلى الله عليه وآله) ؟]

أي أن الزهراء تستفهم وتستنکر عليهم أنهم يقولون : مات محمد (صلى الله عليه وآله) ، يعني : مات دينه وتراثه بموته !!؟
وهذا ما جعلکم تتجرؤون علينا أهل البيت ، وتظلموننا وتغصبون حقنا !

[فخطب جليل ، استوسع وهنه ، واستنهر فتيقه ، وانفتق رتقه]

بلى : وأي مصيبة أعظم من مصيبة فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .
هذه المصيبة هي كالحصن الذي تشقق ، واتسعت الشقوق فيه ، أو كالطعنة التي أحدثت جرحاً والجرح مازال يدمي ، أو كالشق الذي كان ملتصقاً ، ومن ثم انشق ثانية ، وهذه الصفات تعود إلى الخطب الجليل ، والمصيبة بفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

[وأظلمت الأرض لغيبته ، وكسفت النجوم لمصيبته]

أي عند غيابه أظلمت الدنيا بعد أن كانت منيرة بطلعته البهية ، ومشرقة بأنواره القدسية ، وبغيابه غاب عن الأرض وحي السماء بواسطة الأمين جبرائيل (عليه السلام) .

[وأكدت الآمال ، وخشعت الجبال]

أي بوفاته (صلى الله عليه وآله) ، انقطعت الآمال ، وخابت الظنون ، وخشعت وتناثرت الجبال مع عظمتها من هول فقدته وغيابه (صلى الله عليه وآله) ، وهو من قوله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَهُ خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ (١) .

[وأضيع الحريم ، وأزيلت الحرمة عند مماته (صلى الله عليه وآله)]

حريم الرجل هم أهله وعائلته .
وقد أشارت (سلام الله عليها) بأنه بعد وفاة أبيها ، أضيعت حريمه ، وأعتدى على أهل بيته (عليهم السلام) بالضرب والقتل والتشريد .
ولم يبقَ لهم أي احترام في نفوس المسلمين ، بحيث أن أي أعرابي لا يفقه من الدين شيئاً ، له اعتبار واحترام أكثر من أهل البيت (عليهم السلام) .

[فتلك والله النازلة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، لامثلها نازلة ، ولا

[بائقة عاجلة]

وأي داهية كبرى ! .

وهل من مصيبة أعظم من تغيير مجرى الدين ، وسيرة الرسالة ، التي ضحى من أجلها سيد المرسلين ما ضحى ، وعانى من أجلها ما عانى ؟ .

فموته (صلى الله عليه وآله) بجد ذاته مصيبة كبرى ، فكيف إذا حرّفوا الدين من بعده ؟ وجعلوا منه مطية يركبونها للوصول إلى مآربهم وغاياتهم الدنيوية الزائلة .

[أعلن بها كتابُ الله جل ثناؤه في أفئيتكم ، في ممساكم ومصباحكم ، هتافاً وصراخاً ، وتلاوةً وألحاناً]

أي أن كتاب الله عز وجل يتلى في بيوتكم ، في مسائلكم وصباحكم ، بأصواتٍ مختلفة شدةً وضعفاً ، وعلواً وانخفاضاً ، وبأشكالٍ مختلفةٍ ، سواء كان تلاوةً ترتيل ، أو بصوت مع لحن وتجويد .

[ولَقَبْلَهُ مَا حَلَّ بِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ، حَكْمَ فَصْلِ ، وَقَضَاءِ حَتْمِ]

أي أن الله سبحانه قد ذكر في كتابه المجيد قِصَصَ أَنْبِيَائِهِ الْكِرَامِ ، وَرُسُلِهِ الْعِظَامِ ، وَمَا جَرَى لَهُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ ، وَمَا جَرَى لِقَوْمِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ الْإِرْتِدَادِ وَالْإِنْحِرَافِ .

وليس أبي محمد (صلى الله عليه وآله) غيرهم ، بل هو منهم ومثلهم ، ولستم أنتم بأفضل من قوم أيّ نبيّ من أنبيائه ، مثلكم كمثلكم ، وحالكم كحالهم ، بالتراجع والإرتداد عن الدين ، والعبودية للمردة والشياطين .

[وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين]^(١)

بعد أن بينت (سلام الله عليها) أن أباه (صلى الله عليه وآله) كبقية الأنبياء (عليهم السلام) ، وأن أمته ليست إلا كبقية الأمم ، جاءت بالآية الكريمة شاهداً على قولها ، وتصديقاً له .

والمعنى : أن محمداً (صلى الله عليه وآله) يأتي عليه الموت كما أتى على الأنبياء (عليهم السلام) ، لأن كل نفس لا بد أن تذوق الموت ، قراراً لإلهياً جارياً على جميع المخلوقات .

ولكن موته (صلى الله عليه وآله) لا يعني موت شريعته ودينه ، إلا أن تخرجوا من الدين كما دخلتم به ، وتعودوا على أعقابكم القهقري ، تعبدوا الأصنام والأوثان كما كنتم .

ومن يرتد منكم عن دينه ، ويعود إلى الجاهلية فلا يضر إلا نفسه ، والله سبحانه يجازي الشاكرين ، الذين هم على دينهم صامدين ، ولربهم مطيعين روى في تفسير الميزان : عن تفسير القمي ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال : لتزكبن سنة من كان قبلكم ، حذو النعل بالنعل ، والقُدَّة بالقُدَّة^(٢) ، لا تخطئون طريقهم ، ولا يخطيء شير بشر ، وذراع بذراع ، وباع بباع ،

^(١) آل عمران / ١٤٤

^(٢) قال في مجمع البحرين ج ٣/ص ١٨٦ القُدَّة بالضم والتشديد : ريش السهم ، والجمع قُدود (حذو القُدَّة بالقُدَّة) أي كما يقدر كل واحدة من الريش على قدر صاحبها وتقطع ، ضرب مثلاً للشيعين ، يستويان ولا يتفاوتان .

حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : اليهود والنصارى تعني يارسول الله ؟ قال : فمن أعني ؟ لَتَنْقُضَنَّ عُرَى الإسلام عُرْوَةَ عُرْوَةٍ ، فيكون أول ما تنقضون من دينكم الأمانة ، وآخره الصلاة (١) وروى أيضا : عن صحيحي البخاري ومسلم ، عن أنس ، أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : كَيْرِدَنَّ عَلِيَّ الحوض رجال ممن صاحبي ، حتى إذا رُفِعُوا اختلجوا دوني ! فلاقولنَّ : أي رب أصحابي ، فليقلنَّ : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . . (٢)

وروى أيضا : عن الصحيحين ، عن أبي هريرة ، أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي - أو قال من أمتي - فيحلّون (٣) عن الحوض ، فأقول : يارب أصحابي فيقول : لا علم لك بما أحدثوا بعدك ارتدوا على أعقابهم القهقري (٤) .

[إيها بني قيلة ، أهضم تراث أبي ، وأنتم بمرأى مني ومسمع ،

ومنتدى ومجمع]

أي أيها الأنصار الشجعان ! أظلم بينكم ، وأسلب تراث أبي ، وأنتم ترون ذلك وتسمعون ، وأنه لا يفصلنا أي فاصل زمني أو مكاني !؟ .

(١) الميزان ج ٣ / ص ٣٨٠ والبحار ج ٢٨ / ص ٢٤ .

(٢) نفس المصدر

(٣) أي يُصلون عنه ويمنعون من وروده .

(٤) نفس المصدر ونقل في البحار ج ٢٨ / ص ٢٢ وما بعدها عن الصحاح عند السنة في دعول بعض الصحابة النار وطردهم عن الحوض ! راجع .

وبني قيلة : هم فييلتا الأوس والخزرج ، نسبة لأحد أجدادهم .

[تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة]

أي كيف أظلم بينكم ، وأنتم تسمعون دعوتي ومناشدتي ، وأنتم تعرفون بأنه يجب نصره المظلوم ، وإرجاع حقه إليه من ظالمه .

[وأنتم ذووا العُدَّة والعُدَّة ، والأداة والقوَّة]

تتعجب الزهراء (عليها السلام) وتزداد تعجباً واستغراباً ، من الأنصار لِمَ لا ينصرونها ، وهم طالما دافعوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعن الإسلام وهم الآن لا ينقصهم شيء من العدد والعُدَّة والعتاد ، والوسائل التي يحتاجها المحارب .

[وعندكم السلاح والجُنَّة]

أي ما عذرکم وأنتم لا ينقصكم شيء للدفاع عن مظلوميتي .
فوسائل الحرب والدفاع عن المظلومين ما زالت عندكم ، فليَمَ هذا التواني والتعاس عن نصرتي ؟ .

[وتوافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تعينون]

ويل لأولئك المسلمين ، لقد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، كأنهم خشب مسندة .

تدعوهم سيدة نساء أهل الجنة ، وأهل الدنيا والآخرة ، وتصرخ في آذانهم ، وهم جامدون ، كأن في آذانهم وقرا .

[وأنتم موصوفون بالكفاح ، ومعروفون بالخير والصلاح]
أي ما هذا التواني والتقاعس عن نصرتي وأنتم معروفون ومشهود لكم بالكفاح ، والدفاع عن الدين ، وقد اشتهرتم بالعبادة والتقوى والخير والصلاح تناديهم (سلام الله عليها) وتستنهضهم ، ولكن لا حياة لمن تنادي .

[والنخبة التي انتخبت ، والخيرة التي اختيرت]
أي وأنتم الذين انتخبكم الله للدفاع عن دينه ، والجهاد في سبيله ، واختاركم لتكونوا أنصاراً لرسوله (صلى الله عليه وآله) ، وحضنة لرسالته .

[قاتلتم العرب ، وتحملتكم الكدّ والتعب]
أي أنكم قاتلتم العرب ، وجاهدتم في سبيل الذود عن الإسلام ، ونشر الرسالة السماوية ، وتحملتكم الكثير من العناء والصعاب في سبيل ذلك .

[وناطحتم الأمم ، وكافحتم البهم]
أي وصل بكم الأمر أنكم حاربتم الأمم ، والمثلل من اليهود والنصارى ، وبارزتم الشجعان من الرجال لمؤازرة الدين ، ونصرة سيد المرسلين .

[لا تبرح أو تبرحون ، نأمركم فتأثمرون]

أي كان هذا النجاح الذي وصلتكم إليه ، والعزة والمنعة التي حصلتموها ، كانت بفضل طاعتكم لنا ، وامتثالكم لأمرنا ، لأن أمرنا من أمر الله تعالى ، وطاعتنا طاعة الله عز وجل .

[حتى إذا دارت بنا رحي الإسلام ، ودرّ حلب الأيام]

أي حتى إذا انتظم بنا أمر الإسلام ، وانتصرتم بنا على كل من عادى كلمة (لا إله إلا الله) ، وظهرت بنا الخيرات ، وأنزلت السماء بركاتها ، وأخرجت الأرض خيراتها .

[وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الإفك ، وخذت نيران الكفر]

أي بعد أن سُدت أبواب الشرك ، وقُضيَ على الكفر والإفك والإلحاد .

[وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين]

أي بعد انقضاء عهد الفوضى والتحلل والهرج والرذيلة ، الذي كان يُخيّم على الجزيرة العربية ، وبعد أن استتب الدين الحنيف ، وانتشرت آياته ، وعلت كلمة التوحيد .

[فأثى حرّم بعد البيان ، وأسرّتم بعد الإعلان]

أي لماذا هذه الحيرة ، بعد أن كان ذلك بيناً لكم وواضحاً ؟ ولماذا هذه السرية في أموركم ، بعد أن كان لا يوجد بيننا وبينكم أي سرّ ؟ وقد عين لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) خليفة ، وأوضح لكم كل ما تحتاجونه من أمور دينكم ودنياكم وآخرتكم .

[ونكصتم بعد الإقدام ، وأشركتم بعد الإيمان]

أي ولماذا هذا التراجع عن الدين ، وسنة سيد المرسلين ، بعد أن أقدمتم ، وأصبحتم خير أمة أخرجت للناس ؟ .
ولماذا رجعتم إلى الشرك والإلحاد ، والكفر والعناد ، بعد أن تذوقتم حلاوة الإيمان ؟ .

[بؤساً لقوم ﴿ نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾]^(١)

الزهراء (عليها السلام) ، كعادتها ، تدمج كلام الله تعالى من كتابه المجيد ضمن كلامها .

وهذه الآية نزلت في الكفار الذين نكثوا إيمانهم ، وارتدوا عن الهداية ، وهمّوا باخراج الرسول من المدينة .

جاءت بها الزهراء (عليها السلام) لتبيّن أن القوم قد ارتدوا بعد إيمانهم ،
ونكثوا وخانوا وعودهم التي أعطوها للرسول (صلى الله عليه وآله) بأن يدافعوا عن
آله وذويه ، كما يدافعون عن أهلهم وذويهم ، وذلك بعد أن عرض الأنصار
على رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأموال جزاءً لما نابه من الحروب ، وشكراً
لهدايته إياهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَى ﴾ ^(١) ، فقال بعضهم : عرضنا عليه أموالنا فقال : لا . قاتلوا عن
أهل بيتي من بعدي ^(٢) .

لهذا تلت الزهراء (عليها السلام) هذه الآية لتذكّرهم ، وتحرك ما تبقى من
ضمائر حيّة ، إن كان بقي هناك من شيء .

[ألا : قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض]

أي إنني أرى أنكم بعد ما قدمتم من أجل الدين ، وضحيتم في رضى
رسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله) ، رجعتم إلى الراحة ، وعدتم إلى ذلك
النفاق والكفر ، بعد عز الإسلام والإيمان .

[وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض]

أي أبعدتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن الخلافة ، الذي
هو صاحبها الشرعي ، بنص من الله تعالى ، ورسوله (صلى الله عليه وآله) ؛

^(١) الشورى/٢٣

^(٢) تفسير الميزان ج١٨/ص٥٢

والذي هو أدري بأمرها ، وأعلم بأحكام الشرع والدين ، وأهدى إلى الحق ﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع آمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ﴾ .^(١)

[واخلوتم بالدعة ، ونجوتم من الضيق بالسعة]

أي انفردتم إلى الراحة والسكون ، وهربتم من الشدة بالحق ، إلى السعة والحبوحة بالباطل .

لأن سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) هي سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، يساوي بين الناس في العطاء والمعاملة ، فالمسلمون عنده سواء كأسنان المشط لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى .

[فمجمتم ما وعيتم ، ودسعتم الذي تسوغتم]

أي لماذا رميتم من أفواهكم ما حفظتموه ؟ .

ولماذا تقيأتم الشيء الذي شربتموه ؟ ولستم من الجهال حتى تفعلوا هذا الفعل ، فلا عذر لكم عند الله تعالى .

فصورت (سلام الله عليها) العلم والمعرفة بالأكل والشرب ، فاستنكرت من الأنصار فعلهم ، لماذا تقيأوا ولفظوا ما استأنسوا بأكله وشربه .
والدسع : هو التقيؤ .

[﴿ فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾]^(١)
 وقد جاءتهم (سلام الله عليها) بهذه الآية الكريمة في ضمن كلامها لتعرفهم
 أنهم بهذا العمل لا يضررون إلا أنفسهم ، وليس هناك خسارة للإسلام من
 ارتدادهم .

[ألا : وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم ،
 والغدرة التي استشعرتها قلوبكم]

كانت الزهراء (عليها السلام) تعلم علم اليقين ، أن هؤلاء القوم قد اتفقوا على
 ظلمها ، وغضب حقها ، وعدم نصرتها ، مهما كلفهم الأمر ، ولكنها
 أرادت أن تلقي عليهم الحجة ، وتذكّرهم إن نفعت الذكرى ، وسيتذكرون
 إن كانوا ممن يخشى .

[ولكنها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ ، وخور القناة ، وبثة الصدر]
 أي أن الزهراء (عليها السلام) فاضت نفسها بإلآلام ، كما يفيض الإناء إذا
 امتلأ .

وعندما يغضب الإنسان يظهر ذلك على ملامحه وأفعاله ، فلا يستطيع أن
 يخفي ما به . وضعف النفس أن تتحمل ما يجري عليها ، فشكت وبثت ما

^(١) إبراهيم/٨

يجول في نفسها وخاطرها كما قال يعقوب (عليه السلام) : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي
وحزني إلى الله ﴾ ^(١) .

والخور : هو الضعف ، والقناة : الريح .

وهي تعلم أن الكلام معهم بعد ما فعلوا ، من غضب الخلافة ، وهي
الجريمة الكبرى ، لن يجديها نفعاً ، ولكنها روّحت عن نفسها بما فاضت من
الغيظ والغضب ، لقبح فعلهم .

[وتقدمة الحجّة]

وألقت عليهم الحجّة أمام الله سبحانه ، والناس ، والتاريخ .

حتى لا يأتوا يوم القيامة ويقولوا : ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ ^(٢) .

أو حتى لا يأتني منافقو اليوم ، ووارثوا أولئك المنافقين ويقولون : لو
كانت الزهراء صاحبة حق فعلاً ، لطالبت به .

فهذه هي (عليها السلام) قد طالبت بحقها ، وألقت حجتها ، وأظهرت جرائم
القوم لمن يريد أن يسمع ! فهل من أنصفها ، أو ينصفها !؟

[فدونكموها ، فاحتقبوها ذبرة الظهر]

أي نخدوا الخلافة معيوبة ناقصة ، كالناقة المجرّحة الظهر ، المعيوبه ،
وشدوا عليها حقائبكم ، وتمسكوا بها .

^(١) يوسف / ٨٦

^(٢) الأعراف / ١٧٢

وأى عيب أقبح من هذا العيب ، أن يذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة للبيعة ،
واستلام الإمارة والخلافة ، والنبي (صلى الله عليه وآله) لم يقبر بعد ، وأهله
مفجوعون به !؟
وقد تولى القيادة من هو ليس بأهل لها ، بل لا يعرف من الحق والشرع
موطيء قدمه (١) .

[نقبة الخف ، باقية العار]

أى خذوا الخلافة ، نقبة الخف ، أى رقيقة الأرجل ، وشبهتها بنخف الناقة
الضعيفة الرقيقة .
ولكن عار اغتصابكم لها سيبقى مخلداً أبداً الدهر ، لأنكم أخذتموها
بإسلوب الخداع والقهر .
ولقد قال عمر بن الخطاب ، فيما بعد ، حين فاء إلى جسامة الفعل الشنيع
الذي شارك به : كانت بيعة أبي بكر فلتته ، وقى الله المسلمين شرها ، فمن
عاد لمثلها فاقتلوه (٢) .

[موسومة بغضب الله ، وشنار الأبد]

نعم الخلافة التي شبهتها (عليها السلام) بالناقة المعبوبة ، وهي موسومة بغضب
الله تعالى .

(١) راجع النص والإجتهد ، وكتاب الغدير ج ٧ ، ودلائل الصدق ج ٣ ، وتعرف على جهل القوم بالشرع والدين .

(٢) تلخيص الشافي ج ٢ / ص ١٠٤ ، مصادرهما كثيرة من طرق السنة .

وأي غضب لله أشد من غضبه عز وجل إنتقاماً لأوليائه ، ودفاعاً عن تحريف دينه القويم؟؟.

والله سبحانه يغضب لغضب الزهراء (عليها السلام) ، ويرضى لرضاها .

[موصولة بـ ﴿ نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة ﴾]^(١) .

نعم إذا بقيتم على إصراركم على غضب الخلافة ، وسلب حقوقنا أهل البيت ، فإن مصيركم إلى النار ، التي هي دائمة التوقد والإشتعال ، تصل بأوجاعها وأذيتها إلى القلوب والأفئدة .

[فبعين الله ما تفعلون ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾]^(٢)

بعد اليأس منهم ، وكأنهم خشب مسندة ، لا يعقلون ؛ ولا يفقهون ما يقال لهم ، تركت الأمر لله تعالى ، وجعلته هو الشاهد والحاكم .
وأدخلت الآية في كلامها بأنهم سيعلمون عاقبة أعمالهم ، عند منقلبهم من دار الدنيا إلى الآخرة وهم ظالمون ، وعندها يندمون ، ولا ينفع هناك ندم النادمين .

[وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد]

^(١) الحمزة/٦/٧

^(٢) الشعراء/٢٢٧

وزادتهم تخويفاً وإنذاراً ، بصعوبة عاقبتهم ، وعسر منقلبهم ، بأن الله سبحانه يسجل عليهم ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) هو خصمهم يوم القيامة وهو البشير بنعيم المؤمنين ، وهو النذير بعذاب الجرمين والمنافقين الكافرين ، الذين تكون نهايتهم إلى العذاب الشديد الدائم .

[فاعملوا ﴿ إنا عاملون * وانتظروا إنا منتظرون ﴾]^(١)

أي اعملوا ، ونحن نعمل ، ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾^(٢) .
وكل عامل ينتظر الوقت الذي يأخذ فيه أجر عمله .

فأنتم تأملون أن ترجوا من أعمالكم في هذه الدنيا ، ونحن نأمل أن نربح من صبرنا على أذيتكم وغصبتكم حقوقنا في الآخرة .
فانتظروا ، ونحن أيضاً منتظرون .

وهكذا أنهت فاطمة الزهراء (عليها السلام) كلمتها بهذه العبارات المحزنة ، والكلمات المؤثرة ، من كلام الله سبحانه ، التي تدلنا دلالة واضحة على عمق حزنها ، ومدى تأثرها وغضبها ممن ظلمها ، وغضب حقها ، وخلها ولم ينصرها وينصفها .

وإتماماً للحجة ، وإكمالاً للفائدة ، لا بد لنا من أن نذكر جواب أبي بكر ورده عليها ، وما هنالك من مضامين مهمة ، وفوائد جمة ، لا تخفى على ذي بصيرة ووعي ، وخاصة المراوغة في جوابه ، واختلاقه الحديث الذي لم

^(١) هود/١٢٢

^(٢) الإسراء/٨٤

١٨٩

يروه أحد غيره من المسلمين ، ولم يسمعه أحد منهم ، وهذا ما سنقرأه في
كلامه .

جواب أبي بكر

الأصل

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان - أبي قحافة - قال :
يا بنت رسول الله ! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً
رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً ، إن عزواناه وجدناه
أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلاء ، آثره على كل حميم ،
وساعده في كل أمر جسيم ، لا يجبكم إلا كل سعيد ، ولا يبغضكم إلا
كل شقي بعيد ، فأنتم عزرة رسول الله الطيبون ، والخيرة المنتجبون ، على
الخير أدلتنا ، وإلى الجنة مسالكنا .

وأنت يا خيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في
وفور عقلك ، غير مردودة عن حقك ، ولا مصدودة عن صدقك ، والله
ما عدوت رأي رسول الله !!! ولا عملت إلا بإذنه ، وإن الرائد لا
يكذب أهله ، وإنني أشهد الله وكفى به شهيدا ، إنني سمعت رسول الله
(صلى الله عليه وآله) يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضةً ، ولا
داراً ولا عقاراً ، وإنما نورث الكتاب والحكمة ، والعلم والنبوة ، وما
كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه .

وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح ، يقاتل بها المسلمون ،
ويجاهدون الكفار ، ويجالدون المردة الفجار ، وذلك بإجماع من المسلمين!

لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي ، وهذه حالي ومالي ، هي لك ، وبين يديك لا تروى عنك ، ولا تدخر دونك ، وإنك أنت سيدة أمة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا يُدفع مالك من فضل ، ولا يوضع في فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيما ملكت يداي ، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه وآله) .

الشرح

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان ، وقال :

[يا بنت رسول الله !]

يعرف أنها ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويعاملها هذه المعاملة ، فكيف لو كان لا يعرفها ؟.

[لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، على الكافرين
عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً]
كل هذا كلام جميل ، وبيان حق ، لا غبار عليه .

[إن عزوانه وجدناه أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلاء]

هذا إعراف منه ، ورد على قولها (عليها السلام) في أول خطبتها : فإن تعزوه
تجدوه أبي دون نساءكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم .

ولكن هذا لم يمنعهم من سوق أمير المؤمنين (عليه السلام) بالإكراه والتهديد
لمبايعة أبي بكر ، ولم يمنع عمر بن الخطاب ، عند ما قال لهم أمير المؤمنين
(سلام الله عليه) : إذا ستقتلون عبد الله وأخا رسوله ، فيقول عمر : أمّا عبد الله
فنعم ، وأمّا أخو رسوله فلا ! (١) .

[آثره على كل حميم ، وساعده في كل أمر جسيم]

أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) آثر علياً (عليه السلام) ، وفضله على كل صاحب
وصديق ، وساعده في كل أمر مهم وعظيم .

[لا يحبكم إلا كل سعيد ، ولا يبغضكم إلا كل شقي]

أنظر أيها القاريء وفكر في هذا الكلام ، الذي ظاهره حق وعدل ،
وباطنه لؤم وخيانة .

هؤلاء قوم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، ﴿كبر مقتاً عند الله أن
تقولوا ما لا تفعلون﴾ (٢) .

(١) الإمامة والسياسة ج ١/ص ١٣

(٢) الصف ٣

[فأنتم عترة رسول الله الطيبون ، والخيرة المنتجبون ، على الخير أدلتنا

وإلى الجنة مسالكنا]

إنه يعرف ويعترف ، أنهم عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والخيرة
الطيبة ، التي انتجها الله تعالى واختارها ، ويعرف أن حب أهل البيت (عليهم
السلام) يقود إلى الجنة .

[وأنت يا خيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك]

ما دامت صادقة في قولها لِمَ لم تعطها حقها في ميراث أبيها ، ونخلتها التي
خصها الله ورسوله بها ؟ ولم طلبت منها الشهود ؟!
ولكنه لا يريد من هذا الكلام إلا المراوغة والخديعة ، وهذا ما يسمونه
اليوم بالسياسة .

[سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقلك ، ولا مصدودة عن

صدقك]

ما هذه المراوغة الصريحة ، والتناقض البين ؟
لقد صدها وردها وسلبها كل شيء ، ثم يقول : إنها غير مصدودة عن
حقها !

إنه التناقض والتدليس الصريح ، ولكنها السياسة وحب الدنيا !

[والله ما عدوت رأي رسول الله]

وهل كان من رأيه (صلى الله عليه وآله) أن تسلب ابنته وبضعته (عليها السلام) نخلتها التي أعطاها إياها أبوها ؟!

وهل كان من رأيه (صلى الله عليه وآله) أن تحرمها من إرثها ، ولا تعطئها حقوقها التي فرضها الله ورسوله لها ؟!

والله إنك افتريت ، وعلى حقوق رسول الله تعديت ، وفي الغي والضلال تماديت .

[ولا عملتُ إلا بإذنه]

لا حول ولا قوة إلا بالله : وهل أذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تأمر جلاوزتك بأن يدخلوا بيت بضعته الزهراء (عليها السلام) ، ويقتحموا باب دارها ويحرقوه ، ويضربوها ، وقد أدى ذلك إلى كسر ضلعها ، وإسقاط جنينها ، وموتها من ذلك الفعل الشنيع !!.

وهل أذن الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن تخرجوا زوجها أمير المؤمنين يقاد أمام المسلمين للبيعة ؟.

بل فعلت ما أملتة نفسك الأمانة بالسوء ، ﴿ فبئس للظالمين بدلا ﴾ .

[إن الرائد لا يكذب أهله]

هذا ادعاء في غير موضه ، ومن أين له هذه الريادة ؟.

هل هي من رسول الله ؟ وقد فعل مع بضعته ووحيدته ما فعل !.

إنه الإفك والبهتان ، وسيحاسب عليه بين يدي الديان سبحانه .

[وإني أشهد الله وكفى به شهيداً]

إنه يعلم أن لا أحد من المسلمين سمع ما يريد قوله ، ولا أحد يشهد معه ، ويعلم أيضاً أنه إن كذب على الله فإنه سبحانه يمهل ولا يهمل ، فلذلك قال

[إني سمعت رسول الله يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضةً ، ولا داراً ولا عقاراً ، إنما نورث الكتاب والحكمة ، والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا ، أن يحكم فيه بحكمه]

لقد كفانا مؤنة مناقشة هذا الخبر المكذوب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، كلٌّ من : شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (ره) في كتابه تلخيص الشافي^(١) : والسيد عبد الحسين شرف الدين (ره) في كتابه النص والاجتهاد^(٢) : والشيخ المظفر في كتابه دلائل الصدق^(٣) ، وغيرهم من العلماء الذين تعرضوا لذكر موضوع الإرث ، وكيف أن أبا بكر منع الزهراء (عليها السلام) إرثها بهذا الحديث الذي افتراه .

وهذا الحديث يتعارض مع القرآن الكريم .

وقد ذكرت الزهراء (عليها السلام) الآيات الدالة على التوارث مطلقاً ، وقد مرّ معنا ذلك .

^(١) ج ٣/ص ١٤٤

^(٢) ص ١١٣ المورد/٧

^(٣) ج ٣/ص ٥٦

وقد أجمع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وعلمائهم على التوارث مطلقاً ، لا فرق بين الأنبياء وغيرهم .
ولكن القوم ارتبكوا بهذا الحديث المخالف لكتاب الله تعالى ، وسنة أنبيائه الكرام ، ولهم كلام كثير واختلاف كبير ، يُراجع في مظانه .
والمقصود من هذا الحديث المفتري ، هو منع الزهراء من إرثها ونخلتها ، وكل عطايا الرسول (صلى الله عليه وآله) لها ، لكي لا يصل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أي مال ، حتى لا يفكر في الخلافة ، أو يستعين به ضدهم .

[وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح ، يقاتل به المسلمون ،

ويجاهدون الكفار ، ويجالدون المردة الفجار]

لكي يجلب إليه أذهان المسلمين ، ويأخذ بعقولهم قال : إن هذه الأموال جعلت للمجاهدين ، وللدفاع عن الدين ، مع أن واقع الحال ، والذي يرويه المؤرخون ، قد انتقلت هذه الأموال له ، ولعمر بن الخطاب من بعده ، ولبني أمية من بعدهما يتوارثونها أمير عن أمير وحاكم عن حاكم ، حتى عهد عمر بن عبد العزيز ! ^(١) .

[وذلك بإجماع من المسلمين ، لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان

الرأي فيه عندي]

^(١) راجع دلائل الصدق ج ٤/٣

ياسبحان الله ! وأيُّ إجماع هذا الذي يدعيه ؟! .
 فكيف يكون هناك إجماع يتعارض مع كتاب الله تعالى ؟! الذي صرّح
 بالتوارث مطلقاً ، سواء كان الوارث أو المورث أنبياء أو غيرهم . كما مرّ
 من كلامها (عليها السلام) وهناك سيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وإجماعهم على
 ذلك .

الذين هم عدل القرآن في حديث الثقلين ، وهم سفينة نوح التي من
 ركبها نجى ، ومن تخلف عنها غرق ، والذين أذهب الله عنهم الرجس
 وطهرهم تطهيرا ، والذين لا غيروا ولا بدلوا تبديلا .
 والأعجب من ذلك قوله إنه لم ينفرد به وحده ! .
 وهذا القول افتراء واضح وفاضح ، وأن الأمة قد أجمعت على أن هذه
 الرواية لم تُسمع من النبي (صلى الله عليه وآله) طيلة حياته المباركة .
 فهو إذن منفرد بهذا الحديث ومستبد به .

[وهذا حالي ومالي هي لك ، وبين يديك ، لا تزوى عنك ، ولا تدخر
 دونك ، أنتِ سيدة أمة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا يُدفع في
 فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيما ملكت يداي ، فهل ترين أن أخالف
 في ذلك أباك]

بهذه المِراغة ؛ والتلاعب بالألفاظ ، والنفاق في التعبير ، أنهى كلامه .
 إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) تريد حقها وإرثها ، ولا تريد منه منةً ، أو
 حسنةً ، أو صدقةً .

وهل يعقل أن الزهراء (عليها السلام) ، التي طهرها الله سبحانه ، وعصمها عن الخطأ والزلل ، تأتي أبا بكر وتطالب بشيء لا حق لها به ؟ .
وهل هي مخالفة لأبيها (صلى الله عليه وآله) حتى قال لها : إنه لا يستطيع أن يخالف أباه ؟ .

إنه يخالف كلام الله صراحة ولا يخجل ، ولو حاول أن يظهر أنه لا يخالف رسول الله في حديث هو يرويهِ ، وعلى الله ورسوله يفتريهِ ، بل سولت له نفسه حب الدنيا ، فكان له ما أراد ، وعند الموت يخسر هنالك المبطلون ، ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ ^(١) .

جواب الزهراء (عليها السلام)

الأصل

فقلت : (عليها السلام)

سبحان الله ! ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع أثره ، ويقفو سُورَه ، أفتجمعون إلى الغدر ، اعتلالاً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته ، هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً ، يقول : ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ ، ويقول : ﴿ وورث سليمان داوود ﴾ ، فبين عز وجل فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والأناث ، ما أزاح به علة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين ، كلا ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ .

الشرح

بعد أن سمعت فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذا الكلام ، من أبي بكر ، وكيف راوغ وتلاعب بالألفاظ ، وحاول أن يظهر نفسه بمظهر المؤمن الشفيق الغيور على الإسلام والمسلمين ، قالت له :

[سبحان الله ! ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله
صادقاً ، ولا لأحكامه مخالفاً]

تعجبت الزهراء (عليها السلام) ، واستعظمت هذا الإفتاء على مقام أبيها النبي
(صلى الله عليه وآله) الصادق الأمين ، الذي ﴿ ما ينطق عن الهوى * إن هو إلا
وحيٌ يُوحى ﴾ (١) .

كيف يكذبون على لسانه (صلى الله عليه وآله) ، وكيف يخالفون كتاب الله
تعالى في الإرث .

[بل كان يتبع أثره ، ويقفو سُورَه ، أفتجمعون إلى الغدر ، اعتلاباً
عليه بالزور]

إن النبي (صلى الله عليه وآله) أجل وأعظم من أن يخالف كلام الله تعالى وكتابه
بل كان متبعاً التعاليم التي تأتيه بكل نزاهة وإخلاص ، ولكنكم أجمعتم على
الغدر بنا أهل البيت ، فلم تفروا بوصيته .

وها أنتم الآن تأتون بالزور والكذب والبهتان ، وتدعون بأنه لا يورث .

[وهذا بعد وفاته شبيهة بما بغى له من الفوائل في حياته]

أي هذا الغدر والتزوير والكذب بعد وفاته ، ليس بالشيء الجديد .

لقد فعلتم ما فعلتم في حياته ، وخاصة ليلة العقبة ، عندما أراد المنافقون منكم أن يُنفروا الناقة ، ليسقط (صلى الله عليه وآله) في الوادي ، فكشفهم الله تعالى إليه ، فعرفهم فرداً فرداً^(١) .

[هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً ، يقول : ﴿ يرثني ويرث

من آل يعقوب ﴾ ﴿ وورث سليمان داود ﴾]

أكدت الزهراء (عليها السلام) ما ذكرته بخطابها الأول ، من أن الإرث المذكور بالقرآن صراحةً ، وذكرت الآيات الدالة على ذلك .

فهل نترك القرآن ونتمسك بحديثٍ مختلقٍ ، ومكذوبٍ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) !؟

[فبين عز وجل فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ، ما أراح به علة المبطلين ،

وأزال التظني والشبهات في الغابرين]

ثم عادت (سلام الله عليها) فأكدت ما ذكرته سابقاً من كلام الله تعالى في الميراث ، وأنه عام إلى جميع الناس ، من الذكران والإناث .
وأكدت آيات مواريث الأنبياء (عليهم السلام) ، لأن أباهم منهم .

^(١) راجع إرشاد القلوب للديلمي /ص ٣٣١ ، وتفسير الميزان ج ٩/ص ٣٤٤

وبينت أيضاً أنه لا مجال للشك أو الشبهة لأحد من الأجيال الحاضرة أو الآتية في قضية المواريث . إنها كما بينها الله سبحانه في كتابه المجيد .

[كلاً ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ وا لله المستعان على

ما تصفون ﴾]

وكعادتها (سلام الله عليها) في ذكر كلام الله سبحانه في ضمن كلامها ، لتؤكد أنهم لن يتراجعوا عن غيهم ، ولن يعودوا إلى رشدهم ، وتمثلت بقول يعقوب (عليه السلام) عندما أخبره أولاده بأن الذئب أكل يوسف : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ... ﴾^(١) .

وهكذا أهل البيت (عليهم السلام) ، عند اليأس من إصلاح المخاطب ، وحمله على سلوك الطريق القويم ، يعودون إلى الصبر ، وكظم الغيظ ، حتى يوفّيهم الله سبحانه ويعطيهم أجر الصابرين .

^(١) يوسف / ١٨

جواب أبي بكر مرّة ثانية

الأصل

فقال أبو بكر : صدق الله ورسوله ، وصدقت إبنته ، أنتِ معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك ، هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلّدونني ما تقلّدت ، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت ، غير مكابر ، ولا مستبد ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود .

الشرح

لاحظ أيها القاريء المنصف ، التلاعب بالكلام ، وتغيير الأسلوب ، والتذبذب بالعبارات ، والنفاق الواضح الفاضح . قال :

[صدق الله ، وصدق رسوله ، وصدقت ابنته ، أنتِ معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك]

يظهر لنا من كلامه أنه تراجع عن ظلمها ، وغضبها حقها ، وأنه اعترف بصدقها ، وأحققتها بما طالبت ، ولكن كل هذا كان باللسان والكلام ، كما قال الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

[هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلدوني ما تقلدتُ]

هذا اعتراف منه أنه أخذ الخلافة من هؤلاء المسلمين الحاضرين ، ولم يكن هناك نص من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، كما يتحدث أتباعه اليوم ! وليس هناك نص من القرآن الكريم عليه .

[باتفاق منهم أخذتُ ما أخذتُ]

الملاحظ إنه ادعى أول الأمر أنه أخذ فداً والإرث من الحديث الذي رواه عن الرسول (صلى الله عليه وآله) : نحن معاشر الأنبياء
والآن أصبحت حجته أن المسلمين قلدوه هذا ، وباتفاقهم فعل ما فعل .
ولكن الإجماع الذي ادعاه لم يتم ، وهو غير صحيح .

[غير مكابر ، ولا مستبد ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود]

ما زال مصراً على عناده ، مع كل هذه الأدلة التي جاءت بها (سلام الله عليها) وبهذا أنهى كلامه .

ولكنه والله مستأثر ومستبد . من يفعل ببضعة الرسول (صلى الله عليه وآله) هذه الأفعال ، ويعمل هذه الأعمال ، التي لا يأتيها أو يفعلها الكافر فضلاً عن المسلم .

خطاب الزهراء (عليها السلام) إلى المسلمين

الأصل

فالتفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت :

معاشر المسلمين ! المسرعة إلى قيل الباطل ، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأت من أعمالكم ، فاخذ بسمعكم وأبصاركم ، وليس ما تأولتم ، وساء ما به أشرتم ، وشر ما منه اغتصبتم ! لتجدنّ والله محمله ثقيلاً ، وغيبه وبيلاً ، إذا كشف لكم الغطاء ، وبان ما وراءه الضراء ، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحسبون ، وخسر هنالك المبتلون .

الشرح

الآن : وبعد هذا النقاش المؤلم ، والحوار المحزن ، أرادت (سلام الله عليها) أن توجه كلمة أخيرة إلى الجماهير المسلمة ، الموجودة في المسجد ، لعلها تحرك عواطفهم ، وضمائرهم ، إن كان بقي عندهم من الضمائر ما يتحرك ، أو من الغيرة الإسلامية ما يثور !! .

وقد دحجت الآيات القرآنية كعادتها بكلامها ، وسبكت العبارات السماوية بإسلوبها ، مما يدلنا على عمق بلاغتها ، وغزارة علمها .

فهي ابنة محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، أفضل من نطق بالضاد ،
وزوجة علي المرتضى (عليه السلام) ، سيد البلغاء والمتكلمين .
فالتفتت (عليها السلام) إلى الناس وقالت :

[معاشر الناس ! المسرعة إلى قيل الباطل]

أي أيها الناس ! المسرعون إلى قول الباطل ، والساكتون عن الحق :
والساكت عن الحق شيطان أخرس .

[المغضية على الفعل القبيح الخاسر]

أي المتغاضية والمتعامية عن الأفعال القبيحة ، الخاسرة عند الله تعالى .
وأي قبيح أعظم من أن تظلم بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله) ووحيدته بينهم
وهم باستطاعتهم نصرتها ، وأخذ حقوقها ممن ظلمها .

[أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها]

إنها (سلام الله عليها) تستشهد دوماً بالقرآن الكريم .
وهل هناك أعظم حجة ، وأبلغ بياناً منه لقوم يعقلون ؟ .
وهذا تأنيب صريح ، ونقد لاذع للمسلمين الذين لا يتدبرون آيات
القرآن ، في فضل أهل البيت (عليهم السلام) ، وفي أحكام الإرث .

أخذت كلامها هذا من قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (١) .

[كلا ، بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم]

أي أن أعمال الإنسان تعود عليه إما سلباً ، أو إيجاباً .
فإذا كانت أعماله خيراً وبراً وإحساناً ، تعود على نفسه بالهداية والتوفيق والغفران .

وإذا كانت أعماله شراً وعقوقاً وإساءةً ، تعود عليه بالإقفال على قلبه ، وتضليله عن الطريق السويّ .

وهذا ما أشارت إليه (عليها السلام) ، بأن المسلمين عندما تواطأوا على فعل القبيح ، وأخذ الخلافة من أصحابها الشرعيين ، وظلموا أهل بيت نبيهم (صلوات الله عليهم) ، أخذوا يُحرّفون أحكام القرآن ، ويغيّرون معالم الإسلام ، وقد أقفلت خطاياهم على قلوبهم فلم يعودوا بفقهاء .

وقد أخذت كلامها هذا من قوله تعالى : ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (٢) .

[فأخذ بسمعكم وأبصاركم]

(١) محمد / ٢٤

(٢) المطففين / ١٤

أي نتيجة لأعمالكم ، وجزاءً لأفعالكم ، أخذ الله بسمعكم وأبصاركم ، فلا ترون إلا مصالحكم ، ولا تسمعون إلا ما يعود عليكم بالنعف في عاجلكم بعد أن تركتم آخرتكم .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به ... ﴾ (١) .

[ولبئس ما تأولتم ، وساء ما به أشرتم ، وشرّ ما منه اغتصبتم]
 أي بئس التأويل الذي أولتم به كتاب الله ، إذ أخذتم علمه من غير معدنه ومن غير أهله ، وبئس المشاورة التي تشاورتم بها على غضب حقوقنا أهل البيت ، وبئس النتيجة التي توصلتم إليها ، وهو جعلكم الدين سلعة لمصالح الحكام والأمراء ، يحكمون بأهوائهم إلى يومنا هذا ، وليس يعدل الله تعالى ، وكتابه ، وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) .

[لتجدنّ والله محمله ثقيلاً ، وغبّه وبيلاً]

أي أنتم الآن لا تعرفون مدى الجريمة التي ارتكبتموها ، ومستوى الإنقسام الذي سببتموه في الأمة .

إن كل ما يأتي من انحراف عن الدين ، وتزوير في شريعة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) ، فهو في رقبتكم ، وأنتم مسؤولون عنه يوم القيامة .

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال : من استن خيراً فله أجره ، ومثل
أجور من اتبعه ، غير منتقص من أجورهم .

ومن استن شراً فأستن به ، فعليه وزره ، ومثل أوزار من اتبعه ، غير
منتقص من أوزارهم ، قال : فتلا حذيفة بن اليمان : ﴿ علمت نفس ما
قدمت وأخرت ﴾ ^(١) .

قال في تفسير القمي : إنها نزلت في الثاني ، يعني ما قدمه من ولاية أبي
فلان ، ومن ولاية نفسه ، وما أخره من ولاة الأمر من بعده ^(٢) .

جريمة عظيمة ، وانحراف خطير في سيرة الحكام ، حصدت الأمة عاقبته
على مر التاريخ ، إلى يومنا ، من أكلها المظالم ، والقتل والتشريد ،
والتحريف في معالم الدين ، وسنة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) ، كل ذلك
بسبب الانحراف الذي حصل بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ، وسكوت
الساكتين ، ورضى الطامعين بالدنيا وزخرفها .

ولسوف يجدون جهنم لهم بالمرصاد ، ويلقون هناك العذاب الشديد ،
المخصص لظالمي ذرية سيد الأنبياء والمرسلين ، وحيب رب العالمين (صلى الله
عليه وآله أجمعين) .

[إذا كشف لكم الغطاء ، وبان ما وراءه الضراء ، وبدا لكم ما لم

تكونوا تحتسبون]

^(١) الإنفطار / ٥

^(٢) راجع تفسير الإختيار سورة الإنفطار للمؤلف .

أي أن الإنسان يعيش في الحياة في حالة من الغفلة ، والتسوية في أمور الآخرة ، فإذا مات كشف الله الغطاء عن بصيرته ، ورأى الحقيقة رأى العين وعرف ما كان يجب فعله في دار الدنيا ليسرّه في الآخرة ، وظهر له نتيجة أعماله القبيحة التي فعلها فيها ، وأن عذاب الظالمين هناك مما لا يتصوره عقل ولا يخطر على قلب بشر .

ثم أدخلت (سلام الله عليها) في ختام كلامها قول الله تعالى : ولنذكر الآيات بكاملها ، ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ (١)

أين العقلاء اليوم ؟

أين الذين عندهم ذرة من الإيمان ، ليفكروا بهذا الكلام عن مصير الذين يظلمون ، ويعتدون ليتمتعوا بحطام الدنيا أياماً معدودة .
إنهم يخلدون في نارٍ جامية ، مطبقة عليهم أبداً .

بعد أن أنهت كلامها (صلوات الله عليها) عطفت على قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وألقت بنفسها عليه ثم قالت :

قد كان بعدك أنباءً وهنبيّةٌ لو كنتَ شاهداً لم تكثر الخطبُ
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فأشهدهم وقد نكبوا
وكل أهل له قربي ومنزلة عند الإله على الأدينين مقتربُ
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لَمَّا مضيت وحالت دونك التُّربُ

تجهمتنا رجال وأستخفّ بنا لَمَّا فُقدتَ وكل الإرث مغتصبُ
 وكنّت بدرأً ونوراً يستضاء به عليك ينزل من ذي العزّة الكتبُ
 وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد فُقدتَ وكل الخير محتجبُ
 فليتَ قبلكَ كان الموت صادفنا لَمَّا مضيتَ وحالت دونكَ الكتبُ
 إنّا رزينا بما لم يرزَ ذو شجنٍ من البرية لا عجمٌ ولا عربُ
 بعد أن أنهت الزهراء (عليها السلام) خطابها أمام الصحابة في المسجد ،
 واحتجاجها عليهم ، بكتاب الله تعالى ، والسنة النبوية الشريفة ، والبراهين
 العقلية المتينة ، عكفت على قبر أبيها (صلى الله عليه وآله) وروت غليلها من البكاء
 على صاحب القبر ، وشكت إليه أصحابه ، وما فعلوا بها من بعده .
 بعد أن أنهت هذه المهمة الشريفة المباركة ، عادت إلى بيتها ، ولا أدري
 كيف عادت !.

هل هي منتصرة أم منكسرة ، رابحة أم خاسرة ؟ .
 نعم ، بإمكاننا أن نقول : إنها ظاهراً منكسرة وخاسرة ، متألّمة وحزينة .
 ولكن حقاً وواقعاً كانت هي الرابحة ، وهي المنتصرة ، لأنها بينت للناس
 وللتاريخ ، من هم هؤلاء القوم ، الذين غيروا كلام الله تعالى ، ونقضوا
 حكم رسوله (صلى الله عليه وآله) ، وغضبوا الحق من أهله (عليهم السلام) .
 من هم هؤلاء الذين فعلوا ما فعلوا ، وظلموا وقتلوا ، وسفكوا الدماء
 بإسم الدين ، وبظل الإسلام .

إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) أظهرت زيفهم ونفاقهم ، وهذا ما سنعرفه من كلامها (عليها السلام) عندما ذهب أبو بكر وعمر لإسترضائها وعيادتها في مرضها الذي ماتت فيه .

بعد خروج الزهراء (عليها السلام) من المسجد ، جرى كلام ومعاتبة بين أبي بكر والأنصار ، منه تعرف كرهه لأهل البيت (عليهم السلام) ، واعتقاده بهم .
 يروي ابن أبي الحديد ^(١) : إن أبا بكر صعد المنبر وقال : أيها الناس ! ما هذه الرعة إلى كل قالة ؟ .

أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ ألا من سمع فليقل ، ومن شهد فليتكلم .
 إنما هو ثعالة ! شهيد ذنبه ، مربّب لكل فتنة ، كأم طحال أحب أهلها إليها البغيّ .

ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت : ولو قلت ، لبحت ، إني ساكت ما تركت ، ثم التفت إلى الأنصار وقال : قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم ، وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم ، فقد جاءكم فأوئتم ونصرتم ، ألا إني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك .
 ثم نزل ^(٢) .

قال ابن أبي الحديد : قرأت هذا الكلام على النقيب ، أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له : بمن يعرض ؟ فقال بل يصرح ! .

^(١) في شرح نهج البلاغة ج ٤ / ص ٨٠

^(٢) فدك في التاريخ / ص ٥٠

قلت : لو صرح لم أسئلك ، فضحك وقال : لعليّ بن أبي طالب !!
 قلت : هذا الكلام كله لعليّ يقوله ؟ قال : نعم ، إنه الملك يابني .
 قلت فما مقالة الأنصار ؟ .

قال : هتفوا بقول عليّ ! فخاف من اضطراب الأمر عليهم ، فنهاهم .
 فسألته عن غريبه : -أي عن معنى الكلمات - فقال : أمّا الرعة : -
 بالتخفيف - أي الإستماع والإصغاء .

والقالة : القول . وثعالة : إسم الثعلب ، مثل ذؤالة للذئب .
 وشهيدته ذّنبه : أي لا شاهد له على ما يدعيه إلا بعضه ، وجزء منه ،
 وأصله مثّل . وأم طحال : امرأة بغيّ في الجاهلية ، يضرب بها المثّل ، فيقال :
 أزنى من أم طحال ^(١) .

فكّر أيها القاريء المنصف ، بكلام أبي بكر : الذي يصف فيه مولانا أمير
 المؤمنين ، وسيد المتقين ، وقائد المسلمين في سبيل الدين ، وإعلاء كلمة رب
 العالمين في الأرضين .

فكّر في هذا الرجل : الذي لم ير له التاريخ منقبة ، أو فضيلة إلا ما حاكّ
 له أتباعه من الأكاذيب ، والأضاليل .

فهو يصف أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه ثعلب ! والزهراء (عليها السلام) بأنها
 ذنب الثعلب ! ويلقب مولانا علي (عليه السلام) بأنه مثل أم طحال الزانية !!
 فهل عنده ذرة من الإيمان ؟ أو قليل من الضمير والوجدان ، بل نقول :
 كما قال أبو جعفر النقيب لإبن أبي الحديد : إنه الملك !!!

^(١) فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد / ص ٥٠٤ ، والبحار مجلد ٨ / ص ١٢٣ الطبعة القديمة .

شعاع من نور الزهراء (عليها السلام)

شعت فلا الشمس تحكيها ولا القمر
 بنت الخلود لها الأجيال خاشعة
 خصالها الغر جلت أن تلوك بها
 معنى النبوة سر الوحي قد نزلت
 حوت خلال رسول الله أجمعها
 قل للذي راح يخفي فضلها حسداً
 أنقرن النور بالظلماء من سفه
 بنت النبي الذي لولا هدايته
 هي التي ورثت حقاً مفاخره
 في عيد ميلادها الأملاك حافلة
 تزوجت في السما بالمرتضى شرفاً
 على النبوة أضفت في مراتبها
 قف يا يراعي من مدح البتول ففي
 وارجع لنستخير التاريخ عن نبأ
 هل أسقط القوم حقاً حملها فهوت
 وهل كما قيل قادوا بعلمها فعدت
 إن كان حقاً فإن القوم قد مرقوا
 زهراء من نورها الأكوان تزدهر
 أم الزمان إليها تنتمي العصر
 منا المقاول أو تدنو لها الفكر
 في بيت عصمتها الآيات والسور
 لولا الرسالة ساوى أصله الثمر
 وجه الحقيقة عنا كيف ينسثر
 ما أنت في القول إلا كاذب أشر
 ما كان للحق لا عين ولا أثر
 والطر فيه الذي في الورد مدخر
 والخور في الجنة العليا لها سمر
 والشمس يقرنها في الرتبة القمر
 فضل الولاية لا تبقي ولا تذر
 مديحها تهتق الألواح والزبر
 قد فاجأتنا به الأنبياء والسير
 تمن مما بها والضلع منكسر
 وراه نادبة والدمع منهمر
 عن دينهم وبشرع المصطفى كفروا

كلام الزهراء لأمير المؤمنين (عليهما السلام)
بعد رجوعها من المسجد

الأصل

ثم انكفأت (عليها السلام) ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقع رجوعها إليه ،
ويتطلع طلوعها عليه ، فلما استقرت بها الدار ، قالت لأمير المؤمنين (عليه
السلام) :

يا ابن أبي طالب ! اشملتَ شملةَ الجنين ، وقعدتَ حجرةَ الظنين ،
نقدتَ قادمةَ الأجدل ، فخانك ريش الأعرل .

هذا ابن أبي قحافة ! يستزني نحلة أبي ، وبُلغة ابنيّ ، لقد أجهري في
خصامي ، وألفيته الألدّة في كلامي ، حتى حبستني قيلة نصرها ، والمهاجرة
وصلها ، وغضت الجماعة دوني طرفها ، فلا دافع ، ولا مانع ، خرجت
كاظمة ، وعدت راغمة ، أضرعت حدك ، يوم أضعت حدك ، افترست
الذئاب ، وافترشت التراب ، ما كففت قائلاً ، ولا أغنيت باطلاً ، ولا
خيار لي ، ليتني مت قبل هينتي ، ودون ذلتي ، عذيري الله منه عادياً ،
ومنك حامياً ، ويلاي في كل شارق ، ويلاي في كل غارب ، مات العمد
ووهن العضد ، شكواي إلى أبي ، وعدواي إلى ربي !
اللهم إنك أشد منهم قوّة وحولاً ، وأشد بأساً وتنكيلاً .

الشرح

بعد أن أدت الزهراء (عليها السلام) دورها الأكمل ، وبلغت رسالتها للجماهير على وجهها الأفضل ، والناس في المسجد ، كل منهم على هواه : فمنهم منافق ، راوغ وحافظ على دنياه .
ومنهم : من صاح وطالب بأمر المؤمنين (عليه السلام) .
ومنهم : عبّر عن هذه المأساة بالبكاء والعيويل حتى قيل : فما رأينا أكثر باكٍ ولا باكية من ذلك اليوم .
ومنهم من بقي على غيّه وفجوره .
وهكذا عادت أم الحسنين (عليهما السلام) إلى زوجها الذي كان ينتظر رجوعها بفارغ الصبر .
ولكن بقي لديها كلام ، عليها أن تسجله للتاريخ ، وللمنصفين من أبناء الأمة ، فصاغته بطريقة الحوار مع زوجها (عليهما السلام) .
قال : ثم انكفأت وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقع رجوعها إليه ، ويتطلع طلوعها عليه ، فلما استقرت بها الدار ، قالت لأمر المؤمنين (عليه السلام) :

[يا ابن أبي طالب]

بدأت الزهراء (عليها السلام) خطابها لأمر المؤمنين (عليه السلام) بإسم أبيه (أبو طالب) وذلك من باب التعظيم والمدح .

وهذا النداء مغاير كل المغايرة لما قالته (عليها السلام) في خطابها السابق للمدعي الغاصب ، عندما نادته : يا ابن أبي قحافة ، لأن أبا قحافة من قد علمنا وضعه في المجتمع العربي قبل الإسلام ! .
 وأمّا أبو طالب : فهو المعروف في مجتمعه بشيخ الأباطح^(١) ، وسيد أهل مكة .

إنه عظيم من عظماء قريش ، وحامي الرسول (صلى الله عليه وآله) ، والمدافع عن الدعوة عندما كانت في المهد .
 عندما نادته الزهراء (عليها السلام) بهذا النداء ، وخاطبته بهذا الخطاب ، كانت تعني هذه النواحي بأبي طالب (عليه السلام) ، من الشجاعة والبطولة ، والشرف والكرم والمروءة .
 وهذا الكلام المادح لأمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه ابن أبي طالب ، الرجل العظيم المعروف ، هو لتستهضه للأخذ بحقها من ظالمها .

[اشتملتَ شملةَ الجنين ، وقعدتَ حجرةَ الظنين]

أي حبست نفسك في بيتك ، كالطفل في بطن أمه ، وجلست في دارك كما يجلس المتهم خوفاً من الناس .

[نقضتَ قادمةَ الأجدل ، فخانكَ ريشَ الأعزل]

^(١) إسم للسيل في الوادي ، الذي يحمل معه الرمل والخصى الصغير . وأبو طالب لقب بهذا اللقب لكرمه .

٢٢٠

أي كنتَ صقراً تكسر وتفتك بجميع الطيور ، وأصبحتَ الآن كالطائر
الكبير الذي وقع ريشه فصار أعزلاً ، لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، حتى
اعتدى عليه ضعاف الطيور وأحقرها .

[هذا ابن أبي قحافة !]

أي أنت العظيم ، وهذا الوضع ، وأنت الأسد الكاسر ، وهذا الثعلب
الماكر ، وأنت ابن أبي طالب (عليه السلام) ، المشهود له بالمناقب والفضائل ،
وهذا ابن أبي قحافة الذي كان خادماً عند ابن جذعان .
وقد ذكرنا آنفاً : إن ذكرها أبا قحافة ليس للتعظيم ، بل للطعن والتحقير

[يبتزني نحلة أبي ، وبلغة إبني]

أي هذا الخامل الذي ليس له ولا لأبيه ذكر ، يسلبني عطية والدي الذي
أعطانيها ، ويغتصب معاش ولديّ

[لقد أجهر في خصامي ، وألفيته الألد في كلامي]

أي لقد أعلن مخاصمتي ، ومعاداتي ، وقد افترى على الرسالة والرسول
(صلى الله عليه وآله) ، فأنكر ما في القرآن من التوارث مطلقاً ، سواء كانوا أنبياء
أم لا ، وكذب على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله) بحديث افتراه .

[حتى حبستني قيلة نصرها ، والمهاجرة وصلها]

أي كان ما فعله ابن أبي قحافة من التجرؤ على الله وكتابه ورسوله ،
ومن دسه الآحاديث الكاذبة ، ومن غصب حقي ، وبُلغة أطفالي ، حتى
خذلني الأنصار ، وحبسوا مساعدتهم عني ، وانكفأ المهاجرون ، ولم يمدّوا
يَدَ العون ، وكأنما الجميع قد قطع صلته برسول الله (صلى الله عليه وآله) .

[وغضت الجماعةُ دوني طرفها ، فلا دافع ولا مانع]

أي كل الحضور أغمضوا أعينهم ، وأقفلوا آذانهم ، فلا من يدافع ، ولا
من يردع ، وكانهم غير موجودين .

[خرجتُ كاظمة ، وعدتُ راغمة]

أي خرجتُ من بيبي متألّمة مقهورة ، وعدتُ عاجزةً مخذولة ، لأنه لا
ناصر لي ولا معين .

[أضرعتُ خدك ، يوم أضعتُ خدك]

أي أذليتُ نفسك ، بعدما أبيتَ أن تأخذ حقلك .

[افترستُ الذئاب ، وافترشتُ التراب]

أي بعد أن كنتَ أسداً تقتل ، وتفترس الجميع ، وصل بك الأمر إلى أن
تفترش التراب .

[ما كفت قائلاً ، ولا أغيت باطلاً]

أي أنك ما كفت المشككين ، ولا دفعت المتجرئين عليّ ، ولا ردعت
الباطل والمبطلين .

[ولا خيار لي ، ليتني متُّ قبل هيتي ، ودون ذلتي]

أي أن الزهراء (سلام الله عليها) لم يعد لها خيار ، إلا أن تتمنى لو أنها ماتت
قبل أن تتعرض للإهانة والمذلة التي لحقت بها ، ليس من الذي اغتصب حقها
فقط ، بل ومن مجموع المسلمين الذين لم يناصروها ، ولم يؤازروها لأسترداد
إرثها الشرعيّ .

[عذيري الله منه عادياً ، ومنك حامياً]

أي أنتصر بالله تعالى ، وأستعين على هذا الذي تجاوز الحد في عدائي ،
وليس لي ناصر ولا معين إلا الله سبحانه ، وأستعين بالله أيضاً وأصبر على
أنك لا تحميني من أعدائي .

[ويلاي في كل شارق ، ويلاي في كل غارب]

تُقال هذه الجملة عند حصول المصيبة الشديدة .

أي وامصيبته في كل شروق شمس ، وفي كل غروب .

ولماذا هذا التوجع والتألم ؟ .

[مات العمدة ، ووهن العضد]

أي مات الذي كنا نعتمد عليه ، وتعني به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ،
وضعف المساعد ، الذي كان القوة الضاربة بين يديه ، وتعني به مولانا أمير
المؤمنين (عليه السلام) .

[شكواي إلى أبي ، وعدواي إلى ربي]

أي أبت شكواي إلى أبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، وأوكل أعدائي إلى ربي
يقتص منهم كما يشاء ، وكيف يريد .
ثم اتجهت إلى الله سبحانه بقلب ملؤه الأسى واللوعة ، وقالت :

[اللهم إنك أشد منهم قوّة وحولاً ، وأشد بأساً وتنكيلاً]

أي يارب ! إنني أوكل أعدائي إليك ، تقتص منهم حين تشاء ، وأنى
تشاء .

إن مظلمتي بين يديك ، وإنك أشد حولاً وبطشاً وقوّة
بهذا الدعاء القصير أنهت الزهراء (عليها السلام) كلامها .

من قصيدة للشيخ عبد المنعم الفرطوسي

شجونٌ تُستهلُّ لها الدموعُ
 وقفتُ على البقيع فسألَ طريقي
 كأن مصيبةَ الزهراء بيتٌ
 أمثلَ البضعةَ الزهراء تُجفَى
 ويغضبُ حقُّها جهراً وتؤذى
 تُصدُّ عن البكاء على أيها
 وتقتطعُ الأراكة حين تأوي
 ويُحرقُ بيتها بالنار حقداً
 ويكسر ضلعها بالباب عصراً
 ويدمى صدرها المسمارُ كسراً
 ويُنثرُ قرطها لطمأً ويلوى
 وحمرة عينها للحشر تبقى
 تنوح فتسمع الشكوى وتدعو
 مصائبُ بالفظاعة قد تنامتُ
 قضت أماً من الزهراء فيها

وتُحرقُ من لواعجها الضلوعُ
 وقلبي فالدموعُ هيّ النجيعُ
 بقلبي للأسى وهو البقيعُ
 ويُعفى قبرُها وهو الرفيعُ
 بحيثُ وصيةُ الهادي تضيعُ
 فتحبس في محاجرها الدموعُ
 لظلِّ غصونها كفَّ قطعُ
 ويُهتكُ سترها وهو المنيعُ
 فيسقطُ حملُها وهو الشفيعُ
 فينبع بينَ ثديها النجيعُ
 عليها السوطُ والسيفُ الصنيعُ
 بها من كفِّ لاطمها تشيعُ
 وما في المسلمين لها سميعُ
 وكلُّ مصيبةٍ خطبٌ فظيعُ
 حشاشة قلبها وهو المروعُ

جواب أمير المؤمنين (عليه السلام)

الأصل

لا ويل عليك ، بل الويل لشانك .

ثم نهى عن نفسك يا ابنة الصفة ، وبقية النبوة ، فما وئيت عن ديني
ولا أخطأت مقدوري ، فإن كنت تريد البلغة ، فرزقك مضمون ،
وكفيلك مأمون ، وما أعد لك خير مما قطع عنك ، فاحتسبي الله .
فقلت : حسبي الله . وأمسكت .

الشرح

لا بد لأمير المؤمنين (عليه السلام) من أن يجيبها ليخفف عنها الآلام والأحزان
التي ألمت بها فقال :

[لا ويل عليك ، بل الويل لشانك]

هذا رد على قول الزهراء (عليها السلام) : ويلاي ، فقال لها : ليس الويل لك
أو عليك ، بل الويل والعذاب الشديد ، والعقاب الأليم لمبغضك ، وظالمك ،
وغاصب حقك .

[نهى عن نفسك يا ابنة الصفة ، وبقية النبوة]

أي هوني عن نفسك يابنت من اصطفاه الله تعالى على العالمين ، وجعله سيد الأنبياء والمرسلين ، وفضله على المخلوقات أجمعين : من الأولين والآخرين .

[فما وئيتُ عن ديني ، ولا أخطأتُ مقدوري]

أي لم أتأخر عن أمر فيه لربي رضا ، وهذا هو ديني وطريقي ، ولم أتوانَ عن شيء وقع تحت قدرتي واستطاعتي ، وإنما أنا ساكت الآن لأجل الدين ، ورضا رب العالمين ، وبقاء رسالة سيد المرسلين ، ولأنه صلى الله عليه وآله أمرني بالصبر والسكوت ، إن لم أجد أعواناً أجاهد بهم .

[فإذا كنتَ تريدُين البُلغة ، فرزقك مضمون ، وكفيلك مأمون]

أي إن كنتَ تريدُين من مطالبتك بأرض فذك ، والإرث وغيرها من الحقوق ، ما تبغني به الكفاف من العيش لك ولأولادك ، فرزقك مضمون ، لأن الرزق على الله سبحانه ، وهو ضامن أرزاق كل المخلوقات ، بشراً كانوا أم لا ، والله لا يخلف الميعاد .

[وما أعد لك أفضل مما قطع عنك ، فاحتسبي الله]

أي ما أعد الله لك في الآخرة ، من الدرجات الرفيعة ، والمنازل العالية ، ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾

وحسن أولئك رفيقا ﴿^(١)﴾ خير لك وأفضل من الأراضى ، والإرث ،
وخير لك من الدنيا وما فيها ، فاحتسبي واصبري لما يرضي الله سبحانه ،
وتعود عاقبته بالنفع الكبير عليك .

فقال (عليها السلام) :

[حسبي الله]

وأمسكت .

بهذه الكلمات المهدئة ، والعبارات المطمئنة ، هدأت بعد غضب ،
وسكنت بعد حزن ، واطمأنت إلى كلام أمير الكلام (عليه رعليها الصلاة والسلام) .

وروي : إن أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن سمع من الزهراء (عليها السلام) هذا
الكلام ، أراد أن يحرك غيرتها ، ويعلمها ، ويعلم التاريخ أيضاً ، أنه إنما
سكت عن ظلمها ، ولم ينتصر لها بالقوة ، لأجل الدين ، ولأجل الحفاظ
على رسالة رب العالمين .

إذ أنه بعد أن سمع شكايها ، وهم بالخروج مُغضباً لإستخلاص حقها ،
سمع المؤذن يقول : (أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله)
فالتفت (عليه السلام) إلى الزهراء (عليها السلام) وقال : يا فاطمة ! إن أنا خرجت
على مثل حالي هذه ، فلن تسمعي بهذا الصوت ذكراً بعد اليوم !! .

أأخرج ؟ أم تصبري ؟؟ .

فقال (عليها السلام) : بل أصبر يا ابن العم ، لا تخرج ^(٢) .

(١) النساء/٦٩

(٢) إعلموا أنني فاطمة ج١٠/ص٣٧٠

يسأل البعض : لماذا لم يقيم أمير المؤمنين (عليه السلام) ليأخذ حقه بالقوة ، وهو المعروف بشجاعته وقوته ؟ .

إن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو باب مدينة العلم ، وهو نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فهو يعلم علم اليقين أن الإسلام ما زال في المهّد ، وأن الدولتين العظمتين - الشرق الفارسي والغرب الروماني - تنتظران مصير الدين الجديد ، وأن العرب ، سواء الذين أسلموا ، أم الذين استسلموا مستعدون للإرتداد والرجوع عن الدين الجديد إلى الجاهلية التي عاشوا في ظلماتها سنين طويلة .

فأيّ خلاف داخلي ، سيكون فرصة للأعداء حتى ينقضوا على الإسلام ، ويقضوا عليه .

لهذا عندما بلغه (عليه السلام) قول ابن عمه عتبة بن أبي لهب :

ما كنت أحسب هذا الأمر منصرفاً عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
عن أول الناس إيماناً وسابقةً وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وأخر الناس عهداً بالنبى ومن جبريل عون له بالغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمتزون به وليس في القوم ما فيه من الحسن
بعث إليه (عليه السلام) ، ونهاه عن ذلك ، وقال : سلامة الدين أحب إلينا
من غيره (١) .

إذن سلامة الدين هي الغاية ، وإن وقع عليه وعلى أهل بيته الظلم والقتل والتشريد .

(١) راجع عبد الله بن سبأ /ص ١١٤ عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

حديث إحراق دار فاطمة الزهراء (عليها السلام)

من طرق أهل السنة

بعد أن نجح الحزب السري ، الذي أُسسَ في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ، بالإنقلاب ، بعد وفاته ، وبالإستيلاء على الحكم ، وأصبحت المعارضة ضعيفة ومنحصرة في أفراد معدودين ،

منهم : العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبيّ بن كعب ، وعبادة بن الصامت ، وأبي الهيثم بن التيهان ، وخديفة بن اليماني ، وجماعة من بني هاشم ، وجمع من المهاجرين والأنصار^(١) .

وبعد أن باءت بالفشل محاولات فاطمة الزهراء (عليها السلام) وحوارها مع أولئك المنافقين .

جمع أبو بكر مستشاريه : عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، والمغيرة بن شعبة ، وتشاور معهم ، وقرّر رأيهم على أن يذهبوا إلى العباس بن عبد المطلب ، لإستمالته وإبعاده عن عليّ (عليه السلام) وأصحابه ، فيضعف بذلك تيار المعارضة .

ولكنهم باءوا بالفشل ، وبقي العباس على تمسكه بعليّ (عليه السلام) .

(١) راجع كتاب عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى/ص ١٠٢ ، وتاريخ يعقوبي ، وشرح ابن أبي الحديد ، والإمامة والسياسة لابن قتيبة .

وأصبح هؤلاء المعارضون لما جرى في سقيفة بني ساعدة في غفلة من الزمن
يعتبرون أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هو الخليفة الشرعي
بنصّ من الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) .

وكانوا يجتمعون كلهم أو بعضهم ، في أغلب الأحيان ، في بيت أميرهم
عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

وقد ذكر المؤرخون سبب الهجوم على دار فاطمة (عليها السلام) ، لإحراقه .
وهو أنه : غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر ، منهم علي بن أبي
طالب والزبير ، فدخلا بيت فاطمة ومعهم السلاح ^(١) .

فبلغ أبا بكر وعمر : أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع
علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله .
وأنهم إنما اجتمعوا ليبايعوا علياً ^(٢) .

روى في العقد الفريد ^(٣) .

قال : ... فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة
وقال له : إن أبا فقاتلهم ، فأقبل بقبسٍ من نار على أن يضرهم عليهم الدار ،
فلقيتهم فاطمة فقالت : يا بن الخطاب أجمت لتحرق دارنا ؟
قال : نعم ! أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة ^(٤) .

^(١) الرياض النضرة ج ١/ص ١٦٧ وشرح ابن أبي الحديد ج ١/ص ١٣٢ و ج ٦/ص ٢٩٣ وتاريخ الخميس

ج ١/ص ١٨٨

^(٢) تاريخ يعقوبي ، وتاريخ ابن شحنة /ص ١١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ج ٢/ص ١٣٤

^(٣) ج ٣/ص ٦٣

^(٤) راجع البحار ج ٢٨/ص ٣٣٩ ودلائل الصدق ج ٣/ص ٧٨ وعبد الله بن سبأ /ص ١٠٨

وروى في كنز العمال (١) .

قال : إن عمر قال لفاطمة : ما من الخلق أحد أحب إليّ من أيك ، وما من أحد أحب إلينا بعد أيك منك ، وأيم الله ! ما ذاك بمانعي ان اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمر بهم أن يحرق عليك الباب (٢) .

وروى في الإمامة والسياسة (٣) .

قال : إن عمر جاء فناداهم ! وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا فدعا بالخطب وقال : والذي نفس عمر بيده ، لتخرجن ، أو لأحرقنها على من فيها ، فقيل له : ياأبا حفص إن فيها فاطمة ! فقال : وإن (٤) .

وروى في أنساب الأشراف (٥) .

قال : إن أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة ، فلم يبايع ، فجاء عمر ومعه فتيلة ، فتلقته فاطمة على الباب ، فقالت : ياابن الخطاب أترأ محرقاً عليّ بابي ؟ قال : نعم ، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك (٦) .

وروى في تاريخ الطبري (٧) .

(١) ج ٣/ص ١٤٠

(٢) عبد الله بن سبأ /ص ١٠٨ ودلائل الصدق ج ٣/ص ٨٧

(٣) لابن كتيبة ج ١/ص ١٢

(٤) راجع البحار ج ٢٨/ص ٣٥٦ ودلائل الصدق ج ٣/ص ٨٧ وعبد الله بن سبأ /ص ١٠٨

(٥) للبلاذري ج ١/ص ٥٥٦

(٦) راجع البحار ج ٢٨/ص ٣٨٩ وتلخيص الشاني ج ٣/ص ٧٦ وعبد الله بن سبأ /ص ١٠٨

(٧) ج ٣/ص ٢٠٢

قال : أتى عمر بن الخطاب منزل علي ، وفيه طلحة والزبير ، ورجال من المهاجرين فقال : والله لأحرقن عليكم ، أو لتخرجن إلى البيعة ، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه ^(١) وروى في تاريخ ابن شحنة ^(٢) .

قال : إن عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه على من فيه ، فلقيته فاطمة فقال ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة ^(٣) . وروى في شرح نهج البلاغة ^(٤) .

نقلاً عن كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ، ونفر قليل من المهاجرين ، فقال : والذي نفسي بيده ! لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم ^(٥) . كتاب الغرر ^(٦) .

قال : قال زيد بن أسلم : كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة (عليها السلام) حين امتنع علي (عليه السلام) وأصحابه عن البيعة ، فقال عمر لفاطمة أخرجي من في البيت ، أو لأحرقنه ومن فيه ، قال : وفي البيت علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين (عليهم السلام) ، وجماعة من أصحاب رسول الله

^(١) البحار ج ٢٨ / ص ٣٣٨ ودلائل الصدق ج ٣ / ص ٨٨

^(٢) مطبوع بهامش الكامل لابن الأثير ج ٧ / ص ١٦٤

^(٣) الغدير ج ٧ / ص ٧٧ وعبد الله بن سبأ / ص ١٠٨

^(٤) لابن أبي الحديد ج ٢ / ص ١٢٤

^(٥) البحار ج ٢٨ / ص ٣٢١ ودلائل الصدق ج ٣ / ص ٨٨

^(٦) لابن خنزابة طبعة قديمة

(صلى الله عليه وآله) فقالت فاطمة (عليها السلام) : أتحرق علياً وولدي !؟ قال : أي والله ! أو ليخرجن وليبايعن (١) .

وروى أبو الفداء في تاريخه (٢) .

قال خلا جماعة من بني هاشم ، والزبير ، وعتبة بن أبي لهب ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والمقداد بن عمر ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب ، ومالوا مع علي بن أبي طالب ، وقال في ذلك عتبة بن أبي لهب :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
 عن أول الناس إيماناً وسابقة وأعلم الناس بالقرآن والسنن
 وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جريلاً عون له في الغسل والكفن
 من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن
 وتخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان من بني أمية .

ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة (رضي الله عنهما) وقال : إن أبوا عليكم فقاتلهم ، فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرهم ، فلقيته فاطمة (رضي الله عنها) وقالت : إلى أين يا بن الخطاب !؟

أجفت لتحرق دارنا !؟ قال : نعم (٣) .

(١) البحار ج ٢٨/ص ٣٣٩ ودلائل الصدق ج ٣/ص ٧٨

(٢) ج ١/ص ١٦٤ وفي طبعة أخرى /ص ١٥٦

(٣) كتاب الملاحظات /ص ١٦٧

وروى أبو بكر الجوهري (١) .

قال : لما بويح لأبي بكر ، كان الزبير ، والمقداد ، يختلفان في جماعة من الناس إلى عليّ ، وهو في بيت فاطمة ، فيتشاورون ، ويتراجعون أمورهم ، فخرج عمر حتى دخل على فاطمة (عليها السلام) وقال : يا بنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك ، وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك ، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء نفر عندك أن أمر بتحريق البيت عليهم (٢) .

وروى الجوهري أيضاً (٣) .

قال : بالإسناد إلى سلمة بن عبد الرحمن ، قال : لما جلس أبو بكر على المنبر ، كان علي والزبير ، وناس من بني هاشم في بيت فاطمة ، فجاء عمر إليهم فقال : والذي نفسي بيده ! لتخرجن إلى البيعة ، أو لأحرقن البيت عليكم .

فخرج الزبير مصلاً سيفه ، فاعتنقه رجل من الأنصار ، وزياد بن لييد ، فدق به ، فبدر السيف ، فصاح أبو بكر وهو على المنبر : اضرب به الحجر . قال أبو عمرو بن حماس : فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة ، ويقال : هذه ضربة سيف الزبير (٤) .

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١/ص ١٣٠

(٢) السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري البصري/ص ٣٨ تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني والبحار ج ٢٨/ص ٣١٣ والملاحظات/ص ١٦٩

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١/ص ١٣٤ وج ٢/ص ١٩

(٤) السقيفة وفدك للجوهري /ص ٥٠ ، والبحار ج ٢٨/ص ٣١٥ ؛ والملاحظات /ص ١٧٠

وروى الجوهري أيضاً^(١) .

من رواية أخرى : أن سعد بن أبي وقاص ، كان معهم في بيت فاطمة (عليها السلام) ، والمقداد بن الأسود أيضاً ، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً (عليه السلام) ، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت ، فخرج إليه الزبير بالسيف ، وخرجت فاطمة (عليها السلام) تبكي وتصيح ، فنهت من الناس^(٢)

وروى الواقدي بإسناده

قال : إن عمر بن الخطاب ، جاء إلى علي (عليه السلام) في عصابة فيهم أسيد بن حضير ، وسلمة بن أسلم ، فقال : أخرجوا أو لنحرقنها عليكم^(٣) .

وروى إبراهيم بن محمد الثقفي :

على ما نقل عنه الشريف المرتضى علم الهدى (ره) في كتابه الشافي ، بإسناده إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) أنه قال : والله ما بايع عليّ (عليه السلام) حتى رأى الدخان قد دخل بيته^(٤) .

وروى الشهرستاني في الملل والنحل^(٥) .

قال إبراهيم بن يسار بن هاني النظام : إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة ، حتى ألقى الجنين من بطنها ، وكان يصيح : احرقوا دارها بمن فيها

^(١) نفس المصدر من شرح النهج

^(٢) نفس المصدر من البحار ، والملاحظات ، وكتاب ماذا تقضون/ص ٤٢٣

^(٣) البحار ج ٢٨/ص ٣٣٩

^(٤) البحار ج ٢٨/ص ٣٩٠ وكتاب تلخيص الشافي ج ٣/ص ٧٦

^(٥) ج ١/ص ٥٧

وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين^(١) .
وهناك روايات وأحاديث أخرى تصور لنا كيف كان الهجوم على دار
فاطمة (عليها السلام) لإخراج أمير المؤمنين (عليه السلام) ليبياع أبا بكر ، منها :
مارواه ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة :
..وأن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند عليّ ، فبعث إليهم عمر ،
فجاء فناداهم ! وهم في دار عليّ ، فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالخطب وقال :
والذي نفس عمر بيده لتخرجن ، أو لأحرقنها على من فيها ، فقيل له : يا
أبا حفص ! إن فيها فاطمة !؟ فقال : وإن !.
فخرجوا فبايعوا إلا علياً ، فإنه زعم أنه قال : حلفت أن لا أخرج ، ولا
أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن .
فوقفت فاطمة على بابها ، فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضراً
منكم ، تركتم رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) جنازة بين أيدينا ، وقطعتم
أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ، ولم تردوا لنا حقاً .
فأتى عمر أبا بكر ، فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة ؟ .
فقال أبو بكر لقفنذ وهو مولى له : إذهب فأدع لي علياً ، قال : فذهب
إلى علي فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله ، فقال
علي : لسريع ما كذبتم على رسول الله ! .
فرجع فأبلغ الرسالة ، قال : فبكى أبو بكر طويلاً .

(١) كتاب ماذا تقضون /ص ٤٢٣

فقال عمر الثانية : لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة ، فقال أبو بكر
لقننذ : عد إليه ، فقل له : خليفة رسول الله يدعوك لتبايع ، فجاءه قننذ
فأدى ما أمر به ، ورفع علي صوته فقال : سبحان الله ! لقد ادعى ما ليس
له ، فرجع قننذ فأبلغ الرسالة ، فبكى أبو بكر طويلاً ، ثم قام عمر فمشى
معه جماعة ، حتى أتوا باب فاطمة ، فدقوا الباب ، فلما سمعت أصواتهم ،
نادت بأعلى صوتها : يا أبتِ يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن
الخطاب ، وابن أبي قحافة ؟!

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها ، انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم
تنصدع ، وأكبادهم تنفطر ، وبقي عمر ومعه قوم ، فأخرجوا عليّاً ، فمضوا
به إلى أبي بكر ، فقالوا له : بايع ، فقال : إن أنا لم أفعل فمه ؟.

قالوا : إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك ! قال : إذا تقتلون عبد
الله وأخاه رسوله ، قال عمر : أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا !
وأبو بكر ساكت لا يتكلم ، فقال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك ، فقال : لا
أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه ، فلحق علي بقر رسول الله
(صلى الله عليه - وآله - وسلم) يصيح ويبكي ، وينادي : ﴿ يا ابن أم إن القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴾^(١) .

وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة

^(١) راجع الإمامة والسياسة ج ١/ص ١٢ و١٣ والآية/١٥٠/الأعراف

قال : عن ابي الأسود ، قال : غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة ، وغضب علي والزبير ، فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر في عصابة ، فيهم أسيد بن حُضير ، وسلمة بن سلامة بن قريش ، وهما من بني عبد الأشهل ، فاقتحما الدار ، فصاحت فاطمة : وناشدتهما الله ، فأخذوا سيفيهما ، فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما ، فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا .

ثم قام أبو بكر ، فخطب الناس ، فاعتذر إليهم ، وقال : إن بيعتي كانت فلتة وقى الله شرها ، وخشيت الفتنة ، وأيم الله ما حرصت عليها يوماً قط ولا سألتها الله في سر ، ولا علانية قط ، ولقد قُلتُ أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يدان ، ولقد وددت أن أقوى الناس عليه مكاني ^(١) .

وروى ابن أبي الحديد أيضاً

بإسناده عن أبي بكر الجوهري قال : عن الشعبي أنه قال : قال أبو بكر : يا عمر ! أين خالد بن الوليد ؟ قال : هو هذا ، فقال انطلقا إليهما - يعني علياً والزبير - فأتياني بهما ، فانطلقا ، ودخل عمر ، ووقف خالد على الباب من خارج ، فقال عمر للزبير : ما هذا السيف ؟ قال : أعدده لأبايع علياً ، قال : وكان في البيت ناس كثير ؛ منهم المقداد بن الأسود ، وجمهور الهاشميين ، فاحتزط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره ، ثم أخذ بيد الزبير فاقامه ، ثم دفعه فأخرجه ، وقال : يا خالد ! دونك هذا ، فأمسكه خالد - وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس ، أرسلهم

^(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١/ص ١٣٢ ، وج ٦/ص ٤٧ ، والبحار ج ٢٨/ص ٣١٤

أبو بكر رده ألهما - ثم دخل عمر فقال لعليّ : قم فبايع ، فتلكأ واحتبس ، فاخذ بيده ، وقال : قم ، فأبى أن يقوم ، فحمله ودفعه كما دفع الزبير ! .
ثم أمسكهما خالد ، وساقهما عمر ومن معهما سوقاً عنيفاً ، واجتمع الناس ينظرون ، وامتألت شوارع المدينة بالرجال ، ورأت فاطمة ما صنع عمر ، فصرخت وولولت ، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن فخرجت إلى باب حجرتها ، ونادت : ياأبا بكر ! ما أسرع ما أغرتم علي أهل بيت رسول الله ! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله (١) .

وروى اليعقوبي في تاريخه

قال : .. وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله ، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار ، وخرج علي ومعه السيف ، فلقية عمر ، فصارعه عمر ... وكسر سيفه ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت : والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ، ولأعجنّ إلى الله ! فخرجوا وخرج من كان في الدار ، وأقام القوم أياماً .
ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ؛ ولم يبايع علي إلا بعد ستة أشهر ، وقيل : أربعين يوماً (٢) .

اعتذار القاضي عبد الجبار

(١) شرح النهج ج ٢/ص ١٩ والبحار ج ٢٨/ص ٣٢٢

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢/ص ١٢٦ والملاحظات/ص ١٧٧

واعتذر القاضي عبد الجبار - وهو من كبار علماء أهل السنة - عن فعل أبي بكر وعمر بهجومهم على بيت أهل البيت (عليهم السلام) وقصدتهم بإحراقه وإخراج علي (عليه السلام) عنوة فقال : فأما ما ذكروه من حديث عمر في باب الإحراق ، فلو صحّ لم يكن طعناً على عمر ، لأن له أن يهدد من امتنع عن المبايعة إرادة للخلاف على المسلمين ^(١) .

فأجابه الشريف المرتضى (رضوان الله عليه)

فأما قوله : إن حديث الإحراق ما صحّ ، ولو صحّ لم يكن طعناً لأن له أن يهدد من امتنع عن المبايعة إرادة للخلاف على المسلمين .
فقد بينا أن خير الإحراق قد رواه غير الشيعة ممن لا يتهم على القوم ، وإن دفع الروايات بغير حجة أكثر من نفس المذاهب المختلف فيها ، لا يجدي شيئاً ، والذي اعتذر به من حديث الإحراق إذا صحّ طريف ! . وأي عذر لمن أراد أن يحرقّ على أمير المؤمنين وفاطمة (عليهما السلام) منزلهما ؟ .
وهل يكون في مثل ذلك علة يُصغى إليها ، أو تسمع ، وإنما يكون مخالفاً على المسلمين ، وخارقاً لإجماعهم .

ثم قال : (ره) وبعد فلا فرق بين أن يهدد بالإحراق لليلة التي ذكرها ، وبين ضرب فاطمة (عليها السلام) لمثل هذه العلة ، فإن إحراق المنازل أعظم من ضربه بالسوط ، وما يحسن الكبير ممن أراد الخلاف على المسلمين أولى بأن

^(١) راجع الشافي ج ٤/ص ١١٢ والملاحظات /ص ١٧٧

يحسن الصغير ، فلا وجه لإمتعاض صاحب الكتاب ، من ضربة السوط ،
وتكذيب نقلها ، وعنده مثل هذه الأعذار ^(١) .

أقول : هذه مجمل الروايات التي استطعنا أن نحصل عليها من طريق أهل
السنة ، وقد رواها الثقات من علمائنا الأبرار .

أمثال : الشريف المرتضى - علم الهدى - في كتابه الشافي ، والشيخ أبو
جعفر الطوسي - شيخ الطائفة - في كتابه تلخيص الشافي ج ٣ ، والشيخ
محمد باقر المجلسي في البحار ج ٢٨ ، والشيخ محمد حسين المظفر في كتابه
دلائل الصدق ج ٣ ، والسيد مرتضى العسكري في كتابه عبد الله بن سبأ
وأساطير أخرى .

وربما هناك الكثير من المصادر المعتبرة المدفونة في طي الكتمان ، فيكون
التقصير منّا في إظهارها ونشرها لطلاب الحقيقة ، وما أكثرهم في هذه الأيام
وقد لخص هذه الروايات المتقدمة شيخنا الأميني (ره) في غديره العذب
الصافي ، لمن يجب أن يشرب ، والشارب منه لا يرتوي ، لأن لذته لا تنتهي
قال : ^(٢) ... أو إلى اللاتذنين بدار النبوة ، مأمّن الأمة ، وبيت شرفها ،
بيت فاطمة وعليّ (سلام الله عليهما) وقد لحقهم الإرهاب والترعيد ، وبعث إليهم
عمر بن الخطاب ، وقال لهم : إن أبوا فقاتلهم . فأقبل عمر بقبس من نار
على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمة فقالت : يابن الخطاب ! أجتت
لتحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة .

^(١) الشافي ج ٤/ص ١١٩ و ١٢٠ والملاحظات/ص ١٧٨

^(٢) تابعاً لما مر في /ص ٥١ من هذا الكتاب

بعد ما رأى هجوم رجال الحزب السياسي دار أهل الوحي ، وكشف بيت فاطمة ، وقد علت عقيرة قائدهم بعدما دعا بالحطب : والله لنحرقن عليكم ، أو لتخرجن إلى البيعة ، أو لأحرقنها على من فيها .
فيقال للرجال : إن فيها فاطمة ، فيقول : وإن .

بعد قول ابن شحنة : إن عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه علي من فيه ، فلقيته فاطمة ، فقال : ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة .
بعد ما سمع أنه وحنة من حزينه كئيبة - بضعة المصطفى - وقد خرجت عن خدرها ، وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها : يا أبت يارسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ؟ (١) .

بعد ما رآها وهي تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميات تنادي : يا أبا بكر ! ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله ، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله (٢) .

بعدها شاهد هيكل القداسة والعظمة - أمير المؤمنين - يقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل المخشوش (٣) .
ويلدفع ويساق سوقاً عنيفاً ، واجتمع الناس ينظرون ، ويقال له : بايع ، فيقول : إن أنا لم أفعل فمه ؟ .

(١) الإمامة والسياسة ، وأعلام النساء ، والإمام علي لعبد الفتاح عبد المقصود

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد

(٣) العقد الفريد ، وصبح الأعشى ، وشرح نهج البلاغة

فيقال : إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك ، فيقول : إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله (١) .

بعد ما رأى صنو المصطفى علياً لائذاً بقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يصيح ويكي ويقول : يابن أم ! إن القوم استضعفوني وكادوا بقتلوني (٢) .
بعد نداء أبي عبيدة الجراح لعلي (عليه السلام) يوم سيق إلى البيعة : يابن عم إنك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ، ومعرفتهم بالأمور .

ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك ، وأشد احتمالاً واستطلالاً ، فسلم لأبي بكر هذا الأمر فانك إن تعش ويطل بك بقاء ، فأنت لهذا الأمر خليق ، وحقيق ، في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك (٣) .

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبب بقولهم : لا نبايع إلا علياً .

وبعد صياح بدريهم : منا أمير ومنكم أمير ، وقول عمر : إذا كان ذلك فمت إن استطعت (٤) .

بعد قول أبي بكر للأنصار : نحن الإمراء ، وأنتم الوزراء !.

(١) الإمامة والسياسة ، وشرح نهج البلاغة

(٢) الإمامة والسياسة

(٣) الإمامة والسياسة ، وشرح النهج لابن أبي الحديد

(٤) صحيح البخاري باب فضائل أبو بكر في باب رجم الحبلى ، وطبقات بن سعد ، وسيرة ابن هشام ، والبيان والتبيين للجاحظ وغيرها من المصادر الكثيرة

وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفان كشق الأبلمة - يعني الخوصة - . إلى أن قال (ره) :

وما عساني أن أقول في تلك الخلافة ١٩ .
بعد ما رآها أبو بكر وعمر بن الخطاب فلتة ، كفلتة الجاهلية ، وقى الله شرها .

بعد حكم عمر : بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة ^(١) .
بعد قوله يوم السقيفة : - أي عمر - من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ، ولا بيعة للذي بايعه تغرة أن يقتلا ^(٢) .
بعد الذي قرأت ... ما رأيك بهذه الخلافة والبيعة التي يزعمون أنها شرعية ومحقة ٢٢ .

وهذا الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب يصور لنا قضية هجوم القوم على دار فاطمة الزهراء (عليها السلام) ليحرقوه ، ويستخرجوا منه الأسد من عرينه ، علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأصحابه للبيعة ، بإسلوب شيق جميل ، وهو زبدة المنحض .
فقال : ^(٣) واجتمعت جموعهم - آونة في الخفاء وأخرى على ملاء - يدعون إلى ابن أبي طالب ، لأنهم رأوه أولى الناس بأن يلي أمور الناس ، ثم

^(١) التمهيد للباقلاني ، وشرح النهج ، والصواعق المحرقة لابن حجر

^(٢) صحيح البخاري ، ومسنند أحمد ، وسيرة ابن هشام ، ونهاية ابن الأثير ، ونيسر الوصول ، وشرح نهج

البلاغة ، وتاريخ ابن كثير .

.. راجع الغدير للشيخ الأميني (ره) ج٧/ص٧٤/٨٠

^(٣) ج١/ص١٨٩/١٩١

تألّبوا حول داره يهتفون بإسمه ، ويدعونه أن يخرج إليهم ليردوا عليه تراثه
المسلوب ...

فإذا بالمسلمين أمام هذا الحدث ، مخالف أو نصير .
وإذا بالمدينة حزبان ، وإذ بالوحدة المرجوة شقان ، أوشكا على انفصال .
ثم لا يعرف غير الله ما سوف تؤول إليه الأمور بعد هذا الحال ...
فهلاً كان عليّ - كإبن عبادة - ^(١) حريّاً في نظر ابن الخطاب بالقتل ،
حتى لا تكون فتنة ، ولا يكون إنقسام !؟

كان هذا أولى بعنف عمر إلى جانب غيرته على وحدة الإسلام ، وبه
تحدث الناس ، ولهجت الألسن كاشفة عن خلجات خواطر جرت فيها
الظنون مجرى اليقين ، فما كان لرجل أن يجزم أو يعلم سريرة إبن الخطاب ،
ولكنهم جميعاً ساروا وراء الخيال .

ولهم سند مما عرف عن الرجل دائماً من عنف ، ومن دفعات ، ولعلّ
فيهم من سبق بذهنه الحوادث على متن الإستقراء ، فرأى بعين الخيال قبل
رأي العيون ، ثبات عليّ أمام وعيد عمر لو تقدم هذا منه يطلب رضاه ،
واقاراره لأبي بكر بحقه في الخلافة ، ولعله تمادى قليلاً في تصور نتائج هذا
الموقف ، وتخيل عقباه . فعاد بنتيجة لازمة لامعدى عنها هي خروج عمر
عن الجادة ، وأخذ هذا (المخالف) العنيد بالعنف والشدة !.

^(١) سعد بن عبادة زعيم الخزرج ، وكان مريضاً ، ولشدة تراحمهم على البيعة يوم السقيفة كادوا أن يطوره ، فقال
جماعة من قوم سعد : اتقوا سعداً لا تقتلوه ، قال عمر : اقتلوه قتله الله . راجع عبد الله بن سبأ /ص ٩٧

وكذلك سبقت الشائعات خطوات ابن الخطاب ذلك النهار ، وهو يسير في جمع من صحبه ومعاونيه إلى دار فاطمة ، وفي باله أن يحمل ابن عم رسول الله - إن طوعاً وإن كرها - على إقرار ما أباه حتى الآن ، وتحدث أناس بأن السيف سيكون وحده متن الطاعة !...

وتحدث آخرون بأن السيف سوف يلقي السيف !...

ثم تحدث غير هؤلاء وهؤلاء بأن (النار) هي الوسيلة المثلى إلى حفظ الوحدة ، وإلى (الرضا) والإقرار !...

وهل على السنة الناس عقاب يمنعها أن تروي قصة حطب أمر به ابن الخطاب فأحاط بدار فاطمة ، وفيها علي وصحبه ، ليكون عدة الإقناع ، أو عدة الإيقاع ؟...

على أن هذه الأحاديث جميعها ومعها الخطط المدبرة ، أو المربجلة ، كانت كمثل الزبد ، أسرع إلى ذهاب ، ومعها دفعة ابن الخطاب !...

أقبل الرجل محنقاً ، مندلع الثورة ، على دار عليّ ، وقد ظاهره معاونوه ، ومن جاء بهم ، فافتحموها ، أو أوشكوا على اقتحام ، فلإذا وجه كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً من حزن ، على قسماته خطوط الآم .

وفي عينيه لمعات دمع ، وفوق جبينه عبسة غضب فائر ، وحنق نائر ... وتوقف عمر من خشية ، وراحت دفعته شعاعاً .

وتوقف خلفه - أمام الباب - صحبه الذين جاء بهم ، إذ رأوا حيالهم صورة الرسول تطالعهم من خلال وجه حبيبه الزهراء .

وغمضوا الأبصار من خزي ، أو من استحياء ، ثم ولت عنهم عزمات
القلوب ، وهم يشهدون فاطمة تتحرك كالخيال وئيداً وئيداً بخطوات المحزونة
الثكلى ، فتقترب من ناحية قبر أبيها ...

وشخصت منهم الأنظار ، وأرهفت الأسماع إليها ، وهي ترفع صوتها
الرقيق الحزين ، النبرات تهتف بمحمد الثاوي بقربها ، تناديه باكية مريرة
البكاء : (يا أبت !... يا أبت !...)

فكأنما زلزلت الأرض تحت هذا الجمع الباغي ، من رهبة النداء ...
وراحت الزهراء ، وهي تستقبل المشوى الطاهر ، تستنجد بهذا الغائب
الحاضر : (يا أبت يا رسول الله ! ... ما ذا لقينا بعدك من إبن الخطاب ،
وإبن أبي قحافة !؟) .

فما تركت كلماتها إلا قلباً صدعها الحزن ، وعيوناً جرت دمعاً ،
ورجالاً ودّوا لو استطاعوا أن يشقوا مواطيء أقدامهم لينهبوا في طوايا الثرى
مغيبين ...^(١)

وهذا شاعر النيل ، الحافظ إبراهيم ، يفتخر بعمر بن الخطاب ، كيف
دخل بيت عليّ (عليه السلام) ، وكيف حرق داره عليه إن لم يبايع .
وللمقدس العلامة الشيخ الأميني (ره) كلام جميل ، وتأسف مرير في هذا
الموضوع ، وهو تابع لتعجبه وتأسفه - السابق - مما جرى في وفاة النبي (صلى
الله عليه وآله) يوم السقيفة ، فيقول :

^(١) راجع الغدير ج ٣/ص ١٠٣/١٠٤

ثم ما عساني أن أقول : بعد ما يعربد شاعر النيل اليوم ^(١) ويؤجج النيران
الخامدة ، ويجدد تلکم الجنایات المنسية (لاها الله لا تنسى مع الأبد) ،
ويعدّها ثناءً على السلف ، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلکم المعرّات
ويتبهج ويتبجح بقوله في القصيدة (العمرية) ، تحت عنوان ، عمر وعلي :
وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرّقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تبایع و بنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحامياها
ماذا أقول : بعد ما تحتفل الأمة المصرية ، في حفلة جامعة في أوائل سنة
١٩١٨ م بإنشاد هذه القصيدة العمرية التي تتضمن ما ذكر من الأبيات ؟
وتنشرها الجرائد في أرجاء العالم .

ويأتي رجال مصر نظراء : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الإياري
وعلي جارم ، وعلي أمين ، و خليل مطران ^(٢) ومصطفى الدميّاطي بك ،
وغيرهم .

ويعتنون بنشر ديوان هذا شعره ، وبتقدير شاعر هذا شعوره .
ويخشدشون العواطف في هذه الأزمنة ، في هذا اليوم العصبصب ،
ويعكرون بهذه النعرات الطائفية صفو السلام والوئام ، في جامعة الإسلام ،
ويشتتون بها شمل المسلمين ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ^(٣) .

^(١) هو محمد حافظ إبراهيم المتوفي سنة ١٩٣٣ م/١٣٥١ هـ.

^(٢) ملاحظة : إنه لبناني من مدينة بعلبك

^(٣) إشارة الى قوله تعالى : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا ﴾ الكهف/١٠٣

وتراهم يجددون طبع ديوان الشاعر ، وقصيدته العمرية خاصة ، مرة بعد أخرى ، ويعلق عليها شارحها الدمياطي بقوله في البيت الثاني : المراد أن عليا لا يعصمه من عمر سكنى بنت المصطفى في هذه الدار ...
وتراهم بالغوا في الثناء على الشاعر وقصيدته هذه ، كأنه جاء للأمة بعلم جمّ ، أو رأي صالح ، أو أتى لعمر بفضيلة راوية ، تسر بها الأمة ونيها المقلس .

فبشرى ، بل بشريان للنبي الأعظم ، بأن بضعته الصديقة لم تكن لها أيّ حرمة وكرامة ، عند من يلهج بهذا القول ! ولم يكن سكنها في دار طهر الله أهلها وعصمهم ، يعصمهم منه ، ومن حرق الدار عليهم .
فزه زه بانتخاب هذا شأنه ، وبخ بخ بيعة تمت بذلك الإرهاب ، وقضت بتلك الرصمات (١) .

(١) راجع الغدير ج٧/٨٥/٨٧

من قصيدة الشيخ حبيب شعبان

أيا منزلَ الأحبابِ مالكَ موحشاً
تَعفَيْتَ يا رِبعَ الأحبَةِ بعدهمُ
رمتها سهامُ الدهرِ وهي صوائِبُ
شجّاهما فراقُ المصطفى واحتقارُها
لقدُ بالغوا في هضمِها وتحالفوا
فآبَتْ وزنْدُ الغيظِ يقدح في الحشا
وجاءتُ إلى الكرارِ تشكو اهتضامَها
أبا حسنٍ يا راسخَ العلمِ والحجى
ويا واحداً أفنى الجموعَ ولم يزلُ
أراك تراني وابنَ تيمٍ وصحبَهُ
ويلطُمُ وجهي نصبَ عينيكِ ناصبُ
فتغضي ولا تُنضي حسامك آخذاً
لمن أشتكي إلا إليكَ ومَن بهِ
وقد أضرمو النيرانَ فيهِ وأسقطوا
وما برحتُ مهزومةً ذاتَ علةٍ
إلى أن قضتُ مكسورةً الضلعَ مسقطاً

بزهرتك الأرياحُ أودت بما تسفي
فذكرتني قبرَ البتولةِ إذ عَفِي
بشجرٍ إلى أن جُرعتُ غصصَ الحتفِ
لدى كلِّ رجسٍ من صحابته جلفِ
عليها وخانوا الله في محكمِ الصحفِ
تعثرُ بالأذيالِ مثنية العطفِ
ومدتُ إليه الطرفَ خاشعةً الطرفِ
إذا فرّت الأبطال رعباً من الزحفِ
بصيحتهِ في الروع يأتي على الألفِ
يسوموني ما لا أطيعُ من الخسفرِ
العداوة لي بالضربِ مني يستشفي
بحقي ومنه اليومَ قد صفرتُ كَفِي
ألوذُ وهل لي بعدَ بيتك من كهفِ
جنيني فواويلاهُ منهمُ ويا لهفي
تأرقها البلوى وظالمها مُغفي
جنينٌ لها بالضربِ مسودةً الكتفِ

قضية محسن ابن الزهراء (عليهما السلام)

من طرق أهل السنة

وأما قضية المحسن ابن فاطمة الزهراء (عليهما السلام) ، وكيف مات صغيراً على قول !؟ أو مات سقطاً بدفع عمر إلى الزهراء (عليها السلام) أو بضربها ، أو بضرب قنفاً !؟ .

هذا ما سنعرفه من نقل الروايات من طرق أهل السنة لكي تكون الحججة أقوى ، وتأكيداً لما روي من طرق الشيعة .

روي الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (١) .

قال : عن إبراهيم بن يسار بن هاني النظام أنه قال : إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألفت الجنين من بطنها ، وكان يصيح : أحرقوا دارها بمن فيها ! وما كان في الدار غير عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين (٢) .

وفي كتابي الميزان (٣) وميزان الاعتدال (٤) .

بعد أن أرّخنا لمحمد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ .
قالا : إنه كان مستقيم الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن (٥) .

(١) ج ١/ص ٥٧

(٢) دلائل الصدق ج ٣/ص ٨٧ ، وكتاب ماذا تقضون/ص ٤٢٣

(٣) لابن حجر ج ١/ص ٢٦٨ في حرف الألف

(٤) للذهبي ج ١/ص ١٣٩

(٥) ماذا تقضون/ص ٤٣٨

وفي أسد الغابة ^(١)

اعترف ابن الأثير الجزري بوجود المحسن ولداً لفاطمة الزهراء (عليها السلام) ، حيث أفرد له ترجمة مستقلة في باب الميم ، وقال : وتوفي المحسن صغيراً ^(٢) .

وفي كتاب الذرية الطاهرة للدولابي ^(٣)

قال : بالإسناد إلى ابن إسحاق أنه قال : ولدت فاطمة بنت رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب : (حسناً) و(حسيناً) و (محسناً) فذهب (محسن) صغيراً ، وولدت (أم كلثوم) و (زينب) ^(٤) .

وذكر المؤلف الرواية في الكتاب مرة أخرى ^(٥) .

أيضاً في كتاب الذرية الطاهرة

قال : بالإسناد إلى هاني بن هاني ، عن عليّ - (ع) - قال : لما ولد الحسن سمّيته حرباً ، فجاء رسول الله (ص) ، فقال : أروني إبنك ، ما سمّيته ؟ قلنا : حرباً قال : بل هو حسن .

فلما ولد حسين سمّيته حرباً ، فجاء النبي (ص) ، فقال : أروني إبنك ، ما سمّيته ؟ قلنا : حرباً ، قال : بل هو حسين .

فلما ولد الثالث سمّيته حرباً فجاء النبي (ص) فقال : أروني إبنك ، ما سمّيته ؟ قلنا : حرباً ، قال : بل هو محسن .

^(١) لابن الأثير الجزري ج ٤/ص ٣٠٨

^(٢) عن تعليقة كتاب سليم بن قيس /ص ٤٠

^(٣) وهو : أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي

^(٤) الذرية الطاهرة/ص ٩٠ رقم ٨١

^(٥) ص ١٥٥ رقم ٢٠٧

ثم قال : سميتهم بأسماء ولد هارون : شبر وشببر ومشبر (١) .
قال في التعليق على الحديث : إن هذا الحديث رواه : احمد بن حنبل في
المسند ج ١ / ص ١١٨ بإسناده عن حجاج بن إسرائيل .
وأيضاً ذكره في مسنده في مكان آخر عن يحيى بن آدم عن إسرائيل في
ج ١ / ص ٩٨ .

وفي تذكرة الخواص

ذكر سبط بن الجوزي ، عند تعداده لأولاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي
طالب (عليه السلام) فقال : وذكر الزبير بن بكار ولداً آخر من فاطمة بنت
رسول الله (ص) إسمه محسن ، مات طفلاً (٢) .

(١) الدرية الطاهرة/ص ٩٧ رقم ٩١

(٢) تذكرة الخواص /ص ٥٤

من قصيدة للسيد محمد جمال الهاشمي

والراثبين لظلم آل محمد
 والقائلين لفاطمٍ آذيتنا
 والقاطعين أراكة كي لا تقيلُ
 ومجمعي حطبٍ على البيت الذي
 والداخلين على البتولة بيتها
 والقائدين إمامهم بنجاده
 خلوا ابن عمي أو لأكشفَ للدعا
 ما كان ناقةً صالحٍ وفصيلها
 ورننت إلى القبر الشريف بمقلةٍ
 نادت وأظفارُ المصابِ بقلبها
 أبتاه هذا السامريُّ وعجله
 أيُّ الرزايا أتقي بتجلدٍ
 فقدني أبي أم غصبَ بعلي حقه
 أم أخذهم إرثي وفاضلَ نخلتي
 قهرُوا يتيمةَ الحسينِ وصنوه

ومحمدٌ ملقىً بلا تكفينِ
 في طولِ نوحٍ دائمٍ وحنينِ
 بظلِّ أوراقٍ لها وغصونِ
 لم يجتمعَ لولاهُ شملُ الدينِ
 والمسقطينَ لها أعزَّ جنينِ
 والطهرُ تدعو خلفهم برنينِ
 راسي وأشكو لإله شجوني
 بالفضلِ عند الله إلا دوني
 عبري وقلبٍ مكمِدٍ محزونِ
 أبتاهُ عزَّ على العداة معيني
 تُبعا وما لَ الناسُ عن هارونِ
 هو في النوائبِ مذحييتُ قريبي
 أم كسرَ ضلعي أم سقوطَ جنيني
 أم جهلهم حقي وقد عرفوني
 وسألتهم حقي وقد نهروني

حديث الإحراق والهجوم على دار الزهراء (عليها السلام)

من طريق الشيعة

وأما حديث الهجوم لإحراق دار فاطمة الزهراء (عليها السلام) لإخراج أمير المؤمنين (عليه السلام) للبيعة فقد أورده كثير من مؤرخي الشيعة ، وسنذكر ما استطعنا استقصاءه ، وما فاتنا أكثر ، فنقول والله المستعان ، وعليه القبول :

ففي كتابي سليم بن قيس الهلالي الكوفي^(١) والإحتجاج للطبرسي^(٢) من حديث طويل ، قالوا : .. فقال عمر لأبي بكر : ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع ، فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره ، وغير هؤلاء الأربعة .

وكان أبو بكر أرق الرجلين ، وأرفقهما ، وأدهما ، وأبعدهما غوراً .

^(١) ص ٣٥ : له كتاب جليل معتمد ، قال أستاذ العلماء في عصرنا الحاضر السيد الخوئي (ره) في معجم رجاله ج ٢١٦/٨ وما بعدها : [قال النجاشي في زمرة من ذكره من سلفنا الصالح في الطبقة الأولى . سليم بن قيس الهلالي ، له كتاب ، يكتفى أبا صادق ...

وذكر هذا القول الشيخ الطوسي في الفهرست . ثم قال : وعدّه في رجاله في أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وفي أصحاب الحسن (عليه السلام) وفي أصحاب الحسين (عليه السلام) قائلاً : سليم بن قيس الهلالي ، وفي أصحاب الإمام السجاد (عليه السلام) قائلاً : سليم بن قيس الهلالي ثم العامري الكوفي صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) . وعدّه من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) ..

وعده البرقي من الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن قال - السيد الخوئي (ره) - : وقال النعماني في كتاب الغيبة ، في باب ما روي في أنّ الأئمة إنا عشر إماماً : أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم حملة حديث أهل البيت (عليهم السلام) وأقدمها ، وإنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ، والمقداد ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر ، ومن جرى مجراهم بمن شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وسمع منهما وهو من الأصول التي ترجع إليها وتعول عليها . (أ. هـ)

والآخر : أفظهما ، وأغلظهما ، وأجفاهما ، فقال له أبو بكر : نرسل إليه قنفذاً ، فهو رجل فظ غليظ جاف من الطلقاء ، أحد بني عدي بن كعب .
فارسله وأرسل معه أعواناً ، وانطلق فاستأذن عليّ (عليه السلام) ، فأبى أن يأذن لهم ، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر ، وهما جالسان في المسجد ، والناس حولهما ، فقالوا : لم يؤذن لنا .

فقال عمر : فإن أذن لكم وإلا فادخلوا بغير إذن ! فانطلقوا ، فاستأذنا فقلت فاطمة (عليها السلام) : أخرج عليكم أن تدخلوا عليّ بيتي بغير إذن ، فرجعوا وثبت قنفذ الملعون .

فقالوا : إن فاطمة قالت كذا وكذا ، فتخرجنا أن ندخل بيتها بغير إذن . فغضب عمر وقال : ما لنا وللنساء ! ثم أمر أناساً حوله بتحصيل الحطب وحملوا الحطب ، وحمل معهم عمر ، فجعلوه حول منزل عليّ (عليه السلام) ، وفيه عليّ وفاطمة وابناهما .

ثم نادى عمر حتى أسمع عليّاً وفاطمة : والله لتخرجن ياعليّ ، ولتبايعن خليفة رسول الله ! وإلا أضرمت عليك النار ، فقامت فاطمة (عليها السلام) فقالت : يا عمر ! ما لنا ولك ؟ فقال : إفتحني الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم ، فقالت : يا عمر أما تتقي الله ! تدخل عليّ بيتي ؟ .

فأبى أن ينصرف ، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب ، ثم كسره فدخل فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) وصاحت : يا أبتاه ! يا رسول الله ! فرفع عمر السيف ، وهو في غمده فوجأ به جنبها ، فصرخت : يا أبتاه ! فرفع

السوط فضرب به ذراعها ، فنادت : يا رسول الله ! لبئس ما خلفك أبو بكر
وعمر

فوثب عليّ (عليه السلام) فأخذ بتلابيبه ، فصرعه ووجأ أنفه ورقبته ، وهم
بقتله ، فذكر قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وما أوصاه به ، فقال : والذي
كرّم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك ! لولا كتاب من الله سبق ، وعهدٌ عهد إليّ
رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لعلمت إنك لا تدخل بيّتي .

فأرسل عمر يستغيث : فأقبل الناس حتى دخلوا الدار ، وثار عليّ (عليه
السلام) إلى سيفه ، فرجع قنفذ إلى أبي بكر ، وهو يتخوف أن يخرج عليّ
بسيفه ، لما قد عرف من بأسه وشدته ، فقال أبو بكر لقنفذ : إرجع ، فإن
خرج فاقتحم عليه بيته ، فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم النار .

فانطلق قنفذ الملعون ، فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن ، وثار عليّ (عليه
السلام) إلى سيفه ، فسبقوه إليه وكاثروه فتناول بعض سيوفهم ، فكاثروه ،
فألقوا في عنقه جبلاً ، وحالت بينهم وبينه فاطمة (عليها السلام) عند باب البيت
فضربها قنفذ الملعون بالسوط .

فماتت حين ماتت ، وإنّ في عضدها مثل الدمليج من ضربته لعنه الله .
ثم انطلقوا بعليّ (عليه السلام) يُتَلّ ، حتى انتهى به إلى أبي بكر ، وعمر قائم
بالسيف على رأسه ، وخالد بن الوليد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى
أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، والمغيرة بن شعبة ، وأسيد بن حضير ، وبشير
بن سعد ، وسائر الناس حول أبي بكر عليهم السلاح ^(١) .

^(١) راجع البحار ج ٢٨/ص ٢٦٨ وج ٤٣/ص ١٩٧

وروى في تفسير العياشي^(١) وكتاب الإختصاص^(٢)

عن عمر بن أبي المقدام ، عن أبيه ، عن جده قال : ما أتى على عليّ (عليه السلام) يوم قط أعظم من يومين أتياه .

فأمّا الأول : فيوم قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وأما الثاني : فوالله إني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر ، والناس يبائعونه ... إلى أن قال : قال عمر : يا هذا ! ليس في يدك شيء منه ما لم يبائعك عليّ ! فابعث إليه حتى يأتيك ، فإنما هؤلاء رعا ع .

فبعث إليه قنفاً ، فقال له : إذهب فقل لعليّ : أجب خليفة رسول الله ! فذهب قنفاً فما لبث أن رجع ، فقال لأبي بكر : قال لك : ما خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحداً غيري .

قال : إرجع إليه فقل : أجب ، فإن الناس قد أجمعوا على بيعتهم إياه ، وهؤلاء المهاجرون والأنصار يبائعونه ، وقريش ، وإنما أنت رجل من المسلمين ، لك ما لهم ، وعليك ما عليهم ! .

وذهب إليه قنفاً فما لبث أن رجع فقال : قال لك : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي : وأوصاني ، إذا واريته في حفرتي ، أن لا أخرج من بيتي حتى أولف كتاب الله ، فإنه في جرائد النخيل ، وفي أكتاف الإبل . قال عمر : قوموا بنا إليه ، فقام أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وخالد بن

(١) ج ٢/ص ٦٦

(٢) الإختصاص للشيخ المفيد (ره) ج ٢/ص ١٨١

الوليد ، والمغيرة بن شعبة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة
وقنفذ ، وقمت معهم .

فلما انتهينا إلى الباب ، فرأتهم فاطمة (صلوات الله عليها) ، أغلقت الباب في
وجوههم ، وهي لا تشك أن لا يُدخل عليها إلا بإذنها .

فضرب عمر الباب برجله فكسره ، وكان من سعف ، ثم دخلوا
فأخرجوا علياً (عليه السلام) ملبياً ، فخرجت فاطمة (عليها السلام) فقالت : يا أبا
بكر ! أتريد أن ترملي من زوجي ؟.

والله لأن لم تكف عنه لأنشرون شعري ، ولأشقن جيبي ، ولآتين قبر أبي
ولأصيحن إلى ربي ، فأخذت بيد الحسن والحسين (عليهما السلام) وخرجت
تريد قبر النبي (صلى الله عليه وآله) ... (١)

وفي تفسير العياشي (ره) (٢)

من حديث طويل ، في تفسير قوله تعالى : ﴿سنة من قد أرسلنا من
قبلك من رسلنا ولا تجد لسننتنا تحويلاً﴾ (٣)

قال : فلما قبض نبي الله (صلى الله عليه وآله) كان الذي كان ، لما قد قضى
من الاختلاف .

(١) البحار ج ٢٨/ص ٢٢٧ ، وتفسير البرهان ج ٢/ص ٩٣

(٢) ج ٢/ص ٣٠٧

(٣) الإسراء/٧٧

وعمد عمر فبايع أبا بكر ، ولم يدفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ، فلما رأى ذلك عليّ (عليه السلام) ، ورأى الناس قد بايعوا أبا بكر خشي أن يفتن الناس ، ففرغ إلى كتاب الله ، وأخذ يجمعه في مصحف .

فأرسل أبو بكر إليه ، أن تعال فبايع ، فقال عليّ (عليه السلام) : لا أخرج حتى أجمع القرآن ، فأرسل إليه مرة أخرى فقال : لا أخرج حتى أفرغ .

فأرسل إليه الثالثة عمر رجلاً يقال له قنفذ : فقامت فاطمة بنت رسول الله (صلوات الله عليهما) تحول بينه وبين عليّ (عليه السلام) فضربها .

فانطلق قنفذ ، وليس معه عليّ ، فخشى أن يجمع علي الناس ، فأمر بحطب فجعل حوالي بيته ، ثم انطلق عمر بنار ، فأراد أن يحرق عليّ بيته ، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) داخله .

فلما رأى (عليه السلام) ذلك خرج فبايع كارهاً غير طائع^(١) .

وفي الإحتجاج^(٢)

عن عبد الله بن عبد الرحمن أنه قال : ثم إن عمر احتزم بإزاره ، وجعل يطوف في المدينة وينادي : إن أبا بكر قد بويع له ، فهلموا إلى البيعة ، فينثال الناس فيبايعون ، فعرف أن جماعة في بيوت مستترون ، فكان يقصدهم في جمع ، فيكبسهم ويحضرهم في المسجد فيبايعون .

حتى إذا مضت أيام ، أقبل في جمع كثير إلى منزل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فطالبه بالخروج فأبى ! فدعا عمر بن الخطاب بحطب ونار ، وقال :

^(١) البحار ج ٢٨/ص ٢٣١ ، وتفسير البرهان ج ٢/ص ٤٣٤

^(٢) ج ١/ص ٨٠

والذي نفس عمر بيده ليخرجن ، أو لأحرقنه على ما فيه ، فقيل له : إن فيه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وولد رسول الله ، وآثار رسول الله ! فأنكر الناس ذلك من قوله ، فلما عرف إنكارهم قال : ما بالكم ! أتروني فعلت ذلك ؟ إنما أردت التهويل (١) .

وفي كتاب إثبات الوصية (٢)

مرسلاً : فأقام أمير المؤمنين - عليه السلام - ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فوجهوا إلى منزله ، فهجموا عليه ، وأحرقوا بابه ، واستخرجوه منه كرهاً ، وضغطوا سيده النساء بالباب ، حتى اسقطت محسناً (٣) .

وفي أمالي الشيخ المفيد (٥)

قال : لما بايع الناس أبا بكر ، دخل علي (عليه السلام) والزبير والمقداد بيت فاطمة (عليها السلام) وأبوا أن يخرجوا ، فقال عمر بن الخطاب : أضرموا عليهم البيت ناراً ، فخرج الزبير ومعه سيفه ، فقال أبو بكر : عليكم بالكلب ، فقصدوا نحوه ، فزلت قدمه وسقط على الأرض ، ووقع السيف من يده ، فقال أبو بكر : إضربوا به الحجر ؛ فضرب به الحجر حتى انكسر ، وخرج علي بن أبي طالب (عليه السلام) نحو العالية فلقيه ثابت بن قيس بن شماس ، فقال : ما شأنك يا أبا الحسن ؟ فقال : أرادوا أن يحرقوا عليّ بيتي ، وأبو

(١) البحار ج ٢٨/ص ٢٠٤

(٢) للمسعودي /ص ١٥٤

(٣) فاطمة الزهراء بهجت قلب المصطفى ص ٥٢٦

بكر على المنبر يبائع له ، لا يدفع عنا ذلك ولا ينكر !... وفاطمة (عليها السلام)
واقفة على بابها ...

وهي تقول : لا عهد لي بقوم أسوء محضراً منكم ، تركتم رسول الله (صلى
الله عليه وآله) جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم^(٣) .

^(٣) البحار ج ٢٨ / ص ٢٣١ ، وفي الأمالي ص ٣٨

حديث ضرب الزهراء (عليها السلام) وكسر ضلعها وإسقاط جنينها عند الشيعة

روى في كتاب سليم بن قيس (ره) ^(١)

قال : وقد كان قنفذ لعنه الله حين ضرب فاطمة (عليها السلام) بالسوط - حين حالت بينه وبين زوجها - وأرسل إليه عمر : إن حالت بينك وبينه فاطمة فأضربها ! فألجأها قنفذ إلى عضادة بيتها ودفعها ، فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنيناً من بطنها ، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت (صلى الله عليها) من ذلك شهيدة ^(٢) .

وفي المناقب لإبن شهر آشوب (ره)

قال عند ذكره لأولاد فاطمة (عليها السلام) : ولدت الحسن ولها اثنتي عشرة سنة ، وأولادها : الحسن والحسين والحسن سقط ، وفي معارف القتيبي ، أن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي ، وزينب وأم كلثوم ^(٣) .

وفي الإحتجاج للطبرسي (ره) ^(٤)

قال فيما احتج به الحسن (عليه السلام) على معاوية وأصحابه : إنه قال للمغيرة بن شعبة : أنت ضربت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أدميتها ، وألقت ما في بطنها ، استدلالاً منك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ،

^(١) ص ٤٠

^(٢) البحار ج ٢٨ / ص ٢٦٨ ، رج ٤٣ / ص ١٩٨

^(٣) البحار ج ٤٣ / ص ٢٣٣

^(٤) ج ١ / ص ٢٧٨

ومخالفةً منك لأمره ، وانتهاكاً لحرمة ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :
أنتِ سيدة نساء أهل الجنة . والله مصيرك إلى النار . (١)

وفي الكافي للكليبي (ره) (٢)

باسناده عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير
المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : إن أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسموهم
يقول السقط لأبيه : ألا سميتني ؟ .
وقد سُمِّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) محسناً قبل أن يولد (٣) .

وفي تفسير القمي (ره) (٤)

باسناده عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، من حديث طويل ، قال :
ثم ينادي منادٍ من بطنان العرش ، من قبل رب العزة ، والأفق الأعلى : نعم
الأب أبوك يا محمد وهو إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك وهو علي بن أبي طالب
ونعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين ، ونعم الجنين جنينك وهو
محسن ، ونعم الأئمة الراشدون ذريتك ... (٥)

وفي كتاب كامل الزيارات (ره) (٦)

(١) البحار ج ٤٣/ص ١٩٧

(٢) ج ٦/ص ١٨

(٣) البحار ج ٤٣/ص ١٩٥

(٤) راجع تفسير الآية ﴿ فمن زحزح عن النار ... ﴾ ١٨٥/آل عمران

(٥) البحار ج ٢٣/ص ١٣١ ، وج ٧/ص ٣٢٨

(٦) لابن قولويه/ص ٣٣٢ و ٣٣٣

بإسناده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال : لَمَّا أُسْرِي بالنبي (صلى الله عليه وآله) قيل له : إن الله مختبرك في ثلاث .. إلى أن قال :

وأما الثالثة : فما يلقي أهل بيتك من بعدك من القتل : أمّا أخوك ، فيلقى من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجهد والظلم ، وآخر ذلك القتل ، فقال : يارب سلّمت وقبلت ، منك التوفيق والصبر .

وأما ابنتك فتظلم وتحرم ، ويؤخذ حقها غضباً ، الذي تجعله لها ، وتضرب وهي حامل ، ويُدخل على حريمها ومنزلها بغير إذن ، ثم يمسهها هوان وذل ، ثم لا تجد مانعاً ، وتطرح ما في بطنها من الضرب ، وتموت من ذلك الضرب .

قال : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، قبلت يارب وسلّمت ، ومنك التوفيق والصبر .. إلى أن قال : وأمّا ابنتك : فإني أوقفها عند عرشي فيقال لها : إن الله قد حكّمك في خلقه ، فمن ظلمك ، وظلم ولدك فاحكمي فيه بما أحببت ، فإني أجزى حكومتك فيهم ، فتشهد العرصة ^(١) ، فإذا أوقف من ظلمها ، أمر به إلى النار ، فيقول الظالم : ﴿ واحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله ﴾ ^(٢) . ويتمنى الكرة ﴿ ويعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾ ^(٣) .

وقال : ﴿ حتى إذا جاءنا قال ياليت بيّني وبينك بعد المشرقين فبئس

^(١) أي أرض يوم الحشر

^(٢) الزمر / ٥٦

^(٣) الفرقان / ٢٨

القرين * ولن ينفعكم اليوم إذا ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴿١﴾
 فيقول الظالم : ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ ﴿٢﴾
 أو الحكم لغيرك ؟ .

فيقال لهما : ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل
 الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ ﴿٣﴾ .

وأول من يحكم فيه : محسن بن علي (عليه السلام) ، وفي قاتله ، ثم في قنفذ ،
 فيؤتيان هو وصاحبه فيضربان بسياط من نار ، لو وقع سوط منها على
 البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها ، ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت
 حتى تصير رماداً ، فيضربان بها ﴿٤﴾ .

وفي الشافي للشريف المرتضى (٥)

في رده على كلام المخالف الذي لا يُجوز أن عمر ضرب فاطمة (عليها
 السلام) بالسوط ، قال : أمّا قولك : إنا لا نصدق ذلك ، ولا نجوزّه .
 فإنك لم تسند إنكارك إلى حجة ، أو شبهة فتكلم عليها ، والدفع لما
 يروى بغير حجة لا يلتفت إليه .

وفي تنقيح المقال للمامقاني ﴿٦﴾

(١) الزعراف / ٣٨ / ٣٩

(٢) الزمر / ٤٦

(٣) الأعراف / ٤٤ / ٤٥

(٤) البحار ج ٢٨ ص ٦٢ / ٦٣ / ٦٤

(٥) ج ٤ ص ١١٣

(٦) ج ١ ص ٣٩٤

في ترجمة خالد بن الوليد ، قال : .. وكفأك من شنيع ما فعل خالد هذا
أنه ضرب فاطمة (سلام الله عليها) ووكزها
وفي دلائل الإمامة للطبري (ره) ^(١)

ياسناده عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : قبضت فاطمة (عليها
السلام) في جمادي الآخرة ، يوم الثلاثاء ، لثلاث خلون منه سنة إحدى عشرة
من الهجرة ، وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف
بأمره ، فأسقطت محسناً ، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً ، ولم تدع أحداً
من آذاها يدخل عليها .

وكان الرجلان من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) ، سألا أمير المؤمنين
(صلوات الله عليه) أن يشفع لهما إليها ، فسأها أمير المؤمنين (عليه السلام) فلمّا دخلا
عليها قالوا لها : كيف أنتِ يا بنت رسول الله ؟ قالت : بخير بحمد الله ، ثم
قالت لهما : ما سمعتم النبي يقول : فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ،
ومن آذاني فقد آذى الله ؟.

قالا : بلى . قالت : فوالله لقد آذيتاني .

قال : فخرجا من عندها (عليها السلام) وهي ساخطة عليهما ^(٢) .

وفي الأماالي للشيخ الصدوق (ره) ^(٣)

^(١) ص ٤٥ قال الحجة السيد أبو القاسم الخوئي (ره) في معجم رجاله الحديث ج ١٥/ص ١٤٨ إن سند هذه الرواية
صحيح .

^(٢) البحار ج ٤٣/ص ١٧٠ والعوالم للبحراني مجلد أحوال فاطمة (ع) ص ٢٢٥ والملاحظات /ص ١٢٣

^(٣) ص ١٠٠/٩٩

بإسناده عن ابن عباس ، من حديث طويل ، فيما يجري على أهل بيته من بعده من الظلم ، قال : وأما ابنتي فاطمة : فإنها سيدة نساء العالمين ، من الأولين والآخرين ، وهي بضعة مني ، وهي نور عيني ، وهي ثمرة فؤادي ، وهي روح التي بين جنبي ، وهي الحوراء الإنسية .

متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها للملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ، ويقول الله عز وجل للملائكة : يا ملائكتي ! انظروا إلى أمي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يدي ، ترتعد فرائصها من خيفتي ، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي ، أشهدكم أنني قد أمنت شيعتها من النار .

وإني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي ، كأني بها وقد دخل الذل بيتها ، وانتهكت حرمتها ، وغضب حقها ، ومنعت إرثها ، وكسر جنبها ، واسقطت جنينها ، وهي تنادي : يا محمداه ! فلا تجاب ، وتستغيث فلا تغاث فلا تزال بعدي محزونة مكروبة ، باكية ، تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة وتذكر فراقى أخرى ، وتستوحش إذا جنها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجدت بالقرآن .

ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة .

فعند ذلك يونسها الله تعالى ذكره بالملائكة ، فناداتها بما نادى به مريم بنت عمران فتقول : يا فاطمة ! ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ

على نساء العلمين ﴿ يا فاطمة ! ﴾ اقصي لربك واسجدي واركعي مع
الراكعين ﴿^(١) .

ثم يتديء بها الوجع فتمرض ، فيبعث الله عز وجل إليها مريم بنت
عمران تمرضها وتونسها في علتها ، فتقول عند ذلك : يارب إني قد سمعت
الحياة ، وتبرمت بأهل الدنيا ، فألحقني بأبي ، فيلحقها الله عز وجل بي ،
فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي .

فتقدم عليّ محزونة ، مكروبة ، مغمومة ، مغصوبة ، مقتولة ، فأقول عند
ذلك : اللهم إلعن من ظلمها ، وعاقب من غضبها ، وذلل من أذلها ،
وخلد في نارك من ضرب جنبها ، حتى ألت ولدها ، فتقول الملائكة عند
ذلك : آمين^(١) .

أقول : إن تكرموا علينا بالإذن بالكلام ، فنقول أيضاً : آمين .

وفي الأمالي للشيخ الطوسي (ره)^(٢)

بإسناده عن ابن عباس قال : لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة
بكى حتى بلت دموعه لحيته ، فقيل له : يارسول الله ما يبكيك ؟
فقال : أبكي لذريتي ، وما تصنع بهم شرار أمي من بعدي ، كأنني
بفاطمة إبنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي : يا أبتاه ! يا أبتاه ! فلا

^(١) آل عمران/٤٢/٤٣

^(٢) البحار ج ٢٨/ص ٣٧ وإرشاد القلوب للدليمي ص ٢٩٥ وملاحظات ص ١٢٤

^(٣) ج ١/ص ١٩١

٢٧٠

يعينها أحد من أمتي ، فسمعت ذلك فاطمة (عليها السلام) فبكت ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا تبكي يا بُنَيَّةَ .

فقلت : لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ، ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله !.

فقال لها : أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي ، فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي ^(١) .

وفي كتاب الإقبال لابن طاووس (ره) ^(٢)

نقل ما ورد عن الأئمة (عليهم السلام) في زيارة الزهراء (عليها السلام) : اللهم صلِّ على محمدٍ وأهل بيته ، وصلِّ على البتول الطاهرة ، الصديقة ، المعصومة ، التقية ، النقية ، الزكية ، الرشيدة ، المظلومة ، المقهورة ، المغصوبة حقها ، المنروعة إرثها ، المكسورة ضلعها ، المظلوم بعلمها ، المقتول ولَدُها ، فاطمة بنت رسولك ، وبضعة لحمه ، وصميم قلبه ، وفلذة كبده ، والنخبة منك له ، والتحفة ، خصصت بها وصيَّةٌ ، وحبيبة المصطفى ، وقرينة المرتضى ، وسيدة النساء ... ^(٣)

وفي بحار الأنوار للمجلسي (ره) ^(٤)

^(١) الملاحظات /ص ١٢٥

^(٢) ص ٦٢٥ ط قدبة

^(٣) البحار ج ١٠١/ص ٤٤ ، ومفتاح الجنان ط دار الأضواء/ص ٣٨٥ ، والملاحظات /ص ١٣٠

^(٤) ج ١٠١/ص ٤٤

قال : أقول : وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي ، نقلاً من خط الشهيد ، رفع الله درجته ، نقلاً من مصباح الشيخ أبي منصور ، طاب ثراه قال : روي أنه دخل النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً إلى فاطمة (عليها السلام) فهيأت له طعاماً من تمر ، وقرص وسمن ، فاجتمعوا على الأكل : هو وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام)

فلما أكلوا سجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأطال سجوده ، ثم بكى ، ثم ضحك ، ثم جلس .

وكان أجراًهم في الكلام عليّ (عليه السلام) فقال : يا رسول الله رأينا منك اليوم ما لم نره قبل ذلك ١٩.

فقال (صلى الله عليه وآله) : إني لما أكلت معكم فرحت وسررت بسلامتكم واجتماعكم ، فسجدت لله تعالى شكراً ، فهبط جبرائيل (عليه السلام) يقول : سجدت شكراً لفرحك بأهلك ؟.

فقلت : نعم ، فقال : ألا أخبرك بما يجري عليهم بعدك ؟.

فقلت : بلى يا أخي يا جبرائيل !.

فقال : أمّا ابنتك : فهي أول أهلك لحاقاً بك .

بعد أن تظلم ، ويؤخذ حقها ، وتمنع إرثها ، ويظلم بعلمها ، ويكسر ضلعها .

وأمّا ابن عمك : فإنه يظلم ، ويمنع حقه ، ويقتل .

وأمّا الحسن : فإنه يظلم ، ويمنع حقه ، ويقتل بالسم .

وأماً الحسين : فإنه يظلم ، ويمنع حقه ، وتقتل عترته ، وتطوّه الخيول ، وينهب رحله ، وتسبى نساؤه وذرائعه ، ويدفن مرملاً بدمه ^(١) .

وفي البلد الأمين وجنة الأمان للكفعمي (هـ)

قال : هذا الدعاء - أي دعاء صنمي قريش - رفيع الشأن ، عظيم المنزلة ورواه عبد الله بن عباس ، عن عليّ (عليه السلام) ، أنه كان يقنت به ، وقال : إن الداعي به كالرامي مع النبي (صلى الله عليه وآله) في بدر وأحد وحنين بألف ألف سهم ... إلى أن قال : ... وإمام قهره ، وفرض غيروه ، وأثر أنكره ، وشير أضمره ، ودم أراقه ، وخير بدلوه ، وحكم قلبه ، وكفر أبدعه ، وكذب دلّسه ، وإرث غضبه ، وفيء إقتطعه ، وسحت أكله ، وخمس استحلوه ، وباطل أسسوه ، وعهد نقضوه ، وحلال حرموه ، وحرام حلّوه ونفاق أسروه ، وغدر أضمره ، وبطن فتقوه ، وجنين أسقطوه ، وضيع كسروه ، وصلح مزقوه ، وشمل بددوه ... ^(٢) .

وفي إرشاد القلوب للديلمى (هـ)

روى أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) ذكرت في رواية مفصلة ، ما جرى عليها من ظلم القوم إياها ، إلى أن قالت : فجمعوا الخطب الجزل على بابنا وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا ، فوقفتُ بعضادة الباب ، وناشدتهم بالله وبأبي ! أن يكفوا عنا وينصرونا ، فأخذ عمر السوط من يد قنقد مولى أبي بكر ، فضرب به عضدي ، فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج

^(١) الملاحظات /ص ١٣٠

^(٢) البحار ج ٨٥/ص ٢٦٠

وركل الباب برجله فرده عليّ وأنا حامل ، فسقطت لوجهي ، والنار تسعر
وتسفع وجهي ، فضربني بيده حتى انتشر قرطي من أذني ، وجائني المخاض
فأسقطتُ محسناً قتيلاً بغير جرم (١) .

وفي الإختصاص للشيخ المفيد (ره)

بإسناده عن أبي عبد الله الإمام الصادق (عليه السلام) ، من حديث طويل ،
قال : ... فقال عليّ (عليه السلام) لها : إئتِ أبا بكر وحده فإنه أرق من الآخر ،
وقولي له : ادعيت مجلس أبي ، وإنك خليفته ، وجلست مجلسه ، ولو كانت
فدك لك ثم استوهبتها منك لوجب ردها عليّ .

فلما أتته ، وقالت له ذلك : قال : صدقت ، فدعا بكتاب ، فكتبه لها برد
فدك .

فقال : فخرجت والكتاب معها ، فلقبها عمر ، فقال : يابنت محمد ! ما
هذا الكتاب الذي معك ؟ .

فقال : كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك ، فقال : هلميه إليّ .
فأبت أن تدفعه إليه ، فرفسها برجله ، وكانت حاملة بإبن اسمه المحسن ،
فأسقطت المحسن من بطنها .

ثم لطمها ، فكأني أنظر إلى قرطٍ في أذنها حين نقت .
ثم أخذ الكتاب فخرقه ، فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة مما
ضربها عمر .

(١) راجع تعليقة على كتاب سليم/ص ٣٩ ، والملاحظات /ص ١٣١ ، عن البحار مجلد ٨/ص ٢٣١

ثم قبضت - (عليها السلام) - (١) .

وفي كشف المراد للعلامة الحلبي (هـ)

قال في شرح تجريد الاعتقاد : وهو أن فاطمة (عليها السلام) لما طالت المنازعة بينها وبين أبي بكر ، رد أبو بكر عليها فديكاً ، وكتب لها بذلك كتاباً ، فخرجت والكتاب في يدها ، فلقبها عمر فسألها عن شأنها ، فقصت قصتها ، فأخذ منها الكتاب وخرقه ودعت عليه ، ودخل على أبي بكر وعاتبه على ذلك ، وأتفقا على منعها فديك (٢) .

وفي كتاب إعلموا أني فاطمة للشيخ عبد الحميد المهاجر

بعد ذكر الآية الكريمة ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ (٣) .

قال : وبالفعل فقد حدث الانقلاب المتوقع بالكامل ، وتلاحقت الأحداث بسرعة فائقة ، بدءاً من سلب الخلافة من علي (عليه السلام) ، واقتحام دار النبي (صلى الله عليه وآله) ، وحرق باب الزهراء (عليها السلام) ، وإنهاء بكسر ضلع فاطمة (عليها السلام) وضربها بالسياط ، وانتزاع قرية فدك من يد الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) (٤) .

(١) الإختصاص/ص ١٨٠

(٢) كشف المراد في شرح التجريد/ص ٢٩٩

(٣) آل عمران/١٤٤

(٤) إعلموا أني فاطمة ج ٧/٢٢١

وفي البحار للمجلسي (ره) من حديث طويل بين المفضل بن عمر
والإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

ثم تبدئ قاطمة (عليها السلام) ، وتشكو ما نالها من أبي بكر وعمر ، وأخذ
فدك منها ، ومشيا إليه في جمع من المهاجرين والأنصار ، وخطابها له في
أمر فدك ، وما ردّ عليها من قوله : إن الأنبياء لا تورث ، واحتجاجها بقول
زكريّا ويحيى (عليهما السلام) ، وقصة داود وسليمان (عليهما السلام) .

وقول عمر : هاتي صحيفتك التي ذكرت أن أباك كتبها لك ، وإخراجها
الصحيفة وأخذها إياها منها ، ونشره لها على رؤوس الأشهاد من قريش
والمهاجرين والأنصار وسائر العرب ، وتغله فيها ، وتمزيقه إياها ، وبكائها ،
ورجوعها إلى قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) باكية حزينة ...

وتقص عليه قصة أبي بكر وإنفاذه خالد بن الوليد وقنفذاً وعمر بن
الخطّاب ، وجمعه الناس لإخراج أمير المؤمنين (عليه السلام) من بيته إلى البيعة ...
وقول عمر : اخرج يا عليّ إلى ما أجمع عليه المسلمون ، وإلاّ قتلناك !...
وجمعهم الجزل والخطب على الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين وفاطمة
الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضّة ، وإضرارهم النار على الباب ،
وخروج فاطمة إليهم ، وخطابها لهم من وراء الباب .

وقولها : ويحك يا عمر ! ما هذه الجرأة على الله ، وعلى رسوله ؟ تريد أن
تقطع نسله من الدنيا ، وتفنيه ، وتطفئ نور الله ؟ ﴿ والله متم نوره ﴾ ،
وانتهاره لها .

وقوله : كُفِّي يا فاطمة فليس محمد حاضراً ، ولا الملائكة آتية بالأمر والنهي والزجر من عند الله ، وما عليّ إلا كأحد المسلمين ، فاختاري إن شئت : خروجه لبيعة أبي بكر ، أو إحراقكم جميعاً .

فقالته وهي باكية : اللهم إليك نشكو فقد نبئك ، ورسولك ، وصفيك وارتداد أمته علينا ، ومنعهم إيانا حقنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيك المرسل .

فقال لها عمر : دعي عنك يا فاطمة حمقات النساء ، فلم يكن الله ليجمع لكم النبوة والخلافة ، وأخذت النار في خشب الباب .

وإدخال قنفذ يده لعنه الله يروم فتح الباب ، وضرب عمر لها بالسوط على عضدها ، حتى صار كالدمح الأسود ، وركل الباب برجله ، حتى أصاب بطنها وهي حاملة بالمحسن ، لسته أشهر وإسقاطها إياه .

وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد ، وصفقة خدّها حتى بدا قرطاهما تحت خمّارها ، وهي تجهر بالبكاء ، وتقول : وا أبتاه ، وا رسول الله ، ابنتك فاطمة تُكذّب وتُضرب ، ويقتل جنين في بطنها .

وخروج أمير المؤمنين (عليه السلام) من داخل الدار محمّر العين حاسراً ، حتى ألقى ملائته عليها ، وضمّها إلى صدره ، وقوله لها : يا بنت رسول الله قد علمتني أن أباك بعثه الله رحمة للعالمين ، فالله الله أن تكشفني خمّارك ، وترفعي ناصيتك ، فوالله يا فاطمة ! لئن فعلت ذلك لا أبقى الله على الأرض من يشهد أنّ محمداً رسول الله ، ولا موسى ، ولا عيسى ، ولا

إبراهيم ، ولا نوح ، ولا آدم ، ولا دابة تمشي على الأرض ، ولا طائراً في السماء إلاّ أهلكه الله .

ثم قال : يا ابن الخطاب لك ! الويل من يومك هذا وما بعده وما يليه اخرج قبل أن أشهر سيفي فأفني غابر الأمة .

فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمن بن أبي بكر فصاروا من خارج الدار ، وصاح أمير المؤمنين بفضة ! يا فضة مولاتك فاقبلي منها ما تقبله النساء ، فقد جاءها المخاض من الرّفسة وردّ الباب ، فأسقطت محسناً ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : فانه لاحق بجده رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيشكو إليه ^(١) .

^(١) راجع البحار ج ٥٣/ص ١٧ ط جديدة

من قصيدة للشيخ محسن بن الشيخ شريف حفيد الشيخ الأكبر صاحب
الجواهر

وعن ملأ منهم أتت بنتُ أحمد تناشُدُ حقاً نصه الله في الذكرى
وعن ملأ ردتْ إلى عقر بيتها تجر ثياب الذل مهضومة عبرى
ويوم اقتحام الدار يوم تهتكت به حرمان الله حتى بدت حسرى
فعن ملأ منهم أتوا بيت فاطمٍ مقر الهدى والدين والحجة الكبرى
غداة غدا ركن الضلالة حاملاً على ظهره أضعاف ما في الحشا أورى
يحاول حرق الدار والدار تلتقي على صبية لم تعرف الخوف والذعرا
ينادي به أخرج (علي) وأن تقم فللنار أعمال ستخرجكم قسرا
فكم ريعت (الكبرى) بهذاوكم شكت إلى جدها ما نالها منهم (الصغرى)
وكم هتفت بالمسلمين وكم دعت ييا لرسول الله لإبتك (الزهرا)
ولا قائل منهم دعوها فإنها سلية خير الخلق والبضعة (الخورا)
تناشدهم والمسلمين ولو دعت بحق رسول الله صلدا الصفا خرا
تقول لهم يا قوم بيتي ولم يكن نبي الهدى يوماً ليدخله قهرا
فماكف عنها الرجس بل حركت له حشا فيه نار الحقد كامنة دهرا
وهاجم بيت الوحي والباب دونه عقيلة آل الله مسندة صدرا
ولم يرعها بل راعها وتزاحموا على الباب أفواجا فابتمس بهم طرا

رأي علماء الشيعة

في ظلم فاطمة الزهراء (عليها السلام)

إن قضية ظلم الزهراء (عليها السلام) ، والمهجوم على بيتها لإحراقه ، وضربها وكسر ضلعها ، وإسقاط جنينها ، هي من المسلمات عند علماء الشيعة الإمامية على مر التاريخ ، بل هي من المتواترات المتفق عليها .
ولقد نقل شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (رضوان الله عليه) ، الإجماع عند علمائنا ، على هذه القضية .

ومن المعروف أن إجماع العلماء المتقدمين حجة على المتأخرين ، لأنهم أقرب إلى عهد المعصوم (عليه السلام) من المتأخرين .

وكل من راجع ، ودرس حياة أولئك العلماء الأفاضل وجد أنهم كانوا يستعملون التقية لخوفهم من حكام زمانهم الظالمين ، الذين كانوا يحكمون بإسم الإسلام ، والإسلام منهم بريء .

ومع ذلك الخوف من الحكام الجائرين ، فلإنك تراهم يناقشون ، ويُدرّسون موضوع أذية الزهراء (عليها السلام) ، ويُجاهرون به ، ويرفعون صوتهم عالياً ، ليسمعوا آذان الدنيا على مر التاريخ ، ويذكرون ما جرى على بضعة الرسول (صلوات الله وسلامه عليه وعليها) ، التي يرضى الله لرضاها ، ويسخط لسخطها .

وهذا ما سننقله عنهم ، إضافة إلى تلك الروايات الصحيحة والموثوقة التي مر ذكرها ، ليكون الموضوع أشمل ، والحجة أكمل ، لمن أراد أن يصغي إلى الحقيقة ، ويُرضي الله تعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله الطاهرين) .

رأي الشريف المرتضى علم الهدى (ره)

حيث ذكر في كتابه (الشافي) رداً على قول الشيخ عبد الجبار الذي لا يصدق ولا يُجوّز ما يرويه الشيعة من أن عمر ضرب فاطمة (عليها السلام) بالسوط .

فأجابه السيد المرتضى بقوله : أمّا قولك : إنا لا نصدّق ذلك ، ولا نجوّزه فإنك لم تسند إنكارك إلى حجة ، أو شبهة فتتكلم عليها ، والدفع لما يروى ، بغير حجة لا يلتفت إليه .

وقال أيضاً : .. فأما حكايته عن أبي علي إنكاره ما روي من ضربها ، وإدعاؤه أن جعفر بن محمد (عليهما السلام) كان يتولاهاهم ، وكان أبوه وجده كذلك .

فأول ما فيه : أن إنكار أبي علي ، لما وردت به الرواية ، من غير حجة لا يعتد به .

إلى أن قال (ره) : وقد علمنا ، وعلم كل أحد ، أن المختصين بهؤلاء السادة ^(١) ، قد رووا عنهم ضد ما ادعاه أبو علي ...
وقولهم فيهما ^(٢) ، هو إنهما أول من ظلمنا حقنا ، وحمل الناس على رقابنا .

وقولهم ^(٣) : إنهما أصفيا بإنائنا ، واضطجعنا بسييلنا ، وجلسا مجلساً نحن أحق به منهما ، مشهور معروف .

^(١) يعني بالسادة هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام)

^(٢) أي في أبي بكر وعمر

^(٣) أي قول أهل البيت (عليهم السلام) في حق من ظلمهم

إلى غير ذلك من فنون التظلم ، وضروب الشكاية ، فيما لو أردناه واستقصيناه لأحتاج إلى مثل حجم كتابنا ^(١) .

وملخص ما قاله السيد المرتضى (رضوان الله عليه) هو أنه رد على من أنكر ظلم الزهراء (عليها السلام) ولم يأت بدليل يصلح للمناقشة .

وهذا أسلوب الجهال وليس أسلوب العلماء ، إذ أن أهل العلم يقارعون الدليل بدليل مثله ، والحجة بحجة مثلها ، والإنكار بلا دليل لا يجدي نفعاً ولا يُعتد به .

فتبقى حجة الشيعة الإمامية هي الأقوى : وهي ثبوت ظلم الزهراء (عليها السلام) وضربها بالسوط وإسقاط جنينها (المحسن) .

رأي الشيخ أبو جعفر الطوسي (ره)

في كتابه تلخيص الشافي ، عند ذكر المطاعن التي ذكرت على سياسة أبي بكر في حق أهل البيت (عليهم السلام) قال (ره) : ومما أنكر عليه : ضربهم لفاطمة (عليها السلام) ، وقد روي أنهم ضربوها بالسياط .

والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة : أن عمر ضربها على بطنها حتى أسقطت .

فسمي السقط (مخسناً) . والرواية بذلك مشهورة عندهم .

^(١) راجع الشافي ج٤/ص١١٠/١١٦

وأرادوا من إحراق البيت عليها - حين التجأ إليها قوم ، وامتنعوا عن البيعة - وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك ، لأننا قد بينا الرواية الواردة من جهة العامة من طريق البلاذري وغيره .

ورواية الشيعة مستفيضة به ، ولا يختلفون في ذلك ^(١) .

رأي العلامة الحلبي (ره)

في ذكر المطاعن على سياسة أبي بكر ضد أهل البيت (عليهم السلام) قال في كتاب كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : أقول : هذه مطاعن أخرى في أبي بكر . وهو أنه دفن في بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقد نهى الله تعالى عن الدخول بغير إذن النبي (صلى الله عليه وآله) حال حياته فكيف بعد موته ^(٢) .

وبعث إلى بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، لما امتنع من البيعة ، فأضرم فيه النار ، وفيه فاطمة ، وجماعة من بني هاشم ، وأخرجوا علياً (عليه السلام) كرهاً وكان معه الزبير في البيت ، فكسروا سيفه ، وأخرجوا من أخرجوا ، وضربت فاطمة ، وألقت جنيناً اسمه محسن .

ولما بويع أبو بكر صعد المنبر ، فجاء الحسن والحسين (عليهما السلام) ، مع جماعة من بني هاشم فأنكروا عليه . وقال له الحسن والحسين (عليهما السلام) : هذا مقام جدنا ، ولست له أهلاً .

ولما حضرته الوفاة قال : ليتني كنت تركت بيت فاطمة فلم أكشفه ^(٣) .

^(١) تلخيص الشافي ج ٣/ص ١٥٥ ط دار الآداب النجف الأشرف سنة ١٣٨٣ هـ

^(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿... لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم...﴾ الأحزاب / ٥٣

^(٣) كشف المراد /ص ٢٩٦

رأي العلامة الشيخ محمد تقي المجلسي (ره)

هو والد الشيخ محمد باقر صاحب البحار ، قال في شرحه لكتاب (من لا يحضره الفقيه) : وشهادتها (صلوات الله عليها) كانت من ضربة عمر ... الباب على بطنها عندما أرادوا أمير المؤمنين لبيعة أبي بكر ... وضرب قنفذ غلام عمر السوط عليها بإذنه .

والحكاية مشهورة عند العامة والخاصة ، وسقط بالضرب غلام كان اسمه محسن ^(١) .

رأي العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ره)

في كتاب مرآة العقول ، الذي شرح فيه أخبار اصول الكافي والروضة ، قال عند رواية أنها (عليها السلام) صديقة شهيدة : إنه من المتواترات .

وكان سبب ذلك أنهم لما غضبوا الخلافة ، وبايعهم أكثر الناس ، بعثوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ليحضر البيعة ، فأبى : فبعث عمر بنارٍ ليحرق على أهل البيت بيتهم ، وأرادوا الدخول عليه قهراً ، فمنعتهم فاطمة عند الباب ، فضرب قنفذ - غلام عمر - الباب على بطن فاطمة (عليها السلام) فكسر جنبها ، وأسقطت لذلك جنيماً كان سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله) محسناً ، فمرضت لذلك ، وتوفيت (صلوات الله عليها) من ذلك المرض ^(٢) .

وقال (ره) في كتابه بحار الأنوار : إذ تبين بالمتفق عليه من أخبارهم وأخبارنا : أن عمر همّ بإحراق بيت فاطمة (عليها السلام) ، بأمر من أبي بكر ،

^(١) روضة المتقين ج ٥/ص ٣٤٢

^(٢) مرآة العقول ج ٥/ص ٣١٨

أو برضاه ، وقد كان فيه أمير المؤمنين وفاطمة والحسنان (صلوات الله عليهم) وهذّدهم ، وآذاهم ، مع أن رفعة شأنهم عند الله ، وعند رسوله (صلى الله عليه وآله) مما لا ينكره إلا من خرج عن الإسلام .

وقد استفاض في رواياتنا ، بل وفي رواياتهم أيضاً أنه رَوَّع فاطمة (عليها السلام) حتى ألقمت ما في بطنها .

وقد سبق في الروايات المتواترة ، وسيأتي أن إيذاءها (صلوات الله عليها) إيذاء للرسول (صلى الله عليه وآله) .

وآذيا علياً (عليه السلام) ، وقد تواتر في روايات الفريقين قول النبي (صلى الله عليه وآله) : من آذى علياً فقد آذاني ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴾^(١) وهل يجوز عاقل خلافة من كان هذا حاله ، ومآله^(٢) .

رأي العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ره)

قال : طفحت واستفاضت كتب الشيعة في صدر الإسلام ، القرن الأول : مثل كتاب سليم بن قيس ، وبعده إلى القرن الحادي عشر وما بعده ، بل وإلى يومنا ، كل كتب الشيعة التي عُنيت بأحوال الأئمة ، وأبيهم الآية الكبرى ، وأمهم الصديقة الزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين) .

وكل من ترجم لهم ، وألف كتاباً فيهم ، أطبقت كلمتهم تقريباً ، أو تحقيقاً في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة : إنها بعد رحلة أبيها المصطفى

(١) الأحزاب/٥٧

(٢) البحار ج٢٨/ص٤٠٨ و٤١٠

(صلى الله عليه وآله) ، ضرب الظالمون وجهها ، ولطموا خدّها ، حتى احمرت عينها ، وتناثر قرطها ، وعصرت بالباب حتى كسر ضلعها ، واسقطت جنينها ، وماتت وفي عضدها كالدملج .

ثم أخذ شعراء أهل البيت (سلام الله عليهم) هذه القضايا والرزايا ، ونظموها في أشعارهم ، ومراثيهم ، وأرسلوها إرسال المسلمات : من الكميّ ، والسيد الحميري ، ودعبل الخزاعي ، والنميري ، والسلامي ، وديك الجن ، ومن بعدهم ، ومن قبلهم إلى هذا العصر .

وتوسع أعظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر ، والرابع عشر - الذي نحن فيه - كالخطي ، والكعبي ، والكوازيين ، وآل السيد مهدي الخليلين ، وغيرهم ، ممن يعسر تعدادهم ، ويفوت الحصر جمعهم وآحادهم . وكل تلك الفجائع والفظايع ، وإن كانت في غاية الفظاعة والشناعة ، ومن موجبات الوحشة والدهشة ، ولكن يمكن للعقل أن يجيزها ، وللأذهان والوجدان أن يستسيغها ، وللأفكار أن تقبلها وتهضمها ، ولا سيّما وأن القوم قد اقتزفوا في قضية الخلافة ، وغضب المنصب الإلهي من أهله ، ما يعد أعظم وأفظع ^(١) .

رأي العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين (ره)

في كتابه المراجعات رقم/٨٢ عند احتجاجه على أصحاب البيعة ، وأنها كانت بالقوة والغلبة قال : تهديدهم عليّاً بالتحريق ثابت بالتواتر القطعي ، وحسبك ما ذكره الإمام ابن قتيبة في أوائل كتاب الإمامة والسياسة ،

^(١) جنة المأوى/ص١٣٣/١٣٥

والإمام الطبري في موضعين ، من أحداث السنة الحادية عشرة من تاريخه المشهور ، وابن عبد ربه المالكي في حديث السقيفة من الجزء الثاني من العقد الفريد ، وأبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة لما في ص١٣٤ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي الحديدي ، والمسعودي في مروج الذهب ، نقلاً عن عروة بن الزبير في مقام الإعتذار عن أخيه عبد الله ، إذ همّ بتحريق بيوت بني هاشم حين تخلفوا عن بيعته ، والشهرستاني نقلاً عن النظام عند ذكره الفرقة النظامية في كتاب الملل والنحل ، وأفرد أبو مخنف لأخبار السقيفة كتاباً فيه تفصيل ما أجهلناه .

وناهيك في شهرة ذلك وتواتره ، قول شاعر النيل الحافظ إبراهيم في قصيدته العمرية ، السائرة الطائرة :

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تباع و بنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان و حاميتها
هذه معاملتهم للإمام الذي لا يكون الإجماع حجة عندنا إلا إذا كان
كاشفاً عن رأيه ، فمتى يتم الإحتجاج بمثل إجماعكم هذا علينا ، والحال هذه
يا منصفون ؟^(١) .

رأي العلامة الشيخ محمد الحسين المظفر (ره)

بعد أن ذكر الروايات الواردة من طرق أهل السنة في قصد إحراق بيت فاطمة (عليها السلام) قال : وبالجملية : يكفي في ثبوت قصد الإحراق رواية جملة

^(١) المراجعات/ص٢٧٥ والنص والإجتهد/ص٨٨

من علمائهم له ، بل رواية الواحد منهم له ، لاسيما مع تواتره عند الشيعة ولا يحتاج إلى رواية البخاري ومسلم وأمثالهما ممن أجهده العداء لآل محمد (صلى الله عليه وآله) ، والولاء لأعدائهم ، ورام التزلف إلى ملوكهم وأمرائهم ، وحسن السمعة عند عوامهم^(١) .

رأي آية الله الحجة السيد روح الله الموسوي الخميني (ره)

مؤسس جمهورية إيران الإسلامية ، قال : ... فلا بد إذن من القول : بأن أولي الأمر ليسوا هم السلاطين والأمراء .. ولا شغل لنا الآن مع الشيخين^(٢) ومع مخالفتهما للقرآن ، وتلاعبهما بأحكام الله ، والتحليل والتحرير من أنفسهم ، والظلمات التي ألحقوها بفاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله) ، وجهلها بأحكام الله ، حتى أن أبا بكر قطع يد السارق اليسرى ، وأحرق شخصاً مع أنه حرام ، ولم يدر ما حكم الكلاله ، وميراث الجدة ، ولم يحدّد خالد بن الوليد ، مع أنه قتل مالك بن نويرة ، وأخذ زوجته في نفس تلك الليلة .

وأعمال عمر أكثر من أن تذكر ، مثل أمره رجم المرأة الحامل ، والمرأة المجنونة ، ونهاه عن ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) ، واشتباهاه في حكم المهرية فنبهته امرأة خلف الستار ، حتى قال عمر : جميع الناس حتى المخدرات أعلم بأحكام الله مني .

^(١) دلائل الصدق ج ٣/ص ٩١

^(٢) أي أبو بكر وعمر

وحرّم متعة الحج ، ومتعة النساء ، خلافاً لحكم الله والنبي (صلى الله عليه وآله) وأحرق باب بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ^(١) .

رأي العلامة الحجة السيد محمد باقر الصدر (هـ)

بعد أن بيّن سياسة الذين حكموا بعد النبي (صلى الله عليه وآله) تجاه أهل بيت النبوة (عليهم الصلاة والسلام) قال : ... غير أننا نحس ونحن ندرس سياسة الحاكمين بأنهم انتهجوا منذ اللحظة الأولى سياسة معينة تجاه آل محمد (صلى الله عليه وآله) ، للقضاء على الفكرة التي أمدّت الهاشميين بقوة على المعارضة ، كما خنقوا المعارضة نفسها .

ونستطيع أن نصف هذه السياسة بأنها تهدف إلى إلغاء إمتياز البيت الهاشمي ، وإبعاد أنصاره ، والمخلصين له ، عن المرافق الهامة ، في جهاز الحكومة الإسلامية يومئذ ، وتجريده عمّا له من الشأن والمقام الرفيع في الذهنية الإسلامية .

وقد يعزز هذا الرأي عدة ظواهر تاريخية :

الأولى : سيرة الخليفة وأصحابه مع عليّ ، التي بلغت من الشدة ، أن عمر هدد بحرق بيته ، وإن كانت فاطمة فيه .

ومعنى هذا : إعلان أن فاطمة ، وغير فاطمة من آله ، ليس لهم أيّ حرمة تمنعهم عن أن يتخذ معهم نفس الطريقة التي سار عليها مع سعد بن عباد ! حين أمر الناس بقتله ...

^(١) كشف الأسرار/ص ١١٩

الثاني : أن الخليفة الأول لم يشارك شخصاً من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم المهمة ، ولا جعل فيها والياً على شبر من المملكة الإسلامية الواسعة ، مع أن نصيب الأمويين في ذلك كان عظيماً .
وأنت تفهم بوضوح أن هذا وليد سياسة متعمدة من محاورة وقعت بين عمر ، وابن عباس ، أظهر فيها تخوفه من تولية الثاني ^(١) حمص ، لأنه يخشى إذا صار الهاشميون ولاة على أقطار المملكة الإسلامية أن يموت وهم كذلك ، فيحدث في أمر الخلافة ما لا يريد ^(٢) .

^(١) أي أن عمر يخاف من تولية ابن عباس على حمص

^(٢) فذلك في التاريخ /ص ٦٩/٧٠

من قصيدة للسيد محمد جمال الهاشمي

شمرت للجهاد سيدة الإسلام
 لم تدع للمهاجرين والأنصار
 واستعانت بالحقِ درعٌ
 رجمتهم بالمخزيات فآبوا
 حججٌ كالنجوم ينثرها الحقُّ
 فهي إمّا عقل وإمّا حديث
 فتهاوت أحلامهم كصروحٍ
 آه لولا ضعف النفوس لما
 ولما عادت الإمارة للقوم
 واستقرت هوج العواصف لما
 واختفى النص بالولاية لمّا
 أوقدَ الغدر في السقيفة ناراً
 وتلاشى الغديرُ إلا بقايا
 وتوالت مناظرٌ مؤلماتٌ
 من هجوم الأرجاس بالنار كي
 وانكسار الضلع المقدس بالضعف
 وانتزاع الوصي سحباً من الدار
 واغتصاب الحق الصريح جهاراً

عن ذيل عزمها الصخب
 رأياً إلا انمحي كالضباب
 من أمان وصارمٌ من صواب
 وهم يحملون سوء المآب
 ويرمي الشهاب إثر الشهاب
 جاء عن نص سنةٍ أو كتاب
 شادها الوهم عالياً في السراب
 استرجع ركب الهدى على الأعقاب
 وحازوا إمامة الحراب
 قابلتها سياسة الإرهاب
 أظهر الكيد فكرة الإنتخاب
 علقت في مواكب الأحقاب
 تترامى بها بطونُ الشُعاب
 مثلتها عداوة الأصحاب
 تحرق بيت الأكارم الأطياب
 ط وسقط الجنين عند الباب
 بتيار ثورة الأعصاب
 باختلاف الأعذار للإغتصاب

رأي بعض علماء السنة في ظلم الزهراء (عليها السلام)

لإتمام الفائدة المرجوة ، وإلقاء الحجّة على من عاند وكابر ، وجحد مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ، وللردّ على من يدّعي أن هذا الكلام غير موجود ، أو هو مبالغ فيه ، نقلنا آراء بعض علمائنا الأبرار ، وما فاتنا أكثر .
وعلينا الآن أن نقل آراء بعض علماء أهل السنة في نقلهم للإجماع الشيعي على ظلم الزهراء (عليها السلام) ، وعن رأي البعض الآخر في مظلوميتها (عليها السلام) .

فنقول : إن السيد المرتضى ، علم الهدى (ره) قد نقل في كتابه الشافي عن القاضي عبد الجبار قوله ، واعتراضه على الشيعة فقال : ومن جملة ماذكروه من الطعن ^(١) ، إدّعاؤهم أن فاطمة لغضبها على أبي بكر وعمر ، وصّت أن لا يصليا عليها ، وأن تدفن سرّاً منهما ، فدفنت ليلاً .
وإدّعوا برواية رويها عن جعفر بن محمد (عليه السلام) وغيره أن عمر ضرب فاطمة (عليها السلام) بالسوط... الخ ^(٢) .

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة ، ردّاً على مزاعم الشيعة في تخطئتهم لأبي بكر وعمر فيما فعلاه مع الزهراء (عليها السلام) : أمّا الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة ، من إرسال قنفذاً إلى بيت فاطمة (عليها السلام) ، وأنه ضربها بالسوط فصار عضدها كالدمّاج ، وبقي أثره

^(١) أي من جملة ما ذكرته الشيعة من الطعن على أبي بكر وعمر .

^(٢) الشافي ج ٤ / ص ١١٠ ، والملاحظات / ص ١٣٦ .

إلى أن ماتت ، وأن عمراً ضغطها بين الباب والجدار ، فصاحت يأبتاه يا رسول الله ! وألقت جنيناً ميتاً ، وجعل في عنق عليّ (عليه السلام) حبلاً يقاد به وهو يُعْتَل ، وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور ، وإبناه حسن وحسين معهما يبكيان .

وأن عليّاً لما أحضر سلّموه للبيعة فامتنع ، فتهدد بالقتل ، فقال : إذن تقتلون عبد الله ، وأخا رسوله ! فقالوا : أمّا عبد الله فنعم ، وأمّا أخو رسول الله فلا ! .

وأنه طعن فيهم في وجههم بالنفاق ، وسطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها ، وبأنهم أرادوا أن ينفّروا ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة العقبة ؛ فكله لا أصل له عند أصحابنا ، ولا يثبتته أحد منهم ، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه ، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله (١) .

بعد نقل هذين النصين ، لعالمين من علماء السنة ، نستطيع أن نقول : إن مسألة ظلم الزهراء التي روتها الأخبار الصحيحة والموثوقة والمعتبرة من طرق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، كانت منتشرة وشائعة بين علمائهم وعوامهم حتى وصلت إلى علماء غير الشيعة ، الذين انتقدوهم على ذلك ، وقالوا : إن هذه الروايات غير ثابتة ، مع أنهم يكذبون في ذلك . وقد أثبتنا هذه الروايات من طرقهم .

(١) البحار ج ٢٨/ص ٣١٧ ، والملاحظات/ص ١٣٧ ، لقد أثبتنا فيما سبق من هذا الكتاب ثبوت ما أنكره ابن أبي الحديد ، وبذلك يثبت كذبه .

وأن علماءنا ، مع أنهم كانوا يستعملون التقية - في أغلب الأحيان - خوفاً من حكامهم الجائرين ، وعلماؤهم الفاسقين ، كانوا يجاهرون في ذكر ظلم فاطمة الزهراء (عليها السلام) وما جرى عليها من حكامهم .

وقد روى الجوهري^(١) ، عن داود بن المبارك ، قال : أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بين الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ونحن راجعون من الحج في جماعة ، فسألناه عن مسائل : وكنت أحد من سأل ، فسألته عن أبي بكر وعمر ، فقال : أجيبك بما أجاب به عبد الله بن الحسن ، فإنه سئل عنهما فقال : كانت أمنا فاطمة (عليها السلام) صديقة ، إبنة نبي مرسل ، وماتت وهي غضبية على قوم ، فنحن غضاب لغضبها^(٢) .

إبن أبي الحديد يعترف^(٣) : بأن أبا بكر وعمر ظلما فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وذلك بعدما ذكر تلك الأخبار التي تصرح بأنهما أرادا إحراق بيتها عليها مع زوجها وأولادها ، وبعد تلك المعاناة التي أوضحتها الروايات المتقدمة ، فقال : والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر ، وأنها أوصت أن لا يصليا عليها ، وذلك عند أصحابنا من الصغائر المغفورة لهما ، وكان الأولى بهما إكرامها ، وإحترام منزلتها ، لكنهما خافا الفرقة ، وأشفقوا الفتنة ! ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما^(٤) .

^(١) نجد كلامه في شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ج ٢/ص ٢٠

^(٢) البحار ج ٢٨/ص ٣١٦

^(٣) راجع شرح النهج ج ٢/ص ٢٠

^(٤) البحار ج ٢٨/ص ٣٢٢

أقول : الحب في بعض الأحيان يعمي ويصم .
هذا الذي أعماه حبهما ، فهو يدافع عنهما بأيّ وسيلة حتى لو كانت
كاذبة خاطئة .

فكيف يعترف بأنها ماتت غاضبة عليهما وأرصت بأن لا يصليا عليها ،
ولا يحضرا دفنها ، لتسجل للأجيال غضبها المستمر عليهما ، وتذكر الأمة
دائماً بقول أبيها المصطفى (صلى الله عليه وآله) : فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما
آذاها ، ويغضبني ما أغضبها .

أوليست أذية رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الكبائر ؟ بنص قوله تعالى :
﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم
عذاباً مهيناً ﴾^(١) وقوله عز وجل : ﴿ ...والذين يؤذون رسول الله هم
عذاب أليم ﴾^(٢) .

أجارنا الله تعالى وأعادنا من زلة اللسان ، وخلط الأفكار والجنان .
وقد نقل في كتابه شرح نهج البلاغة ، في موضع آخر عن الجوهري ، -
بعد قصة هبار بن الأسود ، الذي أباح دمه النبي (صلى الله عليه وآله) .
وقصته : إن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث زيد بن حارثة مع أبي العاص
لجلب زينب : فقدّموا لها بعيراً وأركبوها ، وخرجوا بها إلى المدينة نهاراً يقاد
بعيرها ، وهي في الهودج .

^(١) الأحزاب / ٥٧

^(٢) التوبة / ٦١

وتحدث بذلك الرجال والنساء من قريش ، ولاوم بعضهم بعضاً وقالوا :
 إن محمداً قتل رجالنا في بدر ، وسبى ذرارينا ، وتخرج ابنته ^(١) بين أيدينا
 نهراً هكذا ؛ فخرجوا في طلبها مسرعين ، حتى أدركوها بذى طوى ،
 فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود ، ونافع بن عبد القيس الفهري ،
 فروعها هبار بالرمح ، وهي في الهودج ، وكانت حاملاً ، فلما رجعت إلى
 المدينة رأت دماً ، وطرحت ما في بطنها ، فلذلك أباح رسول الله (صلى الله عليه
 وآله) دم هبار في فتح مكة لأنه روّع زينب .

فقال ابن أبي الحديد : قرأت هذا الخبر على النقيب أبي جعفر ، فقال :
 إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أباح دم هبار لأنه روّع زينب ، فألقت
 ذا بطنها ، فظاهر الحال أنه لو كان حياً لأباح دم من روّع فاطمة (عليها السلام)
 حتى ألقت ذا بطنها ، فقلت : أروي عنك ما يقوله قوم : إن فاطمة (عليها
 السلام) روّعت فألقت المحسن ؟.

فقال : لا تروه عني ، ولا ترو عني بطلانه ، فإنني متوقف في هذا الموضع ،
 لتعارض الأخبار عندي فيه ^(٢) .

^(١) كان العرب في الجاهلية يعتبرون ربيبات الرجل بناته ، والنبي (صلى الله عليه وآله) لم يولد له من خديجة سوى
 القاسم ، وعبد الله ، ولقبه الطاهر ، وفاطمة (عليهم السلام) ، وأما زينب ورقية وأم كلثوم ، فكنّ بنات أخت
 خديجة التي ماتت وربتهن خديجة ، وبعد أن تزوج النبي (صلى الله عليه وآله) من خديجة ، أصبح يطلق عليهن بناته
 لأنهن تحت رعايته . راجع كتاب (بنات النبي أم ربيباته) للعلامة السيد جعفر مرتضى العاملي

^(٢) البحار ج ٢٨/ص ٣٢٣ ، واعلموا أنني فاطمة ج ٣/ص ٦٢

أقول : كل من تمعن في كلام أبي جعفر النقيب يرى أن التقية بادية ،
وظاهرة من كلامه ، فهو يعلم الكثير عن ظلم القوم للزهراء (عليها السلام) ،
ولكنه تظاهر بأنه متوقف في ذلك .

وقال ابن حجر العسقلاني : قدمت بنت أبي لهب المدينة مهاجرة .

فقيل لها : لا تغني عنك هجرتك ، أنت بنت حطب جهنم !.

فذكرت ذلك للنبي - (صلى الله عليه وآله) - فاشتد غضبه ، ثم قال على منبره :
ما بال أقوام يؤذونني في نسبي ، وذوي رحمي !. ألا ومن آذى نسبي ، وذوي
رحمي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله .

أخرجه ابن عاصم ، والطبراني ، وابن منده ، والبيهقي بألفاظ متقاربة (١)

أقول : إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد اشتد غضبه ، وصعد المنبر ، وخطب ،
ووعظ ، وهدد بغضب الله تعالى على كل من آذى قرابته ، أو ذوي رحمه ،
فماذا كان سيفعل ، لو رأى ما فعل أولئك القوم بابنته ، وقرّة عينه فاطمة
(عليها السلام) ؟ وما فعله أتباعهم بذريعتها من بعدها ؟.

ونقل العلامة السيد محسن الأمين العاملي (ره) ، عن مجلة الرسالة
المصرية العدد / ٥١٨ من السنة / ١١ / ص ٤٥٧ كلام للاستاذ محمود أبو ريّة
من أهل المنصورة ، هذا لفظه : بقي أمر لا بد من أن نقول فيه كلمة
بصراحة : ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة بنت رسول الله (رضي الله عنها)
وما فعل معها من ميراث أبيها ، لأننا إذا سلمنا بأن خير الأحاد الظني

(١) راجع الصواعق المحرقة / ص ١٧٢

يخص الكتاب القطعي ، وأنه قد ثبت أن النبي قد قال : إنه لا يورث ،
 وإنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر .
 فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة (رضي الله عنها) بعض تركة أبيها ،
 كأن يخصها بفدك .

وهذا من حقه الذي لا يعارضه فيه أحد ، إذ يجوز للخليفة أن يخص من
 شاء بما شاء .

وقد خصّ هو نفسه ، والزبير بن العوام ، ومحمد بن سلمة ، وغيرهم
 ببعض متروكات النبي ، على أن فدك هذه التي منعها أبو بكر من فاطمة لم
 يلبث أن أقطعها عثمان لمروان (اه) .

وفي معجم البلدان : أنه أدى اجتهاد عمر بن الخطاب ، لمّا ولي الخلافة ،
 وفتحت الفتوح على المسلمين ، أن يردّها إلى ورثة رسول الله (ص) ، فكان
 علي بن أبي طالب والعباس ، يتنازعان فيها ، فعلي يقول : إن النبي (ص)
 جعلها في حياته لفاطمة ، والعباس يأبى ذلك ، ويقول : هي ملك رسول
 الله (ص) وأنا وارثه ، ويتخاصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول :
 أنتما أعرف بشأنكما ، أمّا أنا فقد سلمتها إليكما ، فاقصدوا ، فما يؤتى
 واحد منكما من قلة معرفة (اه) .

وهذا الكلام ^(١) ، مع انفراده بنقله ، لا يكاد يصح .

^(١) راجع إلى حديث أبي بكر : نحن معاشر الأنبياء لا نورث

فإذا كان النبي لا يورث ! كما رواه أبو بكر ، وسمعه منه العباس ، فكيف يقول : وأنا وارثه ، ثم قوله : وأنا وارثه ظاهرة انحصار الإرث فيه ، مع أن وارثه فاطمة ، إن بطل التعصيب ، وهي مع العباس إن صح التعصيب ^(١) .
 هذه نبذة وجيزة من كلام بعض علماء أهل السنة ، الذين أزاحوا عن أعينهم شيئاً قليلاً من التعصب ، وعن قلوبهم قليلاً من الحقد على أهل البيت (عليهم السلام) .

فبدرت منهم هذه الكلمات الخجولة في حق من ظلم واعتدى ، وتمادى في غضب حق بضعة الرسول (صلوات الله عليهم أجمعين) .

^(١) أي إن فاطمة (عليها السلام) ستزث سواء ورث معها عمها العباس ، على رأي السنة ، أو كانت هي الوارثة

الوحيدة ، على رأي الشيعة . راجع أعيان الشيعة ج٢/ص٣٠٧

حزن فاطمة الزهراء (عليها السلام)

وبكاءها

إن الله تبارك وتعالى فطر الإنسان على الفرح ، إن كان هناك ما يُفرحه ،
وعلى الحزن ، إن كان هناك ما يحزنه .

وهما من العلامات الفارقة للإنسان عن بقية المخلوقات .

فالحزن كان ، وما يزال ، التعبير عما يجيش في داخل الإنسان من الأسى
واللوعة لفقد عزيز ، أو لفقد حاجة تكون مهمة عنده .

والبكاء هو التعبير الظاهري عن الحزن الداخلي .

لهذا نجد جميع الناس يعبرون عن أحزانهم ، والمآسي التي لحقت بهم
بالبكاء .

هذا رسول الله ، نبي الرحمة ، وإمام الأمة (صلى الله عليه وآله) ، قد بكى على
ولده العزيز إبراهيم... وقال : العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما
يُرضي ربنا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ^(١) .

وبكى أيضاً (صلى الله عليه وآله) على ولده طاهر... وقال : إن العين تذرف ،
وإن الدمع يغلب ، وإن القلب يحزن ، ولا نعصي الله عز وجل ^(٢) .

وعندما استشهد الحمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) ، جاءت صفيية بنت
عبد المطلب تطلبه ، فحالت بينها وبينه الأنصار ، فقال (صلى الله عليه وآله) :
دعوها ، فجلست عنده ، فجعلت إذا بكت بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

^(١) الغدير ج/٦ ص/١٦٤ عن سنن أبي داود ، وسنن ابن ماجه .

^(٢) الغدير أيضاً عن مجمع الزوائد .

وإذا نَشَجَتْ نَشَجَ ، وكانت فاطمة (عليها السلام) تبكي ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) كلما بكت يبكي ، وقال : لن أصاب بمثلك أبداً (١) .

وروي أيضاً أنه لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أحد ، بكت نساء الأنصار على شهدائهم ، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : لكن حمزة لا بواكي له ، فرجعت الأنصار فقلن لنسائهم : لا تبكين أحداً حتى تبدأن بحمزة ، قال : فذا فيهم إلى اليوم ، لا يبكين ميتاً إلا بدأن بحمزة (٢) وهذا هو (صلى الله عليه وآله) يعني جعفرأ ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة وعيناه تذر فان (٣) .

وهذا هو (صلى الله عليه وآله) زار قبر أمه وبكا عليها ، وأبكى من حوله . وهذا هو (صلى الله عليه وآله) يُقَبَّلُ عثمان بن مظعون وهو ميت ودموعه تسيل على خده .

وهذا هو (صلى الله عليه وآله) يبكي على ابن لبعض بناته ، فقال له عبادة بن الصامت : ما هذا يارسول الله ؟ .

قال (صلى الله عليه وآله) : الرَّحْمَةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي بَنِي آدَمَ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ (٤) .

وفي بعض الأحيان يُستعمل الحزن والبكاء ، لإظهار المظلومية . لأن المظلوم لا يستطيع أن يظهر حقه ، أو يُبينه خوفاً من الظالم .

(١) الغدير أيضاً عن أمتاع المقرزي /ص ١٥٤

(٢) الغدير ، عن مجمع الزوائد .

(٣) الغدير ، عن صحيح البخاري وسنن البيهقي

(٤) الغدير ج ٦/ص ١٦٥ ، وقد نقلها عن مصادر أهل السنة ، فراجع .

فالحكام الذين ملكوا رقاب العباد بالقهر والغلبة ، أو بالدهاء والخديعة ، لا يعطون فرصة للمظلومين ، لكي يظهروا حقوقهم ، أو يدفعوا عن أنفسهم المظلومية .

فالمظلوم يتجه نحو البكاء ، ليظهر مظلوميته ، ويكشف زيف الظالم وخذاعه للناس وللتاريخ .

وهذا ما حصل فعلاً من مولانا الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) .

بعد أن حاول بنو أمية طمس معالم الثورة الحسينية ، وسبب استشهاد آل البيت (عليهم السلام) ، بما نفثوه من سموم في الأمة ، ومن أكاذيب بين الناس : كأدعائهم أن جماعة الحسين خوارج همهم قلب نظام الحكم الإسلامي ... جاءت الحوراء زينب وجاء زين العابدين (عليهما السلام) ليظهرا زيف ادعاء بني أمية ، وليزلزلا عرشهم ، بحزنهما الصامت ، وبكائهما النبيل ، وسيرتهما النبوية ...

حتى كانت كل الثورات تبدأ بشعار (يا لثارات الحسين) .

لهذا يروي لنا التاريخ عن حزن الإمام زين العابدين وبكائه المستمر .

قال مولانا الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : إن جدي علي بن الحسين (عليهما السلام) بكى على أبيه عشرين سنة .

وما وُضِعَ بين يديه طعام إلا بكى ، وعذله بعض مواليه ، فقال له : إنني أخاف عليك أن تكون من الهالكين .

فقال له الإمام برفق : يا هذا ! إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون ، إن يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده ، وعنده اثنا عشر ولداً ، وهو يعلم أنه حيّ ، فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن .

وإني نظرت إلى أبي وإخوتي وعمومي وصحبي مقتولين حولي ، فكيف ينقضي حزني ؟.

وإني لا أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة ، وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة^(١).

ويروى أيضاً عنه (عليه السلام) ، أنه كان يمر في سوق القصابين ، فيسأل أحدهم : هل سقيت هذا الكبش ماءً ؟ فيجيبه قائلاً : نعم يا ابن رسول الله.

فيقف الإمام (عليه السلام) وسط زحام الناس ، ويرفع صوته منادياً : أبى يا حسين ! الكبش لا يذبح حتى يُسقى الماء ، وقد قتلوك إلى جانب الفرات ظمآن...

السلام عليك يا أبا عبد الله ! ياريحانة الرسول ...
ويستمر بندب أباه الحسين (عليه السلام) ، حتى ينفجر المارة بالدموع .
وهكذا.. كان (عليه السلام) يقوم بعرض المظلومية كلما سنحت الفرصة^(٢).

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام) للعلامة القرشي ج ٣/ص ٤٢٧

(٢) إعلموا أنني فاطمة ج ٨/ص ٦٧١

ويقوم بمجلس عزاء لأبيه الحسين (عليه السلام) حتى لو كان المكان سوقاً أو شارعاً .

وكذلك مولاتنا فاطمة الزهراء ، الصديقة الحوراء (صلوات الله عليها) ، عرف عنها كثرة البكاء على أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، مع قصر المدة التي عاشتها بعده ، وشدت حزنها عليه ، حتى ذكرتها الأخبار أنها من البكائين .
روى الشيخ الصدوق (ره) بإسناده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال : البكاؤون خمسة ؛ آدم ، ويعقوب ، ويوسف ، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي بن الحسين (عليهما السلام) .

فأمّا آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية .

وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: ﴿ **تالله تفتئو تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين** ﴾ ^(١) .

وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن ، فقالوا : إمّا أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل ، وإمّا أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار ، فصالحهم على واحد منهما .

وأمّا فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) فبكت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى تأذى بها أهل المدينة ، وقالوا لها : قد آذيتنا بكثرة بكائك ، فكانت تخرج إلى المقابر ، مقابر الشهداء ، فتبكي حتى تقضي حاجتها ، ثم تنصرف .

^(١) يوسف / ٨٥

وأما علي بن الحسين فبكى...^(١) - وقد تقدم الكلام عليه - .
 وروى الشيخ الأميني (ره) : من طرق أهل السنة في حزنها وبكائها (عليها السلام) فقال : وهذه الصديقة الطاهرة تبكي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقول : يا أبتاه ! من ربّه أدناه ، يا أبتاه ! أجاب ربّاً دعاه ، يا أبتاه ! إلى جبريل ننعاه ، يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه^(٢) .
 وقد وقفت على قبر أبيها الطاهر ، وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا ؟
 صبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا^(٣) .
 وروى ابن شهر آشوب (ره) أنها (عليها السلام) ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس ، ناحلة الجسم ، منهدة الركن ، باكية العين ، محترقة القلب ، يغشى عليها ساعة بعد ساعة ، وتقول لولديها : أين أبوكما الذي كان يكرمكما ، ويحملكما مرّة بعد مرّة ؟ .

أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكمما فلا يدعكما تمشيان على الأرض ؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ، ولا يحملكما على عاتقه ، كما لم يزل يفعل بكما ، ثم مرضت ومكثت أربعين ليلة ..^(٤)

(١) الخصال/ص٢٤٨ والأمال/ص١٢١ والبحار ج٤٣/ص١٥٥

(٢) عن صحيح البخاري ، ومسنّد أبي داود وسنن النسائي ، ومستدرک الحاکم ، وتاریخ الخطیب البغدادي .

(٣) الغدير ج٦/ص١٦٥ وج٥/ص١٤٧

(٤) مناقب آل أبي طالب ج٣/ص٣٦٢

وروى العلامة المجلسي في بحار الأنوار ، عن فضة مولاة فاطمة (عليها السلام) - من حديث طويل - قالت : ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب ، والأقرباء والأحباب أشد حزناً ، وأعظم بكاءً وانتحاباً من مولاتي فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وكان حزنها يتجدد ويزيد ، وبكاؤها يشتد .

فجلست سبعة أيام لا يهدأ بها أنين ، ولا يسكن منها الحنين ، كل يوم جاء بكاءها أكثر من اليوم الأول ، فلما كان في اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن ، فلم تطق صبراً إذ خرجت وصرخت ، فكأنها من فم رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنطق ؛

فتبادرن النسوان ، وخرجن الولائد والولدان ، وضج الناس بالبكاء والنحيب ، وجاء الناس من كل مكان ، وأطفئت المصابيح لكي لا تبين صفحات النساء ، وخيل إلى النسوان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قام من قبره ، وصارت الناس في دهشة وحيرة لما قد رهقهم ، وهي (عليها السلام) تنادي وتندب أباهما وتقول : واأبتاه ! واصفياها ! واحمداه ! واأبا القاسماه ! واربيع الأرامل واليتامى ، من للقبلة والمصلى ، ومن لإبتك الواهة الثكلي .

إلى أن قالت فضة : ثم زفرت زفرة ، وأنت أنة ، كادت روحها أن تخرج

ثم قالت :

قلّ صبري وبان عني عزائي	بعد فقدي لخاتم الأنبياء
عين ياعين اسكبي الدمع سحاً	ويك لا تبخلي بفيض الدماء
يارسول الإله يا خيرة الله	وكهف الأيتام والضعفاء
قد بكتك الجبال والوحش جمعاً	والطير والأرض بعد بكاء السماء

وبكاك الحجون والركن وال
 وبكاك المحراب والدّرس
 وبكاك الإسلام إذ صار في
 لوترى المنبر الذي كنت تعلوه
 يا إلهي عجل وفاتي سريعاً
 وروي عنها أنها قالت أيضاً :

قل للمغيب تحت أطباق الثرى
 صبّت عليّ مصائب لو أنها
 قد كنت ذات حمى بظل محمد
 فاليوم أخشع للذليل وأتقي
 فإذا بكت قمرية في ليلها
 فلاجعلن الحزن بعدك مؤنسي
 ماذا على من شم تربة أحمد
 إن كنت تسمع صرختي وندائيا
 صبت على الأيام عدن لياليا
 لا أخشى ضيماً وكان جماليا
 ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
 شجناً على غصنٍ بكيت صباحيا
 ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
 أن لا يشم مدى الزمان غواليا^(١)

وقد أورد في كتاب (إعلموا أني فاطمة) سؤالاً ، قال : كيف تأذى أهل
 المدينة ببكاء الزهراء (عليها السلام) ؟.

وهل من المعقول أن يتأذى الآخرون ببكاء إنسان قابع في داره ؟...
 وأجاب عن ذلك فقال : لم يكن بكاء الزهراء (عليها السلام) بهذا الشكل من
 السهولة والعفوية ، كما يتبادر إلى الأذهان .

^(١) البحار ج ٤٣/ص ١٧٥/١٧٧

^(٢) أعيان الشيعة ج ٢/ص ٣٢٠

بل إن البكاء عند فاطمة ، كان بكاءً سياسياً أكثر منه عاطفياً ، أجل ...
كانت فاطمة تبكي لتعمق جانب المظلومية في الإسلام ، حتى تتمكن من
ترجيح ضربة قاضية بوجه الظالمين .

أما السبب في أذية رجال المدينة فيمكن أن يوجه بأن بيوت المدينة في
حالة إصغاء كامل لصوت فاطمة - (عليها السلام) - بحيث إذا بكى الزهراء ،
تجاوبت مع بكائها كافة النساء ، الأمر الذي كان يحول المدينة عن بكرة
أبيها إلى مأتم للحزن ..

حتى لم يعد باستطاعة الرجال أن يناموا مع زوجاتهم على فراشٍ واحد^(١)

وقد روى العلامة المجلسي ، أنه قد اجتمع شيوخ أهل المدينة ، وأقبلوا
إلى أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) فقالوا له : يا أبا الحسن ! إن فاطمة (عليها
السلام) تبكي الليل والنهار ، فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا ، ولا
بالنهار لنا قرار على أشغالنا ، وطلب معايشنا ، وإنا نخيرك أن تسألها : إمّا
أن تبكي ليلاً ، أو نهاراً ، فقال (عليه السلام) : حباً وكرامة .

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دخل على فاطمة (عليها السلام) ، وهي لا
تفريق من البكاء ، ولا ينفذ فيها العزاء ، فلمّا رآته سكنت هنيئة له فقال لها :
يا بنت رسول الله ! إن شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك : إمّا أن تبكي
أباك ليلاً ، وإمّا نهاراً .

^(١) إعلموا أني فاطمة ج/٨/ص ٦٨٠

فقلت : يا أبا الحسن ! ما أقل مكثي بينهم ، وما أقرب مغيبني من بين أظهرهم ، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً ، أو ألحق بأبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فقال لها عليّ (عليه السلام) : إفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك . ثم أنه بنى لها بيتاً في البقيع ، نازحاً عن المدينة ، يسمى بيت الأحران ، وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين (عليهما السلام) أمامها ، وخرجت إلى البقيع باكية ، فلا تزال بين القبور باكية ، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها وجاء بها إلى منزلها (١) .

وقد ذكر ابن جبير بيت الأحران هذا في رحلته فقال : ويَلِي القبة العباسية (٢) بيت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويعرف بيت الأحران ، يقال إنه الذي آوت إليه والتزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى (صلى الله عليه وآله) ... (٣)

وذكر في كتاب (إعلموا أنني فاطمة) بعد أن طلب شيوخ المدينة من أمير المؤمنين (عليه السلام) تحديد وقت لبكاء الزهراء (سلام الله عليها) ، فصارت تذهب إلى البقيع ، ومعها ولداها ، وبعض النسوة ، وكانت تستظل تحت ظل شجرة وتبكي أباهما ، فعمدوا إلى تلك الشجرة فقطعوها . فبنى لها أمير المؤمنين (عليه السلام) بيت الأحران .

(١) البحار ج ٤٣ / ص ١٧٧

(٢) أي قبر العباس عم النبي (صلى الله عليه وآله)

(٣) رحلة ابن جبير / ص ١٥٥ ط دار التراث العربي / ١٩٦٨ م

٣٠٩

وقد أشار إلى بيت الأحنان الإمام الحجة المنتظر (عجل الله فرجه) بقوله :
أتراني اتخذت لا وعلاها بعد بيت الأحنان بيت سرور^(٤)

^(٤) إعلموا أنني فاطمة ج ١٠/ص ٦٦٩

من قصيدة للسيد باقر الهندي

خالفوا كلَّما جاء به طة
 عدلوا عن أبي الهداة الميا
 قدموا الرجسَ بالولاية للأمر
 أو تدرِي لِمَ أحرَقوا البابَ بالنار
 أو تدرِي ما صدرُ فاطمَ ما الـ
 ما سقطُ الجنينَ ما حُمرةُ العينِ
 دخلوا الدارَ وهي حسرى بمراي
 واستداروا بغياً على أسدِ الله
 والبتولُ الزهراءُ في إثرهم
 بأنينٍ أورى القلوبَ ضراماً
 ودعتهمُ خلوا ابنَ عمي عليّاً
 وعليّ يرى ويسمَعُ والسيفُ
 قيدتهُ وصيةٌ من أخيه

وهو إذ ذاك ليس بالمقبورِ
 مين إلى يعة الأثيم الكفورِ
 على أهل آية التطهيرِ
 أرادوا إطفاءَ ذلك النورِ
 مسامراً ما حال ضلعها المكسورِ
 ما بال قرطها المنشورِ
 من عليّ ذلك الأبى الغيورِ
 فأضحى يقادُ قودَ البعيرِ
 تعثرُ في ذيلِ بردها المجرورِ
 وحنينٍ أذابَ صيمَّ الصخورِ
 أو لأشكو إلى السميع البصيرِ
 رهيفٌ والباعُ غيرُ قصيرِ
 حملتهُ ما ليسَ بالمقدورِ

• إعلموا أني فاطمة ج ٩/ص ١٩٢

خطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

في نساء المهاجرين والأنصار

لما مرضت فاطمة (عليه السلام) المرضة التي توفيت فيها ، أجمع إليها نساء المهاجرين والأنصار يُعَدِّنَهَا ، فقلن لها : كيف أصبحت من علتك يا ابنة رسول الله ؟.

الأصل

فحمدت الله ، وصلت على أبيها ، ثم قالت : أصبحت والله : عائفةً لدنياكنّ ، قاليةً لرجالكنّ ، لفظتهم بعد أن عجمتهم ، وشأنتهم بعد أن سبرتهم ، فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الجد ، وقرع الصفاة ، وصدع القناة ، وختل الآراء ، وزلل الأهواء ، ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ! ﴿

لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها ، وحمّلتهم أوقتها ، وشننت عليهم غارها ، فجدها ، وعقراً ، وسحقاً للقوم الظالمين .

ويجهم ! أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطيبين بأمور الدنيا والدين !؟.

ألا : ذلك هو الخسران المبين ! وما الذي نقموا من أبي الحسن -

(عليه السلام) - ؟.

نقموا والله منه نكير سيفه ، وقلة مبالاته لحتفه ، وشدة وطأته ، ونكال
 وقعته ، وتمّره في ذات الله عز وجل ، والله ! لو مالوا عن المحجة اللايحة
 وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة ، لردّهم إليها ، وحملهم عليها ، ولسار
 بهم سيراً سُجْحاً ، لا يكلم خشاشه ، ولا يكل سائره ، ولا يعمل راكبه ،
 ولأوردّهم منهلاً نغيراً ، صافياً رويّاً ، تطفح ضفتاه ، ولا يترنق جانباه ،
 ولأصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً ، ولم يكن يتحلّى من الدنيا
 بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ريّ الناهل ، وشبعة الكافل ، ولبّان
 هم : الزاهد من الراغب ، والصادق من الكاذب ، ﴿ ولو أن أهل القرى
 آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا
 فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾

﴿ والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم
 بمعجزين ! ﴾

ألا : هلم فاسمع ! وما عشت أراك الدهر عجبا !! وإن تعجب فعجب
 قوهم !! : ليت شعري إلى أيّ سنادٍ استندوا !؟ .
 وعلى أيّ عمادٍ اعتمدوا !؟ . وبأيّة عروة تمسكوا !؟
 وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا ؟ لبئس المولى ولبئس العشير ، وبئس
 للظالمين بدّلاً ، استبدلوا والله الذنابا بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً
 لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .
 ألا : إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .

ويجهم ! ﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون ﴾ ١٩.

أما : لعمرى ! لقد لقحتُ ، فنظرة ريشما تُنتج ، ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً ، وذعافاً مبيداً ، هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف التالون غبّ ما أسسه الأولون .

ثم طيخوا عن دنياكم أنفساً ، واطمئنوا للفتنة جأشاً ، وابشروا بسيف صارم ، وسطوة معتدٍ غاشم ، وهرج شامل ، واستبداد من الظالمين : يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرةً لكم ، وأنى بكم ، وقد عميت عليكم ، ﴿ أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾ ١٩. (١)

(١) الإحتجاج ج ١/ص ١٠٨/١٠٩

الشرح

لقد باءت محاولات الزهراء (عليها السلام) بالفشل ، بأن تعيد المسلمين إلى رشدهم ، وتردعهم عن غيهم .

ولقد أثر فيها الضرب الذي ضربوها إيّاه ، وكسر ضلعها ، وإسقاط جنينها ، عندما ضغطوها خلف الباب .

وكان حزنها شديداً على فراق أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وقد ألفت الحجة على الجميع بخطابها الذي ألقته في المسجد أمام الصحابة وجميع المسلمين ، كما تقدم ذكره وشرحه .

وحتى تكون الحجة بالغة على الجميع ، ولا يكون هناك اعتراض لمعارض أو انتقاد لمنتقد ، بأن أمير المؤمنين أو فاطمة الزهراء (عليهما السلام) قد حصل منهما أيّ تقصير أو تهاون في تذكير أولئك المسلمين بقبح فعلهم ، وشناعة عاقبتهم ، نسوق الاخبار التالية .

فقد روي بالإسناد إلى مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حمل فاطمة (عليها السلام) على أتان عليه كساء له حمل ، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار ، والحسن والحسين (عليهما السلام) معها ، وهي تقول : يا معشر المهاجرين والأنصار ! انصروا الله فلإني ابنة نبيكم ! وقد بايعتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بايعتموه ، أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذرايكم ، فقوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ببيعتكم ، قال : فما أعانها أحد ، ولا أجابها ، ولا نصرها .

قال : فانتهدت إلى معاذ بن جبل فقالت : يامعاذ بن جبل ! إنني قد جئتك مستنصرة ، وقد بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أن تنصره وذريته ، وتمنعه مما تمنع منه نفسك وذريتك ، وأن أبا بكر قد غصبني على فديك ، وأخرج وكيلى منها !.

قال : فمعي غيري ؟ قالت : لا ، ما أجابني أحد !.

قال : فأين أبلغ أنا من نصرتك ؟.

قال : فخرجت من عنده ، ودخل إبنة فقال : ما جاء إبنة محمد إليك ؟.

قال : جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر ، فإنه أخذ منها فديكاً !.

قال : فما أحببتها به ؟ قال : قلت وما يبلغ من نصرتي وأنا وحدي ؟.

قال : فأبيت أن تنصرها ؟ قال : نعم ، قال : فأى شيء قالت لك ؟.

قال : قالت لي : والله لا أنازعنك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

قال : فقال : أنا والله لا أنازعنك الفصيح من رأسي حتى أرد على

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، إذا لم تجب إبنة محمد (صلى الله عليه وآله) ^(١) .

وذكر ابن قتيبة : أن عليّ خرج يحمل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)

- وآله - رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصره ، فكانوا يقولون

يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وإبن عمك

سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به .

^(١) الإختصاص / ص ١٧٩

فيقول عليّ أفكنت أدعُ رسول الله (ص) في بيته لم أدفنه ، وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟.

فقال فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم ^(١) .

وهكذا ترى أن الهم والحزن والقهر الذي ألم بالزهراء (عليها السلام) ، من غصب حقها ، وضربها ، وإسقاط جنينها أعجزها عن السير حتى أركبها أمير المؤمنين (عليه السلام) على حمار لتقوم بإلقاء الحجة على المسلمين .
وبعدها اشتد عليها المرض ، ولازمت الفراش ، فجاء نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها (عليها السلام) .

ماهو الدافع من هذه الزيارة ؟ لا يعلم بالنوايا إلا الله سبحانه .

فقد روى في كتاب الإحتجاج ، بإسناده إلى سويد بن غفلة ، قال : لما مرضت فاطمة (عليها السلام) المرضة التي توفيت فيها ، اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار يُعَدْنَهَا ، فقلن لها : كيف أصبحت من علتك يا ابنة رسول الله ؟.

فحمدت الله ، وصلت على أبيها ، ثم قالت :

[أصبحتُ والله : عائفةً لدنياكنّ ، قالية لرجالكنّ]

العائف : هو الكاره ، والقالي : هو المبغض .

^(١) الإمامة والسياسة / ص ١٩

الإِنسان يحب الدنيا عندما يكون بين أناسٍ مؤمنين عادِ لِينِ صادقين ،
 مطيعين لله ولرسله ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .
 فتكون الدنيا بين هؤلاء الناس نعيماً وسروراً وأنساً .
 فالزهراء (عليها السلام) كرهت الدنيا ، وأبغضت أولئك الرجال ، الذين
 يعيشون فيها لها ، والذين لم يحترموا وعودهم ولا عهودهم .

[لفظتُهم بعد أن عجمتُهم ، وشنأتُهم بعد أن سببُتهم]

لفظ الشيء من الفم : هو الرمي والطرح .
 والعجم : هو العض . والشنأ : هو البغض ، وسببُتهم : أي اختبرتهم .
 وغرضها (سلام الله عليها) : إن أولئك الرجال المنافقين ، الذين أظهروا ما
 كانوا يبطنون من كره أهل البيت (عليهم السلام) ، رمتهم وطرحتهم ،
 وأبغضتهم ولم يعد لهم عندها أيُّ قيمة بعد أن اختبرتهم وامتحنتهم .

[فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الجد]

الفلول : هو العيب في حد السيف ، أو الكسر ، فلا يقطع .
 شبهتهم (عليها السلام) بالسيف الذي انكسر حده ولم يعد صالحاً للقتال .
 فهو لا يصلح لشيء . وهكذا هم بعد أن تخاذلوا عن نصرتها ، وأخذ
 حقها ممن ظلمها .

وقبحتهم : بمعنى قبح الله أولئك الرجال الذين كانوا في عهد أيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) جادين ، والمرضاة ربههم من المسارعين ، فأصبحوا يأخذون الأمور ببساطة وتهاون ، وكأنهم يلعبون .

[وقرع الصفاة ، وصدع القناة ، وخطل الآراء ، وزلل الأهواء]

الصفاة : الحجر الأملس ، والصدع : الشق ، والقناة : الرمح ، والخطل : هو الخطأ والانحراف .

وغرضها (سلام الله عليها) من هذه الكلمات التي استعملتها بحقهم ، أن تقبح أولئك الرجال ، الذين كانوا صخوراً ملساء ، لا يؤثر فيهم شيء ، فأصبحوا مذلة لكل حاكم ، بعد أن تنازلوا عن نصره الحق .

لقد تشققت تلك الصخور ، وتكسرت تلك الرماح ، وأخطأت وانحرفت تلك الآراء التي كان يتشاور معها الرسول (صلى الله عليه وآله) .

فيأخذ برأي بعضهم عندما يكون الرأي يوافق المصلحة الإلهية في الأرض . ما أقبح تلك الرغبات المنحرفة التي لعبت بمقدرات المسلمين على مر التاريخ . وكل ذلك سببه إتباع الأهواء الضالة المضلة ، ومشتهيات النفس الأمامرة بالسوء .

[ولبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم

خالدون]

لتوضيح ما رمت إليه الزهراء (عليها السلام) من إتيانها بهذه الآية من سورة المائدة ، علينا أن نذكر الآيات التي جاءت قبلها ، للتشابه بين الماضي الذي تحدثت عنه الآيات ، والحاضر الذي تحدثت عنه الزهراء (عليها السلام) .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مَنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (١) .

لعن الله جل جلاله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان بعض أنبيائه لأنهم لم يتناهوا عن المنكر ، وأن كثيراً منهم كانوا يتولون الذين كفروا . هذا مارمت إليه الزهراء (عليها السلام) أن الولاية لا تكون إلا لمن ولّاه الله سبحانه ، وملعون كل من يخالف الله تعالى بأوليائه .

[لا جرم لقد قلّدت ربقتها ، وحملت أوقتها ، وشنت عليهم غارها]

لاجرم : كلمة تورد لتحقيق الشيء .

والربقة : في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة ، أو في يدها تمسكها .

والأوق : في قولها (عليها السلام) : [حملتم أوقتها] أي الثقل والمسئولية .

والشَنُّ : هو رش الماء رشاً متفرقاً ، وقولها (عليها السلام) : [وشُننت عليها غارها] إذ فُرِّقت عليهم من كل وجه .

حَمَلت الزهراء (عليها السلام) المسلمين مغبة الإنحراف في الدين ، وتفرقة المسلمين ، وبعدهم عن سيرة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) ، وجعلت هذه المسؤولية في رقابهم ، لأنهم لم يوالوا الذي عيَّنه الله تعالى ورسوله ، ولم يوفوا بما عاهدوا عليه الله تعالى .

فكل جريمة ارتكبت ، وكل حرمة انتهكت ، وكل دمٍ سفك فهو في رقبة الذين سنوا العداة والجفاء لأهل البيت (عليهم السلام) .

روى في بحار الأنوار عن المفضل بن عمر أنه قال : قال مولانا جعفر - الصادق - (عليه السلام) : كل ظلامة حدثت في الإسلام ، أو تحدث ، وكل دمٍ مسفوك حرام ، ومنكر مشهور ، وأمر غير محمود ، فوزره في أعناقهما ، وأعناق من شايعهما ، أو تابعهما ، ورضي بولايتهما إلى يوم القيامة ^(١) .

[فجدعاً ، وعقراً ، وسحقاً للقوم الظالمين]

الجدع : هو قطع الأنف ، أو الأذن ، أو الشفة ، وأغلب استعمالها في الأنف .

والعقر : هو قطع قوائم البعير أو الجواد ، ويستعمل في القتل .
والسحق : هو البعد .

^(١) البحار مجلد ٨/ص ١٠٢

أطلقت الزهراء (عليها السلام) هذه العبارات التي يبدو منها الدعاء والذم على أولئك المتخاذلين عن نصرة الحق ، وإزهاق الباطل ، كما أمر الله سبحانه وتعالى ؛ ووصفتهم بأنهم قوم ظالمون .

والظالم : هو الذي يضع الشيء في غير موضعه .
والظلم له مراتب : أقله ظلم ثملة ، وأعظمه ظلم أمة .
فالظالم الذي ظلم الأمة بظلمه لأهل البيت (عليهم السلام) ، القادة الإلهيين ، الذين عينهم الله سبحانه ، وهو يرضى لرضاهم ، ويفضض لفضيبتهم ، يستحق هذا الدعاء من الزهراء (عليها السلام) .

[ويجهم ! أنى زحزحوها عن رواسى الرسالة]

ويح : كلمة تستعمل للتعجب ، والتوجع ، وربما تستعمل بمعنى الويل .
والزحزحة : التنحية والتبعيد .
والرواسي : الجبال الثابتة الراسخة .
تتعجب (سلام الله عليها) من الصحابة والمسلمين كيف أبعثوا الخلافة عن أصولها ، والذين هم راسخين بعلمها وأحكامها .

[وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين]

القواعد : هي الأسس والأصول .

أي كيف أبعدها أولئك الذين هم الأسس والأصول في علم النبوة والأدلة عليها ، وكان مهبط الوحي ، الروح الأمين جبرائيل (عليه السلام) في بيتهم ، وأهل البيت أدري بالذي فيه .

[والطيبين بأمور الدنيا والدين !؟ . ألا : ذلك هو الخسران المبين !]

الطيبين : هو الفطن الحاذق النبيه .

غرضها (عليها السلام) أن تذكرهم ، بانهم ارتكبوا خطأ عظيماً ، بأن أبعدها من هم أولى بالخلافة ، العارفين بأصولها وأسسها ، والخبيرين بأمور الدنيا والدين ، بحيث لا ينخدعون بالدنيا ، ويتزكون واجبات الدين .

وختمت قولها (عليها السلام) : بتعريف الخاسرين الحقيقيين ، الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ، قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾^(١)

[وما الذي نقموا من أبي الحسن - (عليه السلام) - !؟]

أي ما هو الشيء الذي عابوه على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، حتى أبعده عن السلطة والإمارة ، وقدموا عليه غيره !؟ أنقصاً في العلم ؟ أو جهلاً في الفتيا ؟ أو سوءاً في الخلق ؟ أو عاراً في الحسب ؟ أو ضعفاً في الدين ؟ أو

^(١) الزمر / ١٥

عدم كفاءة في الأمور ؟ أو جبناً في النفس ؟ أو خسة في النسب ؟ أو قلة في الشرف ؟ أو بخلًا بالمال ؟ أو أي عيب في مؤهلاته وكفآته (١) .
ولكنها (سلام الله عليها) أوضحت سبب نعمتهم على أمير المؤمنين (سلام الله عليه) بقولها :

[نعموا والله منه نكير سيفه ، وقلة مبالاته لحنفه]

إن نعمة قريش على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكرههم له هو بسبب شدته في الحروب والغزوات ، وقتله رجالاتهم وأبطالهم .
وكان لا تأخذه في الله لومة لائم .
روي عنه أنه كان يقول : والله لا يبالي إبن أبي طالب أوقع على الموت ، أم وقع الموت عليه (٢) .

[وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله عز وجل]

الوطأة : الأخذة الشديدة ، والضغطة ، وأصل الرطية : الدوس بالقدم ،
ويطلق على الغزو والقتل .
والنكال : العقوبة التي تنكل الناس .
والوقعة : صدمة الحرب .

(١) فاطمة من المهدي إلى اللحد / ص ٥٤٠

(٢) نفس المصدر / ص ٥٤١

والتنمر : هو التغير ، تنمر فلان ، أي تغير وتنكر وأوعد ، لأن النمر لا تلقاه أبداً إلا متنكراً غضباناً .

علي بن أبي طالب (عليه السلام) فرد نادر الوجود في تاريخ البشرية ، فقد كان أكثر الناس عبادة ، وأشجع الناس ، وأعلم الناس ، فلا يغضب إلا لله تعالى ، ولا يفكر إلا فيما يرضي الله سبحانه .

روي عن زيد النحوي أنه قال : سألت الخليل بن أحمد العروضي فقلت : لِمَ هجر الناس علياً (عليه السلام) ، وقرباه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قُرباه ، وموضعه من المسلمين موضعه ، وعناؤه في الإسلام عناؤه ؟؟ .

فقال : بهرَ والله نورُه أنوارهم ، وغلبهم على صفو كل منهل ، والناس إلى أشكالهم أميل ، أما سمعت الأول يقول :

وكل شكل لشكله ألفُ أما ترى الفيلُ يألف الفيلاً

وأنشدنا الرياشي عن العباس بن الأحنف :

وقائل : كيف تهاجرتما ؟ فقلت : قولاً فيه إنصاف

لم يك من شكلي فهاجرته والناس أشكال وألّف

وقال عبد الله بن عمر لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) : كيف تحبك قريش ، وقد قتلت في يوم بدر وأحد من ساداتهم سبعين سيداً ، تشرب أنوفهم الماء قبل شفاهم ؟ .

ومن العجيب : أن علياً كان يخوض غمار الحروب بأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ولأجل الحفاظ على حياة الرسول .

الرسول : الذي كان الإسلام متمثلاً بشخصه الكريم ، ومتجسداً فيه ،
وقائماً به ، فكيف كان الناس يكرهون علياً وهو الجندي ، ولا يكرهون
الرسول وهو القائد ١٩. (١)

وهل هذه عيوب يعاب عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟ أن دفع عن
الرسول (صلى الله عليه وآله) كل المخاطر ، وافتداه بنفسه في أكثر من موقع ؟
من أجل هذا أسفت له الزهراء (عليها السلام) وتعجبت من فعلهم .

[والله ! لو مالوا عن المحجة اللائحة ، وزالوا عن قبول الحجة

الواضحة ، لردهم إليها ، وحملهم عليها]

أي أن المسلمين لو كانوا قد ولّوا قيادة الأمة مولانا ومولاهم أمير المؤمنين
وقائد الموحدين إلى جنات النعيم ، ثم مالوا وانحرفوا عن الطريق الواضح
البيّن ، لردهم إليه ، وحملهم على السير فيه ، ولم يرض منهم إلا التمسك
بجبل الله المتين ، والإعتصام بصراطه المستقيم .

روي عن سلمان الفارسي (ره) أنه خطب بعد وفاة رسول الله (صلى الله
عليه وآله) بثلاثة أيام فقال : ألا أيها الناس ! اسمعوا عني حديثي ، ثم اعقلوه
عني ، ألا وإنني أوتيت علماً كثيراً ، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل
أمير المؤمنين (عليه السلام) ، لقاتل طائفة منكم : هو مجنون ، وقالت طائفة
أخرى : اللهم اغفر لقاتل سلمان .

(١) فاطمة من المهدي إلى اللحد / ص ٤٤٥

ألا إن لكم منايا ، تتبعها بلايا .

ألا وإن عند عليّ (عليه السلام) علم المنايا والبلايا ، وميراث الوصايا ، وفصل الخطاب ، وأصل الأنساب ، على منهاج هارون بن عمران من موسى (عليهما السلام) ، إذ يقول له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أنت وصيّي في أهل بيتي ، وخليفتي في أمّتي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى ، ولكنكم أخذتم سنة بني إسرائيل ، فأخطأتم الحق ، فأنتم تعلمون ولا تعلمون .

أما والله لتركبن طبقاً عن طبق ، حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة^(١) .

أما والذي نفس سلمان بيده : لو وليتموها عليّاً لأكلتم من فوقكم ، ومن تحت أقدامكم ، ولو دعوتهم الطير لأجابتكم في جو السماء ، ولو دعوتهم الحيتان من البحار لأتكنكم ، ولما عال - أي افتقر - ولي الله ، ولا طاش^(٢) لكم سهم من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله ، ولكن أيّتم فولّيتموها غيره ، فأبشروا بالبلايا ، واقنطوا من الرخاء ، وقد نابذتكم على سواء ، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاة^(٣) .

[ولسار بهم سيراً سُجْحاً ، لا يكلم خِشاشه ، ولا يكل سائره ، ولا

يمل راكمه]

السُّجْحُ بضمّ السين : اللّين السهل .

^(١) القذة : ريش السهم ، وهو مثلّ للمتساري وغير متفارت

^(٢) أي أخطأ ومال عن الهدف

^(٣) الإحتجاج ج ١/ص ١١١

والكلم : الجرح . والخشاش بكسر الخاء : ما يجعل في أنف البعير من خشب ، ويشدّ به الزّمام ليكون أسرع لإنقياده .

ما زالت الزهراء (عليها السلام) تصف الحكم إذا كان بقيادة مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) .

فوصفته بأنه يسير بالإمامة الإسلامية سيراً سهلاً ليناً ، ليس فيه أذية ، أو كلل ، أو ملل ، أو تعبٍ لأحد .

وضربت لهم مثلاً : البعير الذي يسير سيراً مريحاً مؤنساً .

[ولأوردهم منهلاً غيراً ، صافياً رويّاً ، تطفح ضفتاه ، ولا يترنق جانباه]

المنهل : المورد ، هو عين ماء ترده الإبل في المراعي .

والنمير : هو عين الماء الذي لا ينقطع ماءها أبداً .

ورنق الماء وترنق : كدر ، وأصبح الطين على الجانبين أكثر من الماء .

أي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كالنهر الصافي ، والماء العذب الزلال ، الخير

منه مأمول ، والشر منه مأمون ، لا تنقطع بركاته ، ولا تقل خيراته .

[ولأصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً]

البطن : هو الذي عظم بطنه من الشبع .

يعني أن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، من عدله بين الناس ، ونصحه لهم ،

بالسر والعلن ، يوردهم الماء الصافي العذب ، ويسقيهم بأجمعهم ، ويشبعهم

ولا يفرق بين أحدٍ ، كما يفعل غيره من الحكام .

وهكذا يخرجهم من هذه الدار إلى الدار الآخرة سالمين .

[ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير ريّ

الناهل ، وشعبة الكافل]

التحلي : هو التزين .

والطائل : هو الغناء والمزية والسعة والفضل .

والحظ والحظوة : من الرزق .

والنائل : العطية . والناهل : العطشان .

والكافل : هو العائل الضامن ، الذي لا يأكل ، أو يصل الصيام .

الدنيا دار من لا دار له ، ويعمل لها من لا عقل له .

المؤمن يتزود من الدنيا للآخرة ، والكافر يعيش في الدنيا لها .

فأمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن يعمل للدنيا لكي يستمتع بلذاتها ،

وينعم بخيراتها ، كما يفعل الحكام من أهل الدنيا .

كان همه من الحكم أن يطبق العدالة الإجتماعية ، والمساواة الإسلامية في

الأمة ، ولا يأكل منها إلاّ كما وصفته (سلام الله عليها) من ريّ العطشان ،

وشبع المعيل الفقير المديون .

وقد قال (سلام الله عليه) عن نفسه : والله لو أعطيت الأقاليم السبع بما تحت

أفلاكها ، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت .

وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعلني
ولنعيم يفنى ، ولذة لا تبقى (١) .

[ولبان لهم : الزاهد من الراغب ، والصادق من الكاذب]

أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الميزان الذي يوزن به أعمال العباد وأفعالهم ،
ويوزن به إيمانهم وكفرهم ونفاقهم .

وقد روي في زيارته (عليه السلام) : السلام عليك يا ميزان الأعمال ...

وروى الفيروز آبادي ، في كتابه فضائل الخمسة من الصحاح الستة ،
بإسناده ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال (صلى الله عليه وآله) : لا
يجبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلا منافق شقي (٢) .

وروى بأسانيد متعددة : إن حب عليّ (عليه السلام) إيمان ، وبغضه نفاق
وكفر .

وروى أيضاً عن أبي سعيد ، أنه قال : إننا كنا نعرف المنافقين - نحن
معشر الأنصار - ببغضهم لعلّي بن أبي طالب (عليه السلام) (٣) .

فالزهراء (عليها السلام) أرادت أن تلفت النظر إلى أن سيرة الوالي الحقيقي
الذي ارتضاه الله ورسوله يتمثل بهذه الشخصية النادرة الوجود ، ألا وهو
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي لا يهمه من الدنيا إلا كزاد

(١) نهج البلاغة / خ / ٢٢٤

(٢) ج ٢ / ص ٧٩

(٣) راجع فضائل الخمسة ج ٢ / ص ٢٠٨

المسافر ، وقد قال (عليه السلام) لواليه على البصرة -عثمان بن حنيف - : ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ^(١) ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد ، فوالله ما كنت من دنياكم تبراً ^(٢) ولا ادخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا ولا حزت من أرضها شبرا ، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبيرة ^(٣) ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة ^(٤) .

هذه هي القيادة والإمارة بنظر أهل البيت (عليهم السلام) !
مواثبات ومساوات .

مثل أعلى في قمع الشهوات .

ثوبان خلقان لا يوجد غيرهما .

وقرصا شعير ، النخالة بادية فيهما ، حتى قال بعض أصحابه للخادمة -
عندما رآه يأكل - : ألا تتقون الله في هذا الشيخ ؟ .

ألا تنخلون هذا الطعام ؟ .

قالت : أمر أن لا ننخل له طعاماً ^(٥) .

^(١) الثوب الخلق البالي

^(٢) الثبر هو فتات الذهب قبل أن يصاغ

^(٣) الأتان الدبيرة : هو الحمار الذي عقر ظهره فقل أكله .

^(٤) تنوء تكون على شجر البلوط مرة المذاق / المنجد مادة عفص . راجع نهج البلاغة كتاب/٤٥

^(٥) في ظلال نهج البلاغة ج/٤ ص ١٥

[﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء

والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ ^(١)]

استدللت (سلام الله عليها) بكلامه سبحانه من أن الحاكم إذا عدل ، أسبغت

السماء بركاتها ، والأرض خيراتها ...

أما إذا كذب وفسق ، هو ومن يواليه ، فإن الله سبحانه يعذبهم بما

كسبت أيديهم ، وبما ظلموا أنفسهم .

[﴿ والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم

بمعجزين ﴾ ^(٢)]

واستدللت بآية أخرى على أن الظالمين يكون جزاؤهم من جنس عملهم ،

فالذي يزرع ظلماً وعداوة فلا بد له أن يحصد خسراناً وندامة يوم القيامة ،

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود

لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾ ^(٣)

وهكذا نجد أن الزهراء (عليها السلام) تُنذر المسلمين بعاقبة العمل الذي قاموا

به ، وأنه سيعود على الأمة الإسلامية بالظلم والانحراف عن صراط الله

القميم .

^(١) الأعراف/ ٩٤

^(٢) الرمر/ ٥٢

^(٣) آل عمران/ ٣٠

[ألا : هلمّ فاسمع ! وما عشت أراك الله عجباً !! وإن تعجب فعجب

قولهم !!]

بعد أن أنذرتهم بعاقبة عملهم ، تعجبت من فعلهم ، واستغربت ، ونادت وربما أرادت أن تسمع آذان الدنيا تعجبها واستغرابها من أفعالهم وأقوالهم .
وأخذت الشطر الأخير من كلامها من قوله تعالى : ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم إذا كُنتا تراباً أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾^(١)

[ليت شعري إلى أيّ سنادٍ استندوا ؟! . وعلى أيّ عمادٍ اعتمدوا ؟

وبأية عروة تمسكوا ؟]

كان المسلمون بعمدون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويسندون جميع شؤونهم إلى الرحي من السماء .

ولكنهم هبطوا في الإختيار من السماء إلى الأرض ، ومن العز إلى الذل ، ومن قانون الرحمن إلى قانون الشيطان .

فتمنت الزهراء (عليها السلام) أن تعلم لِمَ فعلوا بأنفسهم هذا الفعل ؟ .

إن النبي (صلوات الله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى ، والذي يخبر بوحي السماء ، عين خليفة من بعده ، وأوصى المسلمين باحترام أهل بيته ، وبحفظ موالاتهم وحقوقهم ...

^(١) الرعد/ه

ولكنهم بدّلوا وغيروا ، وانجروا وراء من لا تربطه بالرسول أي رابطة من نسبٍ أو قرابة أو نصّ إلهي .

[وعلى آية ذرية أقدموا واحتنكوا]

احتنكوا : أي استولوا .

والذرية : هم ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ما زالت تتعجب فاطمة الزهراء (عليها السلام) من فعلهم الشنيع ، وعملهم القبيح .

كيف فعلوا هذا مع ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين يرضى الله لرضاهم ، ويسخط لسخطهم .

[لبئس المولى ولبئس العشير ﴿ ﴾ . ﴿ وبئس للظالمين بدلا ﴾]

استخدمت (سلام الله عليها) آخر آيتين من كتاب الله المجيد لتدل على ضلال القوم ، وعظيم جرمهم .

قال سبحانه : ﴿ يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ (١) .

وغرض الزهراء (عليها السلام) من ذكر هذه الآية أنهم اتبعوا الذين ضرهم لأنفسهم ولغيرهم أقرب من نفعهم ، لبئس الأولياء الذين ولّوهم ،

والمناصرون الذين نصرروهم وانتصروا بهم ، ولبس الأصحاب الذين يخالطونهم ويعاشرهم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ^(١) .

وغرضها (عليها السلام) من ذكر الآية الثانية أنهم تركوا أوامر الرحمن ، وخالفوا وصاياه ، واتبعوا الشيطان وحنوده ، بئس البديل الذي استبدله الظالمون .

[استبدلوا الذنابا بالقوادم ، والعَجْزُ بالكواهل]

القوادم : هي ريشات الأجنحة عند الطائر .

والذنابا : هي الريشات التي تكون على ذنب الطائر .

والكاهل : هو ما بين الكتفين .

والعَجْزُ - بفتح العين وضم الجيم - : من كل شيء مؤخره ، ومن

الأنسان ما بين الوركين .

شبهت الزهراء (عليها السلام) الأمة الإسلامية بالطائر . وشبهت القيادة في

الإسلام بمنزلة الجناحين ، فكما أنه لا يمكن للطائر أن يطير إلا بالجناحين ،

كذلك لا يمكن للأمة أن تستقيم أمورها إذا لم تكن قيادتها واعية فطنة .

^(١) الكهف / ٥٠

فالقائد لا بد أن تتوافر فيه جميع المؤهلات ، من العلم والمعرفة ، والإيمان والتقوى ، والذكاء والفطنة ، والشجاعة والبطولة ، والحسب والنسب ... وكذلك التشبيه الآخر الذي ذكرته (سلام الله عليها) من العجز والكواهل .
فأين الثرياً من الثرى . وأين السماء من الأرض ؟ .
هل تستوي القيادة التي جاؤوا بها ، مع تلك التي اختارها لهم رب العالمين سبحانه !؟ .

لقد سنوا سنة مازال المسلمون يرزحون تحت عبئها وثقلها إلى يومنا هذا ، وإلى ما شاء الله سبحانه .
فلا أحد يفكر في اختيار القائد الأصلح والأنسب للأمة ، بل يفكر كيف يختار ما يتناسب مع مصالحه وأهوائه ، وكيف يستفيد من الظرف الذي يعيش فيه .

[فرغماً لمعاطس قوم ﴿ يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ . ﴿ ألا إنهم

هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾]

الرغم ، ورغم الأنف : هو لصقه بالتراب ، ويستعمل في الذل والهوان ، والعجز عن الانتصار .

والمعاطس جمع معطس : وهو الأنف .

والمعنى : أنها (عليها السلام) تدعو على أولئك الناس بالذل والهوان ، لأنهم يتصورون أنهم يحسنون أعمالاً وأفعالاً .

وقد استخدمت (عليها السلام) بكلامها جزءاً من قوله تعالى : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (١) .

وأخذت الشطر الآخر من كلامها من قوله تعالى في صفاة المنافقين : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ (٢) .

لقد أحسنت وأجادت ، ووضعت الآيات في مواضعها ، وطبقتها على الناس الذين يستحقونها ، إنها ابنة أبيها ، سيد البلغاء والمتكلمين ، وزوجة امير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين) .

[ويجهم ! ﴿ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون ﴾] (٣)

بعد أن بينت (سلام الله عليها) لهم خطأهم باختيار القيادة التي ليست أهلاً للإختيار ، جاءتهم ببرهان واضح ، وحجة دامغة من كتاب الله تعالى ، بأن القائد العالم ، الذي يقود الأمة إلى الحق والعدل ورضوان الله سبحانه ، هو الذي يجب اتباعه .

(١) الكهف/١٠٣/١٠٤

(٢) البقرة/١١/١٢

(٣) يونس/٣٥

وأما الذي لا يهدي ، والذي هو بحاجة إلى هداية ، وإلى من يقومه
ويصلحه ، فحرام اتباعه ، والخضوع إلى قيادته .

وقد ورد عن أبي بكر أنه قال عندما تولى الخلافة : إنني وُلِّيتُ عليكم
ولستُ بخيركم ، فإن رأيتُموني على الحق فأعينوني ، وإن رأيتُموني على
الباطل فسدّدوني .

وقوله : ... أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً ،
ولو ددت أن فيكم من يكفيني ، أفتظنون أنني أعمل فيكم بسنة رسول الله ؟
إذن لا أقوم بها ! .

إن رسول الله كان يعصم بالوحي ، وكان معه ملك ، وأن لي شيطاناً
يعتريني ، فإذا غضبتُ فاجتنبوني أن لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم ، ألا
فراعوني فإن استقمتم فأعينوني ، وإذا زغت فقوموني ^(١) .

هذا ما يقوله أبو بكر عن نفسه ؛ فما الرأي فيمن قال عمر بن الخطاب
عنه ، عندما سئل عمّن سيولي الخلافة من بعده ؟ .

وذكر أصحاب الشورى كلّ بصفته ، وعندما وصل إلى أمير المؤمنين (عليه
السلام) قال : وأما أنت يا علي فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض
لرجحتهم ، فقام علي مولياً .

^(١) تلميح الشافعي ج ٢/ص ٩ . عن مسند أحمد ، والرياض النظرية ، وكثر العماء ، وطبقات ابن سعد ، والإمامة
والسياسة ، وتاريخ الطبري ، وسيرة ابن هشام ، وعيون الأخبار ، والعقد الفريد ، وتاريخ السيوطي ، والسيرة
الحلبية وشرح النهج لابن أبي الحديد وغيرها من المصادر .

فقال عمر : والله إني لأعلم مكان رجل لو وليتموها إياه لحملكم على المحجة البيضاء ، قالوا : من هو ؟ .
قال : هذا المولّي من بينكم ، قالوا : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : ليس إلى ذلك سبيل ^(١) .

[أما : لعمرى ! لقد لقحت ، فنظرة ريثما تنتج]

إن الله سبحانه خلق الخلق ، وشرّع لهم القوانين ليسيروا عليها .
ونبههم إلى أن كل شيء تكون عاقبته من جنس عمله .
عندما تكون العدالة مطبقة من الحكام ، تجد الخير يعم الجميع .
وعندما ترى أن الفضيلة والأخلاق الحسنة ، والمعاملة بالمثل - أحب
لأخيك ما تحبه لنفسك - سائدة في المجتمع ، تجد الأمة تعيش في رفاه وعز
وإحترام .

أما إذا لم يحترموا قوانين الله في الأرض ، وسادت بينهم الفوضى وحب
الذات فالله يبتليهم من جنس عملهم .
فهذه الأيام يعيش العالم الأميركي والغربي ، وحتى الشرقي أيضاً ، بحالة
من الخوف والرعب والهلع من المرض الفتاك الذي نزل بساحتهم ، ألا وهو
- السيدا أو الإيدز - أي فقدان المناعة المكتسبة في الجسم .
لقد أباحوا لأنفسهم الجنس ، وسموا ذلك حرّية ، فابتلاهم الله سبحانه
من نفس المكان الذي تجرّوا به عليه ، وعلى قانونه في الأرض .

(١) تلخيص الشافعي ج ٤/ص ٣٨ نقلاً عن شرح ابن أبي الحديد ج ٣/ص ١٧٠ ط مصر .

فالزهراء (عليها السلام) أشارت بقولها للنسوة : إن ما فعله الصحابة من الإنحراف والجرأة على حرمة الخلافة - وهذا ما أسمته باللقاح - ولا بد للقاح من النتاج ، سوف يكون نتاجه وصول أمثال يزيد بن معاوية إلى الحكم ، الذي أباح المدينة ثلاثة أيام للجند يفعلون بها ما يشاؤون ، ويعملون بها ما يريدون ، وسميت وقعة الحرة ، وهدم الكعبة بالمنجنيق ، وقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه .

وغيره من ولاة بني أمية ، وبني العباس الذين لم يتركوا مثلبة إلا وفعلوها ، أو حرمة إلا وهتكوها ، وأصبح الإسلام إسماً بلا محتوى ، والقرآن رمزاً بلا تفسير ، أو عمل به .

[ثم احتلبوا ملاً القعب دماً عبيطاً ، وذعافاً مييداً]

جعلت (سلام الله عليها) الخلافة مثل الناقة .

فالناقة عندما يجلبونها يستفيدون من حليبها .

وأما الخلافة التي اغتصبوها ، وعن طريق الحق حرفوها ، فسوف يكون نتاجها الدم ، والقتل ، والظلم ، والتسابق إلى الدنيا ، وإلى المناصب العالية بإسم الدين والحفاظ على رسالة رب العالمين .

والقعب : هو قدح من خشب يروي الرجل من العطش .

والعبيط : هو الطري . والزعاف : هو السُم . والمييد : هو المهلك .

إذن تحمّل فاطمة الزهراء (عليها السلام) مسؤولية الدماء التي سفكت ، والتي ستسفك في الإسلام ، إلى أولئك الذين حرّفوا الخلافة عن المسار الذي أراده الله لها ، وغيروا وبدلوا حسب ما تملي عليهم أهواؤهم وشهواتهم .

هذا معاوية قام ليطالب بدم عثمان ، وهي ذريعة تذرّع بها ليصل إلى الحكم ، فكانت معركة صفين ، وقد قتل فيها تسعون ألف رجل .

وبعدما وقعة النهروان : وقتل فيها أربعة الآف .

ثم خرج بسر بن أرطأة من الشام وقصد المدينة ومكة واليمن وفي طريقه كان يقتل الناس ، حتى قتل من شيعة علي في اليمن وغيره ثلاثين ألف مسلم وكان قد قُتل في معركة الجمل الذي قادت حربه عائشة : خمس وعشرون ألف إنسان .

هل يحق لنا أن نعرف من المسؤول عن هذه الدماء ؟.

[هنالك يخسر المبتلون ، ويعرف التالون غبّ ما أسسه الأولون]

قال الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد : ﴿ .. فإذا جاء أمر الله قُضي بالحق وخسر هنالك المبتلون ﴾ (١) .

وقال عز وجل في آية أخرى : ﴿ والله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبتلون ﴾ (٢) .

أخذت الزهراء (عليها السلام) خسارة أهل الباطل من كلام الله تعالى .

(١) غافر/ ٧٨

(٢) الجاثية / ٢٧

وعندها يعرف التالون : وهم الذين يأتون من الأمم اللاحقة ، ويرون الجرائم ، والمظالم ، وهتك الحرمات ، فيعرفون فظاعة وشناعة ما ارتكبه الأولون .

وهم صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، الذين يعتبرونهم كلهم عدول !.

[ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً ، واطمئنوا للفتنة جأشاً]

يقال : طب نفساً : أي اسكن واهداً عن القلق .

كما يقال للظالم المعتدي : قرّت عينك ، أو بشراك ، وأيضاً فلتسكن للفتنة نفوسكم ، وليهدأ إليها بالكم !.

وهذا الكلام يراد به العكس ، لأن النفس لا تطمئن ، ولا تطيب ، أو تستريح بالظلم والإعتداء .

[وأبشروا بسيفٍ صارمٍ ، وسطوةٍ معتدٍ غاشمٍ]

هذه البشارة التي بشرتهم بها الزهراء (عليها السلام) ، هي على غرار قوله تعالى : ﴿ فبشرهم بعذابٍ أليمٍ ﴾ ^(١) ويكون جزاؤهم من جنس عملهم . هذه السنة التي سننتموها ، وهذه البدعة التي ابتدعتموها ، ستكون على الأمة سيفاً صارماً ، وحداً قاطعاً ، وسطوةً وقوةً من المعتدين الذين لا يعقلون وليس في قلبهم رحمة فيرحمون .

^(١) آل عمران/ ٢١ والتوبة/ ٣٤ والإنشاق/ ٢٤

[وهرج شامل ، واستبداد من الظالمين]

أي وتكون فتنة شاملة ، وتفرد بالرأي من الحكام الظالمين ، بحيث لا تنفع معهم موعظة ، ولا تؤثر فيهم نصيحة .

[يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً]

أي من كثرة ظلم الحكام ، واعتدائهم على الشعب ، وأكل خيرات الأمة بالظلم والغلبة ، تكون الغنائم التي تصلهم قليلة زهيدة ، لشدة إسرافهم وتبذيرهم في سبيل شهواتهم وملذاتهم .

ولن تستطيعوا أن تغيروا شيئاً من الواقع لأن أيّ اجتماع ضدهم سيبيء بالفشل ، وسيقتلونكم ، ويحصدونكم حصد الزرع اليابس .

[فياحسرة لكم ، وأنى بكم !؟]

بدأت (سلام الله عليها) تتحسر على الوضع الذي سيصل إليه المسلمون نتيجة للخطأ الذي ارتكبه ، وللمسار الذي سارت فيه الأمة ، من جعل الخلافة في الأيدي الأثيمة الظالمة .

وأخذت تأسفها من قوله تعالى : ﴿ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن ﴾ ^(١) .

^(١) يس/٣٠

[﴿ وقد عُمِّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾]^(١)

وختمت كلامها (سلام الله عليها) مع النساء باستخدامها هذه الآية ، وهي تشعرهن بأن القضية بإختيار المسلمين ، وليسوا مجبورين على شيء .
فقد اختلط عليهم علمها ، واشتبه أمرها ، وربما تصوروا أن المسألة عادية ليس فيها ذاك الخطأ الكبير : أن يستبدلوا والياً مكان والٍ ، أو خليفةً مكان خليفة .

ولكن الفرق بين ، والبون شاسع ، كالفرق بين الحق والباطل ، أو بين السماء والأرض .

وليس للناس أن تختار خلاف ما اختاره الله سبحانه ورسوله (صلى الله عليه وآله) .

قال تعالى : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾^(٢) .
وقال سبحانه أيضاً : ﴿ وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾^(٣) .

إذن تأسفت سيدة النساء (سلام الله عليها) لما سيجري على الأمة ، وقالت :
إنهم عُمِّيت عليهم الحقيقة ، ولا نلزمكم إياها وأنتم لها كارهون .
قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها (عليها السلام) على رجالهن ، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار ، معتذرين . وقالوا :

(١) مود/٢٨

(٢) القصص/٦٨

(٣) الأحزاب/٣٦

[ياسيدة النساء ! لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن

يرم العهد ، ويُحکم العقد لما عدلنا إلى غيره !!!]

ما هذه المراوغة البيّنة ، والنفاق الصريح ؟.

لِمَ لم ينقضوا بيعتهم لأبي بكر ، مع أنها كانت خدعة ، وفي جلسة من الزمن ، والناس في حالة ذهول لوفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟!

ولِمَ نقضوا بيعتهم يوم الغدير التي كانت بأمر من الله تعالى ، وبحضور من رسوله الكريم ؟.

وكيف نسوا ، أو تناسوا ، الرصايا التي ملأت بطون الكتب - في هذا الزمان ^(١) - والتي تؤكد على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وماذا كان عليه أن يفعل !؟.

هل يترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) مسجى بلا تجهيز ، ويذهب ينازعهم الخلافة !؟. حقاً إنهم لا يعقلون !.

لهذا علمت (سلام الله عليها) نفاقهم وزيفهم ، وعدم جدوى الكلام معهم فطردتهم ، ولم تقبل منهم أي عذر فقالت :

[إليكم عني ، فلا عذر بعد تعذيركم ، ولا أمر بعد تقصيركم]

أي ليس لكم أي عذر بعد أن حصل منكم التقصير ، وقد بُيّن لكم كل الأمور ، ولكنكم ما زلتم على ما أنتم عليه من الغدر والخيانة .

^(١) أمثال الشافعي لعلم الهدى الشريف المرتضى ، وتلميذه لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي ، والغدير للشيخ الأمين ودلائل الصدق للشيخ المفطر ، وغيرها من المصادر

عيادة الشيخين للزهراء (عليها السلام)

في حال مرضها

بعد أن اشتهرَ وذاع بين المسلمين أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) مريضة ، وقد لازمت الفراش ، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر : انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها .

فانطلقا جميعاً ، فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما .

فأتيا عليّاً فكلماه ، فأدخلهما عليها ، فلما قعدا عندها ، حولت وجهها إلى الحائط ، فسلما عليها ، فلم ترد عليهما السلام .

فتكلم أبو بكر ، فقال : يا حيية رسول الله ! والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي ! وإنك لأحب إليّ من عائشة إبنتي !.

ولوددت يوم مات أبوك أني متٌ ولا أبقى بعده ! أفتراني أعرفك ، وأعرف فضلك وشرفك ، وأمنعك حقلك ، وميراثك من رسول الله !؟ .

إلاّ أني سمعت أباك رسول الله يقول : لا نورث ما تركناه صدقة .

فقالت (سلام الله عليها) : رأيتهما أن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله

عليه وآله) تعرفانه ، وتفعلان به ؟ .

فقالا : نعم ، قالت : نشدتكما الله ! ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه

وآله) يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن

أحب فاطمة إبنتي فقد أحببني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن

أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ .

قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ! .

قالت : فإنني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطماني وما أرضيتماني ،
ولعن لقيت النبي (صلى الله عليه وآله) لأشكونكما إليه .

فقال أبو بكر : أنا عائد بالله تعالى من سخطه ومن سخطك يا فاطمة !
ثم انتحب أبو بكر يبكي ، حتى كادت نفسه تزهق ، وهي - أي فاطمة -
تقول : والله لأدعونّ عليك في كل صلاة أصليها .

ثم خرج أبو بكر باكياً ، فاجتمع الناس إليه فقال لهم : بييت كل رجل
معانقاً حليلته ، مسروراً بأهله ، وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في
بيعتكم ، أقبلوني بيعتي ^(١) .

أقول : إنا نعلم أن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ، كانت فطنة جداً لذا لم
تُخدع بهذه الزيارة المشبوهة ، التي يرمي الشيخان من خلالها ، ذرّ الرماد في
عيون المسلمين وخديعتهم .

إنها لم تردّ عليهما السلام لأنه لا سلم بينها وبين من غصبها حقها
وسلبها إرثها ، وتجراً على غضب الخلافة ، وعلى الكذب والتزوير والإفراء
والإعتداء عليها بالضرب والتكذيب .

وهي لم تجادلها أو تحاجّهما ...

بل ساقتهما إلى الإعراف بأمرين اثنين : أولهما بأنها لا تكذب ولا يمكن
أن تكذب .

وثانيهما بأن ما ستقوله لهما كانا قد سمعاه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)
وبأنهما موافقين على نصّه ومضمونه .

^(١) الغدير ج ٧/ص ٢٢٩ عن الإمامة والسياسة ، وأعلام النساء ، ومثله ما في البحار ج ٤٣/ص ٢٠٣ ، وعلل الشرايع

بعدها فجّرت غضبها عليهما ، إلى يوم الدين ، حيث سيكون الله جل جلاله والنبي وآله (صلى الله عليه وآله) أخصامهما .

وللجاحظ كلام في ظلم الزهراء (عليها السلام) ، وفي ذهاب الشيخين لعيادتها وإسترضائها .

ففي رسائله /ص ٣٠٠ قال : وقد زعم أناس أن الدليل على صدق خبرهما - يعني أبا بكر وعمر - في منع الميراث ، وبراءة ساحتهما ؛ ترك أصحاب رسول الله (ص) النكير عليهما !..

قد يقال لهم : لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ، أنّ ترك المتظلمين والمحتجّين عليهما والمطالبين لهما دليل على صدق دعواهم ، أو استحسان مقالتهن ، ولا سيّما وقد طالت المناجاة ، وكثرت المراجعة والملاحاة ، وظهرت الشكاية ، واشتدّت الموجدة ، وقد بلغ ذلك من فاطمة -عليها السلام - أنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر .

ولقد قالت له حين أتته مطالبة بحقها ، ومحتجة لرهطها : من يرثك يا أبا بكر إذا متّ ؟.

قال : أهلي وولدي ! قالت : فما بالناس لا يرث النبي (ص) ؟.

فلما منعها ميراثها ، وبخسها حقها ، واعتلّ عليها ، وجلح أمرها ، وعانيت التهضّم ، وأيست من التورّع ، ووجدت نشوة الضعف ، وقلة الناصر ، قالت : والله لأدعونّ الله عليك .

قال : والله لأدعونّ الله لك .

قالت : والله لا كلّمك أبداً .

قال : والله لا أهجرك أبداً .

فإن يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعها ، أن في ترك النكير على فاطمة دليلاً على صواب طلبها ؟ .

وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت ، وتذكيرها ما نسيت ، وصرفها عن الخطأ ، ورفع قدرها عن البذاء ، وأن تقول هجراً ، وتجوّر عادلاً ، أو تقطع واصلاً ، فإذا لم نجدهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور ، واستوت الأسباب ، والرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم ، وأوجب علينا وعليكم .

فإن قالوا : كيف تظن به ظلمها وتعدى عليها ؟ وكلما ازدادت عليه غلظة ، ازداد لها ليناً ورقة .

حيث تقول له : والله لا أكلمك أبداً . فيقول : والله لا أهجرك أبداً . ثم تقول : والله لأدعون الله عليك . فيقول : والله لأدعون الله لك . ثم يتحمل منها هذا الكلام الغليظ ، والقول الشديد في دار الخلافة ، ومحضرة قريش والصحابة ، مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه ، وما يجب لها من الرفعة والهيبة ، ثم لم يمنعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرباً ، كلام المعظم لحقها ، المكبر لمقامها ، الصائن لوجهها ، المتحنن عليها : ما أحد أعز عليّ منك فقراً ، ولا أحب إليّ منك غنىً ، ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول : إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

قيل لهم : ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم ، والسلامة من الجور ، وقد بلغ من مكر الظالم ، ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم ، وذلة المنتصف ، وحرب الواثق ، ومقت المحقّ .

وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة ، ودلالة واضحة ؟.

وقد زعمتم أن عمر قال على منبره : متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) : متعة النساء ومتعة الحج ، أنا أنهى عنهما ، وأعاقب عليهما ، فما وجدتم أحداً أنكر قوله ، ولا استشنع مخرج نهيه ، ولا خطأه في معناه ، ولا تعجب منه ، ولا استفهمه .

وكيف تقضون بترك النكير ؟ وقد شهد عمر يوم السقيفة ، وبعد ذلك أن النبي (ص) قال : الأئمة من قريش ، ثم قال في شكايته : لو كان سالم حياً ما تخالجتني فيه الشك ، ^(١) حين أظهر الشك في استحقاق كل واحد من الستة الذين جعلهم شوري ، وسالم عبد لإمرأة من الأنصار ، وهي أعتقته ، وحازت ميراثه ، ثم لم ينكر ذلك من قوله منكرٌ ، ولا قابل إنسان بين قوله ولا تعجب منه ، وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده ، دليلاً على صدق قوله ، وصواب عمله .

فأمّا ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة ، والأمر والنهي ، والقتل والإستحياء ، والحبس والإطلاق فليس بحجة تشفي ، ولا دلالة تضيء انتهى كلام الجاحظ ^(٢) .

^(١) أي أن سالمًا هذا ليس قرشيًا !

^(٢) الغدير ج ٧/ص ٢٢٩/٢٣١ ، وتلخيص الشاني ج ٣/ص ١٥٠/١٥٤

من قصيدة للأديب السيد عباس المدرسي

كفاني حزناً لا تثيرنّ ما ييا ولا تكشف الجرح المعتق ثانيا
 بصائر فتح في الضمير شعاعها ترى الدهر دواراً على الغدر طاويا
 فإن كنت لا تبصر من الشمس ضوءها فلا تك للشمس المضيئة عاديا
 أرى الحق يهدي إن ملكت بصيرة وليس لأعمى القلب والفكر هاديا
 هي الشمس تأبى أن تعود إلى الورا ولا الليل يهدي للطريقة ساريا
 مريضك لا يشفيه طب ومرهم إذا كان يأبى للشفاء التداويا
 دع العين تبكي في المصاب ولا تسل سيغنيك عن كشف السريرة حاليا
 سل الناس عن أهل المدينة سرها وإن شئت فاسأل عن أراكة ثانيا
 وعن بيت أحزان المدينة حزنها ودمع جرى منها ولا زال جاريا
 سل الدار عما قد جرى عند بابها وعن أهل بيت جرّعوها المآسيا
 وسل ليلة تخفى الجروح بمتنها ونعشاً على كف الأحبة عاليا
 ألا أيها الماضون بالنعش مهلة فما بعد هذا اليوم أرجو تلاقيا
 وعرج على بيت البتولة فاطم فإن أنين الدار يكفيك هاديا
 بكاء علي واليتامى بجنبه فله من باك يواسي البواكيا
 ألا آجر الله الوصي بليلة وقد دس في عمق التراب الأمانيا
 رنا نحو قبر المصطفى وهو يشتكي يعيد إليه للوديعة ثانيا
 وأعدت يا خير الأنام وديعتي ولكنها عادت وليست كما هيا
 ستعرف عن مكسورة الضلع ماجرى وتعرف عن مسودة المن ما ييا

الويل لمن غضبت عليه فاطمة (عليها السلام)

روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ^(١)

عن سلمان أنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا سلمان ! من أحب فاطمة إبنتي فهو في الجنة معي ، ومن أبغضها فهو في النار .
يا سلمان ! حُب فاطمة ينفع في مائة من المواطن ، أيسر تلك المواطن : الموت ، والقبر ، والميزان ، والمحشر ، والصراط ، والمحاسبة .
فمن رضيته عنه إبنتي فاطمة رضيته عنه ، ومن رضيته عليه ، رضي الله عنه ، ومن غضبت عليه إبنتي فاطمة غضبت عليه ، ومن غضبت عليه ، غضب الله عليه .

يا سلمان ! ويل لمن يظلمها ، ويظلم بعلمها أمير المؤمنين علياً ، وويل لمن يظلم ذريتها وشيعتها ^(٢) .

وروى في كشف الغمة ^(٣)

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : دخلت فاطمة (عليها السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في سكرات الموت ، فانكبت عليه تبكي ، ففتح عينه وأفاق ؛ ثم قال : يا بنيّة ! أنت المظلومة بعدي ، وأنت المستضعفة بعدي ، فمن آذاك فقد آذاني ، ومن غاظك فقد غاظني ! ومن سرك فقد

^(١) /ص ٣١٤ ط النجف الأشرف

^(٢) /ص ٢١ ج ١ فاطمة ج ١/ص ٢١

^(٣) ج ٢/ص ٥٨

سرنبي ، ومن برّك فقد برّني ، ومن جفاك فقد جفاني ، ومن وصلك فقد وصلني ، ومن قطعك فقد قطعني ، ومن أنصفك فقد أنصفتني ، ومن ظلمك فقد ظلمني ، لأنك مني ، وأنا منك ، وأنت بضعة مني ، وروحي التي بين جنبي .

ثم قال : إلى الله أشكر ظالميك من أمي (١) .

وروى في كتاب فرائد السمطين

باسناده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) - من حديث طويل - أنه قال : الحسن والحسين إماما أمي بعد أبيهما ، وسيدا شباب أهل الجنة ، وأمهما سيدة نساء العالمين ، وأبوهما سيد الوصيّين ، ومن ولد الحسين تسعة أئمة ، تأسعهم القائم من ولدي ، طاعتهم طاعتي ، ومعصيتهم معصيتي ، إلى الله أشكر المنكرين لفضلهم ، والمضيّعين لحرمتهم بعدي ، وكفى بالله وليّاً وناصراً لعزّتي ، وأئمة أمي ، ومنتقماً من الجاحدين حقهم ...

ثم قرأ (صلى الله عليه وآله) قوله تعالى : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ﴾ (٢) .

وروى في كنز العمال (٣) بإسناده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال إنّ لكل بني أبي عصبه ينتمون إليها ، إلّا ولد فاطمة ، فأنا وليّهم وأنا

(١) البحار ج ٢٨/ص ٧٦

(٢) فاطمة الزهراء في القرآن /ص ١٧٩ والآية ٢٢٧/ الشعراء

(٣) ج ٦/ص ٢١٦

عصبتهم ، وهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ويل للمكذابين بفضلهم ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله (١) .

وروى في شواهد التنزيل

باسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسمعتُه يقول : من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً ! .

قال جابر : قلت : يا رسول الله ! وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ؟ .
فقال (صلى الله عليه وآله) : نعم وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم (٢) .

وروى في كتاب المسند

المعروف (بإبن أخي تبوك) بإسناده عن شريك بن عبد الله ، قال : كنت عند الأعمش وهو عليل ، فدخل عليه أبو حنيفة وإبن شبرمة ، وإبن أبي ليلى ، فقالوا له : يا أبا محمد ! إنك في آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة ، وقد كنت تحدث في فضائل علي بن أبي طالب بأحاديث فُتِبَ إلى الله منها .

فقال الأعمش : أسندوني أسندوني ، فأسند فقال : حدثنا أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إذا

(١) فاطمة الزهراء في القرآن /ص/ ٢٢٤ ، وفضائل الخمسة ج ٢/ص ٢٨

(٢) فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج ٢/ص ٢٨ ، وفاطمة الزهراء في القرآن /ص/ ٢٢٤ ، وإعلموا أنني فاطمة

كان يوم القيامة قال الله تعالى لي ولعليّ : ألقيا في النار من أبغضكما ،
وأدخلنا في الجنة من أحبكما .

فذلك قوله تعالى : ﴿ ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾ (١) .

قال أبو حنيفة للقوم : قوموا ! لا يحجىء أشد من هذا .

وزاد العلامة البحراني (ره) في غاية المرام في معنى الآية فقال : فالكفار
من جحد نبوتّي ، والعنيد من عاند عليّاً وأهل بيته وشيعته (٢) .

وروى في غاية المرام

عن الفقيه الحنفي ، موفق بن أحمد الخوارزمي ، بإسناده عن يزيد بن تبيع
قال : سمعت أبا بكر يقول : رأيت رسول الله - (صلى الله عليه وآله) - خيّم
خيمة وهو متكئ على قوس عربية ، وفي الخيمة : عليّ ، وفاطمة ، والحسن
والحسين ، - (عليهم السلام) - ثم قال : يامعشر المسلمين ! أنا سلم لمن سالم
أهل الخيمة ، وحرب لمن حاربهم ، ووليّ لمن والاهم ، وعدوّ لمن عاداهم
لا يجبههم إلا سعيد الجد ، طيب المولد ، ولا يبغضهم إلا شقي الجد ، رديّ
المولد .

فقال رجل : يا يزيد ! بالله أنت سمعت هذا من أبي بكر ؟ قال : أيّ
ورب الكعبة ! .

(١) ق / ٢٤

(٢) فاطمة الزهراء في القرآن/ص/٢٦٢/٢٦٣

أقول : ^(١) القرآن الحكيم قسّم الناس إلى قسمين : سعيد وشقيّ ، بقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ﴾ ^(٢) .

ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بنص هذه الرواية ، ونقل أبي بكر لها حصر السعداء بأداة الحصر - ما ، وإلا - فيمن يحب فاطمة الزهراء ، وأباها ، وبعلمها ، وبنيتها .

فالآية الشريفة غير منطبقة إلاّ عليهم (صلوات الله عليهم أجمعين) ^(٣) .

^(١) هذا القول لصاحب كتاب فاطمة الزهراء في القرآن

^(٢) هود / ١٠٥ / ١٠٨

^(٣) فاطمة الزهراء في القرآن / ص ١٠٦

من قصيدة للشيخ قاسم الملا الحلبي

ولقد يعزُّ على رسول
 قد ماتَ فانقلبوا على
 منعوا البتولة أن تنوحَ
 نعش النبي أمامهم
 لم يحفظوا للمرتضى
 لو لم يكن خير الورى
 قد أطفأوا نور الهدى
 أسدُ الإله كيف قد
 في أيِّ حكمٍ قد أباحوا
 بيت النبوة بيئتها
 أذن الإله برفعه
 بأبي وديعة أحمد
 عاشت معصبة الجبين
 حتى قضت وعيونها
 وأمضت خطب في حشى الإ
 بالليل واراها الوصي

الله ما جنت الصحابه
 الأعقاب لم يخشوا عقابه
 عليه أو تبكي مصابه
 ووراءهم نبذوا كتابه
 رحم النبوة والقرايه
 بعد النبي لما استتابه
 مذ أضرموا بالنار بابه
 ولجت ذئاب القوم غابه
 إرث فاطم واغتصابه
 شادت يد الباري قبابه
 والقوم قد هتكوا حجابه
 جرعا سقاها الظلم صابه
 تمن من تلك العصابه
 عبرى ومهجتها مذايه
 سلام قد أورى التهابه
 وقبرها عفى ترابه

وفاة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء

(عليها السلام)

وعيادة العباس بن عبد المطلب لها

روى الشيخ الطوسي (ره) في أماليه بإسناده عن عمار بن ياسر أنه قال :
 لما مرضت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) - مرضتها التي توفيت
 فيها - وثقلت : جاءها العباس بن عبد المطلب عائداً ، فقيل له : إنها ثقيلة
 وليس يدخل عليها أحد ، فانصرف إلى داره وأرسل إلى عليّ (عليه السلام) فقال
 لرسوله : قل له : يا بن أخ ! عمك يقرؤك السلام ويقول لك : لله فجانني
 من الغم بشكاة حبيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقرّة عينيه وعيشتي فاطمة
 ما هدّني ، وإني لأظنها أولنا لحوقاً برسول الله (صلى الله عليه وآله) ، يختار لها
 ويحبرها ويزلفها لربه ، فإن كان من أمرها ما لا بد منه ، فأجمع - أنا لك
 الفداء - المهاجرين والأنصار حتى يصيبوا الأجر في حضورها والصلاة عليها
 وفي ذلك جمال للدين .

فقال عليّ (عليه السلام) لرسوله وأنا حاضر عنده : أبلغ عمي السلام ، وقل
 لا عدمت إشفاقك وتحيّتك ، وقد عرفت مشورتك ، ولرأيك فضله ، إن
 فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تنزل مظلومة ، من حقها ممنوعة ،
 وعن ميراثها مدفوعة ، لم تحفظ فيها وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا
 رعي فيها حقه ، ولا حق الله عز وجل ، وكفى بالله حاكماً ، ومن الظالمين

منتقماً ، وأنا أسألك ياعمّ أن تسمح لي بتذك ما أشرت به فإنها وصتني بسبّ امرها .

قال : فلما أتى العباس رسوله بما قال علي (عليه السلام) قال : يغفر الله لابن أخي ! فإنه مغفور له ، إن رأي ابن أخي لا يطعن فيه ، إنه لم يولد لعبد المطلب مولود أعظم بركة من عليّ إلاّ النبي (صلى الله عليه وآله) .
 إن عليّاً لم ينزل أسبقهم إلى كل مكرمة ، وأعلمهم بكل فضيلة ، وأشجعهم في الكريهة ، وأشدهم جهاداً للأعداء في نصره الحنيفية ، وأوّل من آمن بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله) ^(١) .

نعيت إلى الزهراء نفسها :

بعد أن اشتد عليها المرض ، وأخذ الهزل من جسمها كل مأخذ ، رأت فاطمة الزهراء (عليها السلام) أباه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحلم ، ولعل تلك المرة هي الأولى والأخيرة التي رأت أباه في الحلم .
 وقد رآته في قصر من الدر الأبيض ، فلما رآها قال (صلى الله عليه وآله) : هلمي إليّ يا بنيّة ! فإنني إليك مشتاق !! فقالت : والله إنني لأشد شوقاً منك إلى لقاءك . فقال لها : أنت الليلة عندي !! ^(٢)

بعد أن تأكّدت (سلام الله عليها) من مفارقتها للدنيا سريعاً ، أوصت زوجها أمير المؤمنين (عليه السلام) بوصاياها ، وما أهمها ، من أمر أولادها وغسلها ونعشها ، وغيرها من الأمور الخاصة .

^(١) البحار ج ٤٣ / ص ٢٠٩

^(٢) فاطمة . من المهد إلى اللحد / ص ٦٠٤

ثم قالت : أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني ، وأخذوا حقي ، فإنهم عدوي وعدو رسول الله (صلى الله عليه وآله) .
ولا تزك أن يصلي عليّ أحد منهم ، ولا من أتباعهم ، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ، ونامت الأبصار . ثم توفيت (صلوات الله عليها وعلى آيها وبعليها ربنيها) .

فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة ، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخوا صرخة واحدة ، وكادت أن تتزعزع المدينة من صراخهن ...
واجتمع الناس فجلسوا وهم يضحون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلون عليها .

وخرج أبو ذر وقال : إنصرفوا فإن إبنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أخرجت إخراجها في هذه العشية ، فقام الناس وانصرفوا .

فلما هدأت العيون ، ومضى شطر من الليل أخرجها عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) ، وعمار ، والمقداد ، وعقيل ، والزبير ، وأبو ذر ، وسلمان ، وبريدة ، ونفر من بني هاشم ، وخواصه ، وصلوا عليها ، ودفنوها في جوف الليل ، وسوى عليّ (عليه السلام) حوالها قبوراً مزورة ... حتى لا يُعرف قبرها (١) .

ولنا أن نلاحظ : أن أولئك الناس يوم وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعرضوا عن دفنه ، وشككوا في موته ، وتلهوا عنه مدة ثلاثة أيام .

(١) البحار ج ٤٣ / ص ١٩٢ عن روضة الواعظين

أمّا في وفاة الصديقة الزهراء (عليها السلام) فلقد حضروا في اليوم الأول ، بل من الساعة الأولى من وفاتها ، وانتظروا القيام بواجب الصلاة والدفن .
فما شغلهم عن دفن الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله) ياترى !؟^(١) .
وقد دفن أمير المؤمنين (عليه السلام) فاطمة الزهراء (عليها السلام) بالروضة ، وعمي موضع قبرها .

وأصبح البقيع ليلة دفنت وفيه أربعون قبراً جديداً ، وأن المسلمين لما علموا دفنها جاؤا إلى البقيع فوجدوا فيه أربعين قبراً ، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور ، فضج الناس ولام بعضهم بعضاً وقالوا : لم يَخْلَف نبيكم فيكم إلا بنتاً واحدة ، تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها ، ولا تعرفون موضع قبرها .

ثم قال ولادة الأمر منهم : هاتم من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها ، فنصلي عليها ، ونزور قبرها .
فبلغ ذلك أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فخرج مغضباً ، قد احمرت عيناه ، ودرّت أوداجه ، وعليه قباه الأصفر ، الذي كان يلبسه في كل كراهية ، وهو متوكيء على سيفه ذي الفقار ، حتى ورد البقيع .

فسار إلى الناس النذير وقالوا : هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه يقسم بالله لئن حوّل من هذه القبور حجرٌ ليضعنّ السيف على غابر الآخر .

^(١) راجع وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) من أول هذا الكتاب ، لتعرف كيف تركوا النبي (صلى الله عليه وآله)

مسحى ثلاثة أيام وتلهوا بالبيعة واختيار خليفة لهم .

فتلقاه عمر ومن معه من أصحابه وقال له : ما لك يا أبا الحسن ! والله لننبشَنَّ قبرها ، ولنصلِّينَّ عليها ، فضرب علي (عليه السلام) بيده إلى جوامع ثوبه فهزّه ، ثم ضرب به الأرض وقال له : يا ابن السوداء ! أمّا حقي فقد تركته مخافة أن يرتد الناس عن دينهم ، وأمّا قبر فاطمة فالذي نفس عليّ بيده ! لئن رمت وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم ، فإن شئت فأعرض يا عمر ! .

فتلقاه أبو بكر فقال : يا أبا الحسن بحق رسول الله ، وبحق من فوق العرش إلاّ خلّيت عنه ، فإنّا غير فاعلين شيئاً تكرهه ، قال : فخلّى عنه وتفرق الناس ، ولم يعودوا إلى ذلك ^(١) .

وهنا لا بد من سؤال يطرح نفسه : لماذا وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) من أجل نبش قبر الزهراء (عليها السلام) هذا الموقف البطولي ، ولم يقف أيّ موقف مماثل عندما غضبوا الخلافة ، وظلموها (عليها السلام) بأخذ إرثها ، ونخلتها ، وهجموا على دارها وأحرقوه ، وضربوها وكسروا ضلعها ، وأسقطوا جنينها ، وغيرها من المآسي التي نزلت بها (سلام الله عليها) ١٩ .

وقد كفانا مؤنة الجواب عن ذلك سماحة العلامة المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين بقوله : فدعاه النظر للدين إلى الكف عن طلب الخلافة والتجافي عن الأمور ، علماً منه أن طلبها والحال هذه ، يستوجب الخطر

^(١) البحار ج ٤٣/ص ١٧١ عن دلائل الإمامة للطبري .

للأمة ، والتغريير في الدين ، فاختر إيثار الإسلام ، وتقديماً للصالح العام ،
وتفضيلاً للآجلة على العاجلة .

غير أنه قعد في بيته - ولم يبايع حتى أخرجوه كرهاً - إحتفاظاً بحقه ،
وإحتجاجاً على من عدل عنه ، ولو أسرع إلى البيعة ما تمت له حجة ، ولا
سطع له برهان ، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين ، والإحتفاظ بحقه من
إمرة المؤمنين ، فدلّ هذا على أصالة رأيه ، ورجاحة حلمه ، وسعة صدره ،
وإيثاره المصلحة العامة .

ومتى سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل ، والأمر الجزيل ، ينزل
من الله تعالى بغاية منازل الدين ، وإنما غايته مما فعل أربح الحالين له ، وأعود
المقصودين عليه ، بالقرب من الله عز وجل (١) .

وروى في روضة الكافي (٢)

باسناده عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال : إن الناس لمّا صنعوا ما
صنعوا ، إذ بايعوا أبا بكر ، لم يمنع أمير المؤمنين (عليه السلام) من أن يدعوا إلى
نفسه إلاّ نظراً للناس ، وتخوفاً عليهم أن يرتدوا عن الإسلام ، فيعبدوا
الأوثان ، ولا يشهدوا أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله .

وكان الأحب إليه أن يقرهم على ما صنعوا ، من أن يرتدوا عن الإسلام
وإنما هلك الذين ركبوا ما ركبوا .

(١) المراجعات /ص ٢٧٩ رقم ٨٤/

(٢) /ص ٢٩٥

فأما من لم يصنع ذلك ، ودخل فيما دخل فيه الناس على غير علم ولا
عادة لأمر المؤمنين (عليه السلام) فإن ذلك لا يكفره ، ولا يخرج منه الإسلام ،
فلذلك كتّم عليّ (عليه السلام) أمره ، وبأبغ مكرهاً ، حيث لم يجد أعواناً (١) .

قصيدة للقاضي أبي بكر بن أبي قريعة

يامن يسائل دائباً	عن كل معضلة سخيفة
لا تكشفن مغطى	فلربما كشفت جيفة
ولرب مستور بدا	كالطبل من تحت القليفة
إنّ الجوابَ لحاضر	لكنني أخفيه خيفة
لولا اعتداء رعيّة	ألقى سياستها الخليفة
وسيوف أعداء بها	هاماتنا أبداً نقيفة
لنشرت من أسرار آل	محمد جملاً طريفة
تغنيكم عمّما رواه	مالك وأبو حنيفة
وأريتكم أن الحسين أُصيب	في يوم السقيفة
ولأيّ حالٍ لحدت	بالليل فاطمة الشريفة
ولما حمت شيخكم	على وطئ حجرتها المنيفة
آه لبنت محمد	ماتت بغصتها أسيفة

رثاء أمير المؤمنين للزهراء (عليهما السلام)

روى في أصول الكافي^(١)

باسناده عن أبي عبد الله الحسين بن عليّ (عليهما السلام) أنه قال : لما قبضت فاطمة (عليها السلام) ، دفنها أمير المؤمنين (عليه السلام) سراً ، وعفا على موضع قبرها ، ثم قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ثم قال : السلام عليك يا رسول الله ! عني ، والسلام عليك عن ابنتك ، وزائرتك ، والباتة في الثرى ببقعتك ، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري ، وعفا عن سيّدة نساء العالمين تجلّدي ، إلا أن التأسّي لي بسنتك في فرقتك ، موضع تعزّ ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت نفسك بين نخري وصدري .

بلى ! وفي كتاب الله لي أنعم القبول ، إنّ الله وإنّا إليه راجعون ، قد أسترجعت الوديعه ، وأخذت الرهينة ، وأخلصت الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء يارسول الله !.

أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهد ، وهمّ لا يبرح من قلبي ، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم ، كمد مقيح ، وهم مهيج ، سرعان ما فرّق بيننا ، وإلى الله أشكو .

وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، واستخبرها
الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها ، ولم تجد إلى بته سيلا ، وستقول ،
ويحكم الله وهو خير الحاكمين .

والسلام عليكما سلام مودع ، لا قال ولا ستم ، فإن أنصرف فلا عن
ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين .

واهاً واهاً ، والصبر أيمن وأجمل ، ولولا غلبة المستولين ، لجعلت المقام
واللبث لزاماً معكوفاً ، ولأعولت إعوالم الشكلى على جليل الرزية .

فبعين الله تدفن ابنتك سراً ، وتهضم حقها ، ويمنع إرثها ؟!
ولم يتباعد العهد ، ولم يخلق منك الذكر ، وإلى الله يارسول الله المشتكى
وفيك يارسول الله أحسن العزاء ، صلى الله عليك ، وعليها السلام
والرضوان .

ورواه الشيخين الطوسي والمفيد (ره) في مجالسهما (١) .

وفي الديوان المنسوب لأمير المؤمنين (عليه السلام) أنه أنشد بعد وفاة الزهراء

(عليها السلام) :

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة	وصاحبها حتى الممات عليل
فقد قال في الأمثال في البين قائل	أضرّ به يوم الفراق رحيل
لكل اجتماع من خليلين فرقة	وكل الذي دون الفراق قليل
وأن افتقادي فاطماً بعد أحمد	دليل على أن لا يدوم خليل

(١) البحار ج ٤٣/ص ١٩٣/ر/ص ٢١١

٣٦٧

يُرِيدُ الْفَتَى أَنْ لَا يَمُوتَ حَبِيبَهُ
وَلَيْسَ جَلِيلًا رِزْءَ مَالٍ وَفَقْدَهُ
وَلَيْسَ إِلَى مَا يَبْتَغِيهِ سَبِيلٌ
وَلَكِنَّ رِزْءَ الْأَكْرَمِينَ جَلِيلٌ^(١)

(١) البحار ج ٤٣/ص ٢١٦

من قصيدة لحجة الإسلام الشيخ عبد الحسين صادق العاملي

(بنحلتها) جاءت تطالب معشراً بدا كفرهم من بعدما أضمرؤا الكفرا
عموا عن هراها ثم صموا كثيرهم كأن بسمع القوم من قولها وقرا
لقد أرعشت بالوعظ صل ضعفونهم فثاروا لها والصل أن يرتعش يضرا
فلو أنهم أوصى النبي بظلمهم لها ما استطاعوا غير ما ارتكبوا أمرا
وأني وهم طورا عليها تراثها أبوا وأبوا منها البكاء تارة أخرى
وهم وشورها تارة بسياطهم وآونة قد أوسعوا ضلعها كسرا
وخل حديث (الباب) ناحية فما تمثلته إلا جرت مقلتي نهرا
بنفسي التي ليلاً توارت بلحدها وكان بعين الله أن دفنت سرا
بنفسي التي أوصت بإخفاء قبرها ولولا هم كانت بأظهاره أخرى
بنفسي التي ماتت ومالي بردها من الوجد ما لم تحره سعة الغبرا
رموها بسهم عن قسي حقودهم فأصبح فيما بينهم دمها هدرا
عليها سلام الله لا زال واصلاً لها فصلاة الله ما برحت ترى

ندم الذين تعاقبوا على ظلم أهل البيت

(عليهم السلام)

ندم أبي بكر عند الموت

روى الطبري في تاريخه

باسناده عن عبد الرحمن بن عوف في عيادته لأبي بكر في مرضه الذي مات فيه بعد كلام بينهما ، قال عبد الرحمن بن عوف : إنك لا تأسى على شيء من الدنيا ، قال أبو بكر : أجل إني لا آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن .

وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن .

وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول الله - (صلى الله عليه وآله) - .

فأمّا الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن : فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء ، وإن كانوا قد غلقوه على حرب ، ووددت أن لم أكن حرقت الفجاءة السلمي^(١) وأنني كنت قتلته سريعاً ، أو خلّيته نجيحاً ..^(٢)

وروى في إرشاد القلوب للديلمي

باسناده عن عبد الرحمن بن غنم الأزدي - حين مات معاذ بن جبل ، وكان أفقه أهل الشام ، وأشدّهم اجتهاداً - قال : مات معاذ بن جبل

(١) راجع الغدير ج٧/ص١٥٦ وتعرّف على حكاية حرق الفجاءة السلمي ، عن تاريخ الطبري ، وتاريخ ابن كثير ، والكامل لابن الأثير ، والإصابة .

(٢) الغدير ج٧/ص١٧٠ ، عن تاريخ الطبري ، وأبو عبيد في الأموال ، والإمامة والسياسة ، ومروج الذهب ، والعقد الفريد ، وتلخيص الشافعي ج٣/ص١٧٠

بالباعون ، فشهدته يوم مات ، والناس متشاغلون بالباعون ، قال : وسمعتُه حين احتضر ، وليس معه في البيت غيري ، وذلك في زمن خلافة عمر بن الخطاب ، فسمعتُه يقول : ويلّ لي ، ويلّ لي ، فقلت له : مِمّ ؟ .

قال : من موالاتي عتيقاً ، وعمر ، على خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصيه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

فقلت : إنك لتهجر ، فقال : يا بن غنم ! هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يقولان : أبشر بالنار وأصحابك ، أفليس قلتُم إن مات رسول الله زوينا الخلافة عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فلن تصل إليه ! .

فاجتمعتُ أنا وأبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ، وسالم مولى أبي حذيفة .
فقال : فقلت متى يا معاذ ؟ .

قال : في حجة الوداع ، قلنا نتظاهر على عليّ (عليه السلام) ، فلا ينال الخلافة ما حيننا !!! .

قلت يا معاذ ! إنك لتهجر ، فالصق خده إلى الأرض ، فما زال يدعو بالويل والثبور حتى مات .

فقال ابن غنم : ما حدثت هذا الخبر إلاّ إبنتي امرأة معاذ ، ورجلاً آخر ، فإني فزعت مِمّا رأيت وسمعت من معاذ .

قال : فحججت ، ولقيت الذي غمض أبا عبيدة وسالماً ، فأخبرني أنه حصل لهما نحو ذلك عند موتهما لم يزد حرفاً فيه ، ولم ينقص حرفاً ، كأنهما قالا مثل ما قال معاذ بن جبل .

قال أبان عن سليم : فحدثت بحديث ابن غنم هذا كله محمد بن أبي بكر فقال لي : اكنتم عليّ واشهد أن أبي قد قال عند موته مثل مقالتهم ، فقالت عائشة : إن أبي يهجر .

قال : ولقد لقيت عبد الله بن عمر في خلافة عثمان ، وحدثته بما سمعت من أبي عند موته ، وأخذت عليه العهد والميثاق ليكنتم عليّ . فقال ابن عمر : اكنتم عليّ فوالله لقد قال أبي مثل مقالة أيبك ، ما زاد ولا نقص ، ثم تداركها ابن عمر بعد تخوف أن أخير بذلك عليّ بن أبي طالب ، لما علم من حيي له ، وإنقطاعي إليه ، فقال : إنما يهجر . فأتيت أمير المؤمنين (عليه السلام) فأخبرته بما سمعته من أبي ، وبما حدثني به ابن عمر .

قال (عليه السلام) : قد حدثني بذلك عن أيبك ، وعن أبيه ، وعن أبي عبيدة وسالم ، وعن معاذ ، من هو أصدق منك ومن ابن عمر ، فقلت : ومن ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : من حدثني .

فعرفت من عني ، فقلت صدقت ! إنما ظننت إنساناً حدثك . وما شهد أبي وهو يقول ذلك غيري (١) .

(١) إرشاد القلوب / ص ٣٩١ ، وكتاب سليم بن قيس / ص ١٨٢

من قصيدة الشيخ صالح الكواز
 بل بكائي لذكر من خصّها الله
 ختم الله رُسُلَهُ بأبيها
 وحبها بالسَيِّدين الزكيين
 ولَفكري في الصّاحبين اللّذين
 منعنا بعلمها من العهد والعقد
 واستبدًا بإمرة دبرها
 وأتت فاطمٌ تطالبُ بالإرث
 ليت شعري لِمَ خولفت سنن
 نسخت آية المواريث منها
 أم ترى آية المودة لم تأ
 ثم قالوا أبوك جاء بهذا
 قالَ للأنبياء حكم بأن لا
 أفنيتُ النبيّ لم تدرِ إن كا
 بضعة من محمدٍ خالفتُ ما قالَ
 سمعته يقولُ ذاك وجاءت
 هي كانتُ لله أتقى وكانتُ
 أو تقولُ النبيّ قد خالفَ القر
 سلٌ بإبطال قولهم سورة النملِ

تعالى بلطفه واجتباها
 واصطفاه لُوحيه واصطفاه
 من الإمامين منه حين حباها
 استحسنا ظلمها ما راعياها
 وكان المنيب والأوها
 قبل دفن النبيّ وانتهاها
 من المصطفى فما ورثها
 القرآن فيها والله قد أبداه
 أم هما بعد فرضها بدلاها
 ت بودّ الزهراء في قرباها
 حجة من عنادهم نصباها
 يورثوا في القديم وانتهاها
 ن نبيّ الهدى بذلك فها
 حاشا مولانا حاشاها
 تطلب الإرث ضلّة وسفاها
 أفضل الخلق عفة ونزاها
 آن ويح الأخبار ممن رواها
 وسلّ مريم التي قبل طة

وسليمانَ من أرادَ انتباها
 كَ وفاضتُ بدمعها مقلتاها
 المصطفى فلم يُنحلاها
 بعلها شاهداً وابناها
 هادي الأنام إذ ناصباها
 طمةٌ عندهم ولا ولداها
 قُبَحَ القائلُ المحالَ وشاها
 الغيظُ مراراً فبعس ما جرعاها
 الحفظُ لعهدِ النبيِّ لو حفظاها
 دي البشيرِ النذيرِ لو أكرماها
 فذكاً لا الجميلُ أنْ يقطعهاها
 صادقِ ناطقِ أمينِ سواها
 ويلٌ لمنْ سنَّ ظلمها وأذاها
 عن الغاصبينِ إذْ غصباها
 فبظلمٍ كلاً ولا اهتضاهاها
 له عندَ المماتِ لم يحضراها
 من رفقاُ بها وما شيعاها
 لأبيها النبيِّ لم يتبعهاها
 يشهدا دفنها فما شهداها
 فريةٌ قدْ بلغتْ أقصى مداها

فهما ينبعان عن إرثٍ يحيي
 فدعتُ واشتكتُ إلى الله من ذا
 ثم قالتُ فنحلةٌ لي من والدي
 فأقامتُ بها شهوداً فقالوا
 لم يُجيزوا شهادةَ ابني رسولِ الله
 لم يكن صادقاً عليٍّ ولا فاعلاً
 كان أتقى الله منهم فلانٌ
 جرعاها من بعدِ والديها
 ليت شعري ما كان ضرهما
 كان إكرامُ خاتمِ الرسلِ لها
 ولكن الجميلُ أنْ يُقطعهاها
 كان تحتَ الخضراءِ بنتُ نبيٍّ
 بنتُ منْ أمُّ منْ حليلةٌ منْ
 قل لنا أيها المجادلُ في القولِ
 أهما ما تعمداها كما قلتُ
 فماذا إذْ جهزتُ للقاءِ الـ
 شيعتُ نعشها ملائكةَ الرحمـ
 كان زهداً في أجرها أم عناداً
 أم لأنَّ البتولَ أوصتْ بالألـ
 كيف ما شئتَ قل كفاك فهدي

أغضباها وأغضبا عند ذاك الـ
وكذا أخبر النبي بأن الـ
لا نبي الهدى أطيع ولا فـ
ولأي الأمور تُدفن سرأ

للة ربّ السماء إذ أغضباها
للة يرضى سبحانه لرضاها
طمّة أكرمت ولا حسناها
بضعة المصطفى ويعفى تراها

إعلموا أنني فاطمة ج ٩/ص ١٨٠

عمر بن الخطاب يُكافئ قنفاً

روى سليم في كتابه ، أنه جاء إلى عمر بن الخطاب - في ولايته - آياتاً من الشعر من أبي المختار بن أبي الصعق : يطلب منه بأن يحاسب عماله وولاته على الأقطار ، لأنهم يسرقون الأمة بإسم المسؤولية .

فعمل عمر بنصيحة الرجل ، بدون تحقيق أو تدقيق .

قال سليم : فأغرم عمر بن الخطاب تلك السنة جميع عماله أنصاف أموالهم لشعر أبي المختار . ولم يغرم قنفاً العدوي شيئاً ، وقد كان من عماله ورد عليه ما أخذ منه ، وهو عشرون ألف درهم .

ولم يأخذ منه عشرة ، ولا نصف عشرة .

وكان من عماله الذين أغرموا أبو هريرة ، وكان على البحرين ، فأحصى ماله فبلغ أربعة وعشرون ألفاً ، فأغرمه إثني عشر ألفاً^(١) .

قال أبان عن سليم : فلقيت علياً (صلوات الله عليه) فسألته عما صنع عمر ؟ .

فقال : هل تدري لِمَ كفَّ عن قنفاً ولم يغرمه شيئاً ؟ قلت : لا ، قال : لأنه هو الذي ضرب فاطمة بالسوط حين جاءت لتحول بيني وبينهم ، فماتت - (صلوات الله عليها) - وإن أثر السوط لفي عضدها مثل الدمليج .

قال أبان عن سليم : انتهيت إلى حلقة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ليس فيها إلا هاشمي ، غير سلمان وأبي ذر والمقداد ، ومحمد بن أبي بكر ، وعمر بن أبي سلمة ، وقيس بن سعد بن عبادة .

^(١) راجع كتاب أبو هريرة لشرف الدين ، وأبو هريرة الدوسي للشيخ محمود أبو رية ، وتعرّف على اختلاف عمر وأبو هريرة على المال ، وكيف ضربه بالدرّة .

فقال العباس لعلي - (صلوات الله عليه) - ما ترى عمر منعه من أن يغرم قنفذاً
كما أغرم جميع عماله ؟ .
فنظر عليّ (عليه السلام) إلى من حوله ثم اغرورقت عيناه ، ثم قال : شكر له
ضربة ضربها فاطمة بالسوط ، فماتت وفي عضدها أثره كأنه الدمليج ^(١) .

^(١) البحار مجلد ٨/ص ٢٢٣ ط قدیمة ، وكتاب سلیم /ص ٩٦/٩٨ وهناك تجد آيات المعتار بن أبي الصعق إلى عمر

من قصيدة للعلامة الحجة السيد عبد المحسن فضل الله (ره) (١)

أغمض الطرف فالسنين ورائي	تروي أحداثها على استحيائي
فالقليل القليل منه كفيل	أن يريك الأولى بكل جلاء
كيف قامت على الضلالة تبني	هيكلاً أسسه على البغضاء
للبتول الطهور ويح أناس	أغضبوا الله في أذى الزهراء
وهي معنى قدعير الله عنه	بانبشاق الهدى من الأمناء
هي معنى فوق ما يدرك الفكر	سمواً وهي شمس كل سماء
هي تسيحة من الله في الأرض	أنارت حنادس الظلماء
هي قلس النبي أم أيها	وقفه النور بين طين وماء
هي حب النبي رجع صداه	فاطم بضعتي ولاها ولائي
هي من حاطت النبي بعطف	فاق عطف الأبناء للآباء
وهي من حاطها النبي بعطف	فاق عطف الآباء للأبنائي
وهي من خصها ارتفاعاً عن الأر	ض برمز الأملاك في الغبراء
زفها نحوه بموكب قلس	بز شأواً فصاحة البلغاء
وهي من أنزل المهيمن فيها	آية الطهر في أتم أداء
وهي سيف الإله باهل فيه	أحمدُ الشرك حاسراً في العراء
وهي أم الكساء ضم سنه	خير كل الورى بلا استثناء
هذه فاطم وبعض علاها	فاسألوها عن فاضح الأنباء
طلبت إرثها كما أمر الله	فردت بفريضة الأدعياء

(١) وقد نشرنا هذه القصيدة التي تكرم علينا بها سماحة السيد (ره) في الطبعة الأولى لهذا الكتاب .

أتراها والطهر كل معانيها
ألف حاشا أن تفتزي ابنة طه
يابن تيم من أنت كي تزدريها
خسعت أمة تأمر فيها
يالعار الأحداث صغرى مراميهها
قسما بالنبي لولا اختشائي
لطويت الحديث عن أي فصل
افتراءً تفوه بالحرباء
فهني أدري بشرعة الأنبياء
خسيء القول أن تكون ندائي
فئة أسست على البغضاء
انتقاض الشريعة السمحاء
من ضياع الحقيقة الغراء^(١)
سجلته صحائف الأعداء

^(١) شهد الله أن غاية السيد هي غايتنا .

الخاتمة

الحياة لها طريقان لا ثالث لهما : طريقُ حق وطريقُ باطل ، أو طريق الرحمن وطريق الشيطان ، وقد بينت لنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، في خطبتيها : أمام الصحابة في المسجد ، وأمام نساء المهاجرين والأنصار ، أيَّ طريق نتبع ، وعلى أي منهاج نسير .

وأيَّ خارجٍ على تعاليم النبي العظيم وقد وُلِّيَ أحكام المسلمين ، وسُلِّطَ على رقاب المؤمنين : افتراءً في الآحاديث المنسوبة إليه (صلى الله عليه وآله) ، وجحوداً للتعاليم السماوية ، واغتصاباً لحقوق أهل البيت (عليهم السلام) ، وتأمراً من المسلمين مع الطغمة الحاكمة على الظلم والإعتداء ، حتى وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه من تحكّم المنافقين ، واستيلاء الكافرين على البلاد والعباد ، وأصبح المؤمن أذل من الشاة ، وقد أوضح سبحانه في كتابه المجيد أن له طريقاً واحداً لا غير ، قال تعالى: ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (١) .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أيها الناس .. قد تركت فيكم الثقلين خليفتين ، إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض (٢) .

(١) الأنعام/١٥٣

(٢) دلائل الصدق ج ٢/ص ٤٧٢

وروى الزمخشري - وكان من أشد الناس عناداً لأهل البيت - بإسناده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : فاطمة بهجة قلبي ، وأبناها ثمرة فؤادي ، وبعلمها نور بصري ، والأئمة من ولدها أمناء ربي ، وحبل ممدود بينه وبين خلقه ، من اعتصم بهم نجح ، ومن تخلف عنهم هوى ^(١) .

وعلى هذا - أيها القارئ الفطن - أجدني قد أدت بعض ما عليّ من إظهار الحق ، وتبيان أهله ، حتى نكون من أتباعه ورواده .

فما علينا نحن شيعة الزهراء (عليها السلام) ومحبيها إلا أن نفتدي بها ، كما اقتدينا بأبيها (صلى الله عليه وآله) ، لأنها قطعة منه ، وصورة عنه : بالإيمان والعبادة والتسبيح والخلق الكريم .

وهي (عليها السلام) خير قدوة لنسائنا وفتياتنا .

في حال صباها كانت أم أبيها كما قال عنها (صلى الله عليه وآله) ، ومع زوجها كانت الزوجة الصالحة المطيعة والمحترمة له ، العارفة حقه من الله تعالى .

وأما مع أولادها فهي المربية الناجحة الواعية .

وخير برهان على حسن تربيتها لهم ، أنه لم يكن أبناءً خيراً منهم ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين ، عنيت بهم الحسن والحسين ، سيدي شباب أهل الجنة ، وزينب الكبرى ، وزينب الصغرى - أم كلثوم - (سلام الله عليهم أجمعين) .

^(١) نفس المصدر

هذه فاطمة الزهراء ، البتول الحوراء ، الصديقة الطاهرة ، سيدة نساء العالمين ، من الأولين والآخرين .

فهي خير قدوة لنا ، وبنت أعظم قائد ، وزوجة أمير المؤمنين ، وأم الأئمة السادة الميامين ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ...
نعم للإقتداء بالزهراء عبادة وتسبيحاً .

نعم للإقتداء بالطاهرة المطهرة ، بتربية الأبناء الصالحين ، والأجيال المؤمنين نعم للمرأة التي تهَيء الجو المناسب للرجل لكي يجاهد في سبيل الله تعالى ويقوم بواجبه أمام دينه وأمته .

أمّا جهادها هي فحسن التبعل ، كما ورد ^(١) .

لم يطلب الإسلام من المرأة جهاد الأعداء ، والحرب والقتال في سبيل الله تعالى ، بل طلب منها أن تبني مجتمعاً مؤمناً صالحاً ، وأن تربي أبنائها تربية إسلامية : على تعاليم القرآن الكريم ، وسنة الرسول العظيم ، وسيرة الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) كما فعلت الزهراء في تربية أبنائها العظام ، سادة العالم إلى آخر الزمان .

هذا ما نرجوه من نساتنا اليوم : أن يقتدين بالزهراء بنتاً ...

وبالزهراء زوجة ... وبالزهراء أمماً ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

^(١) رسائل الشيعة ج ١١/ص ١٥

من قصيدة للأديب الشيخ حسن الحلبي

لكن أذاب فؤادي حادث جلل تنمى إليه الرزايا حين تنتسبُ
 يوم قضى المصطفى في صحبه وعلى الأعقاب من بعده أصحابه انقلبوا
 قادوا أخاه ورضوا ضلع بضعته بجورهم ولها البغضاء قد نصبوا
 لم أنسها وهي تنعاه وتندبه وقلها بيد الأرزاء منتهبُ
 تقول يا والدي ضاق الفضاء بنا لما مضيتَ وحالت دونك التربُ
 (قد كان بعدك أنباء وهنبشة لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطبُ)
 (إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فأشهدهم فقد نكبوا)
 نفوا أخاك عيلاً عن خلافته وشيخ تيم عناداً منهم نصبوا
 كقوم موسى أطاعوا العجل واعتزلوا هرون والسامري الرجس قد صحبوا
 ألغوا وصاياهم في أهليه وانتهبوا ميراثه وإلى حرمانهم وثبوا
 أبضعة الطهر طه نصب أعينهم بالباب يعصرها الطاغى وما غضبوا
 رضوا أضالعها أجزوا مدامعها آدموا نواظرها ميراثها غضبوا
 لبيتها وهي حسرى في معاصمها عدواً فلاذت وراء الباب تحتجبُ
 فألموا عضديها في سياطهم وأسقطوا حملها والمرضى سحبا
 قادوه بالحبل قهراً وهي خلفهم تدعوا وأدمعها كالغيث ينسكبُ
 ياقوم خلوا بن عمي قبل أن تقع الخضراء فوق الثرى والكون ينقلبُ
 فقعوها بقرع الأصبحية لا عداهم سنخط الجبار والغضبُ
 ووشحوا منها بالسوط فانكفات لدارها وحشاها ملؤه عطبُ

ما بارحت قلبها الأحزان ذات حشاً حرّى إلى أن أهيلت فوقها التربُّ
قضت وفي جنبها أثر السياط وفي فؤادها للرزايا جحفل بحسبُ
ما شيعوا نعشها السامي عُلا ولقد تراجمت خلفها الأملاك تنتحبُ

إعلموا أني فاطمة ج ٩/ص ١٩٨

مصادر خطبتيّ الزهراء (عليها السلام) أمام الصحابة ونساء المهاجرين والأنصار

- لنذكر بعض المصادر التي روت خطب الزهراء (عليها السلام) أمام الصحابة في المسجد ، وأمام نسائهم . وذلك من طريقيّ السنة والشيعه .
- ١ = الإحتجاج : للشيخ الطبرسي . (وقد اعتمدها كثيراً في هذا الكتاب)
 - ٢ = الآمالي : لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي .
 - ٣ = معاني الأخبار : للشيخ الصدوق .
 - ٤ = الشافي : للشريف المرتضى (علم الهدى) .
 - ٥ = بحار الأنوار : للشيخ المجلسي .
 - ٦ = الطرائف : للسيد ابن طاووس .
 - ٧ = كشف الغمة : للشيخ للاربلي .
 - ٨ = دلائل الإمامة : للطبري .
 - ٩ = أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين .
 - ١٠ = شرح نهج البلاغة : لإبن أبي الحديد المعتزلي .
 - ١١ = بلاغات النساء : لأبي الفضل بن أبي طاهر .
 - ١٢ = أعلام النساء : لعمر رضا كحالة .
 - ١٣ = مروج الذهب : للمسعودي .

من القصيدة الإزرية

لناظمها الشيخ محمد كاظم الإزري (٥هـ)

نقضوا عهد أحمد في أخيه وأذاقوا (البتول) ما أشجأها (١)
 وهي العروة التي ليس ينجو غير مستعصم بجبل ولاها (٢)
 لم ير الله للنبوة أجراً غير حفظ الوداد في قرباها (٣)
 لست أدري إذ روّعت وهي حسرى عاند القوم بعلها وأباها
 يوم جاءت إلى عدي وتيم (٤) ومن الوجد ما أطال بكأها
 فدعت واشتكت إلى الله شجواً والرواسي تهتز من شكواها
 تعظ القوم في أم خطابٍ حكمت المصطفى به وحكاها (٥)
 أيها القوم راقبوا الله فينا نحن من روضة الجليل جناها
 واعلموا أننا مشاعر دين الله فيكم فاكرموا مثواها
 إن تروموا الجنان فهي من الله إلينا هدية أهداها
 هي دار لنا ونحن ذووها لا يرى غير حزينا مرءاها
 وكذلك الجحيم سجن عدانا حسبهم يوم حشرهم سكتاها
 أيها الناس أي بنت نبي عن مواريثه أبوها زواها
 كيف يزوي عني تراثي عتيق (٦) بأحاديث من لدنه افتزاها
 هذه الكتب (٧) فاسألوها تروها بالمواريث ناطقاً فحواها
 وبمعنى ﴿يوصيكم الله﴾ (٨) أمر شامل للعباد في قرباها
 كيف لم يوصنا بذلك مولانا وتيماً من دوننا أوصاها (٩)

هل رأنا لا نستحق اهتداءً واستحقت تيمُّ الهدى فهداها
 أنصفوني من جائرين (١٠) أضعاً ذمة المصطفى وما رعاها
 ما لكم قد منعمونا حقوقاً أوجب الله في الكتاب أداها
 وخذوتم حذو اليهود غداة اتخذوا العجل بعد موسى إلهها
 قد سلبتم من الخلافة خوذاً كان منّا قناتها ورداها
 وسببتم من الهدى ذات خدر عزّ يوماً على النبي سبها (١١)
 إن رضيتم من دوننا خلفاء لا اشتفت من قلوبكم مرضاها
 أو أبيتهم عهدود أحمد فينا لا وقيتم من الرزايا سطاها
 تدعون الإسلام إفكاً وزوراً كذبت أمهاتكم بادعاها
 أي شيء عبدتم إذ عبدتم أن يولّى تيم على آل طه
 هذه البردة التي غضب الله على كل من سوانا ارتداها
 فخذوها مقرونة بشنار غير محمودة لكم عقباها
 والبسوها لباس عار ونار قد حشوتكم بالمخزيات وعاما
 كيف تنفى ابنة النبي عناداً لا نفى الله من لظى من نفاها
 ولأي الأمور تدفن سراً بضعة المصطفى ويعفى ثراها
 فمضت وهي أعظم الناس وجداً في فم الدهر غصة من جواها
 وثوت لا يرى لها الناس مشوى أي قلس يضمه مثواها
 ثم همّت ببعها كل كفر واستمدت له رقاق مداها
 أمة قاتلت إمام هداها يا ترى أين زال عنها حياها
 كم أرادت إطفاء نار حسام صاغه الله ثمرة لحشاها

الحواشي :

- (١) أي نقضوا وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) بأعنيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) .
- (٢) إشارة إلى حديث الثقلين : إني تارك فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي ...
- (٣) إشارة إلى آية المودة : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ الشورى/ ٢٣ .
- (٤) إشارة إلى أبي بكر وعمر ، لأن الأول من بني تميم والثاني من بني عدي .
- (٥) إشارة إلى أن الزهراء (عليها السلام) تشبه أباها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمشيتها ومنطقها فذكرتهم به
- (٦) يقصد بعثتي : أبو بكر بن أبي قحافة .
- (٧) يعني كتب السماء التي نزلت على الأنبياء (عليهم السلام) .
- (٨) إشارة إلى الآية (١١) من سورة النساء ، فهي تورث جميع الناس ، الأنبياء وغيرهم .
- (٩) يعني أن الشاعر يصور تعجب الزهراء (عليها السلام) وكأنها قالت : هل يعقل أن أبي محمد (صلى الله عليه وآله) لم يوصني وأنا ابنته الوحيدة بأنني لا أرث ، ويوصي أبا بكر بن أبي قحافة ١٩ .
- (١٠) إشارة إلى أبي بكر وعمر بن الخطاب .
- (١١) يعني أنهما - أي أبو بكر وعمر - السبب فيما حصل في العالم الإسلامي على طول التاريخ من قتل وظلم رسي نساء وهتك أعراض ...

فهرس الموضوعات

٥الأهداء
٧مقدمة الطبعة الأولى
١١مقدمة الطبعة الثانية
١٥لماذا اثاره خطبة الزهراء (ع)
٢٣نبذة موجزة عن حياة فاطمة الزهراء (ع)
٣٩أول محنة للزهراء (ع) مرض والدها رسول الله (ص)
٤١رزقة منع النبي (ص) من كتب الكتاب
٤٧فيما جرى عند وفاة رسول الله (ص) وقبل دفنه
٥٣السقيفة ، ودفن رسول الله (ص)
٦١موقف فاطمة الزهراء (ع) من الأحداث
٧٧خطبة الزهراء (ع) في المسجد أمام الصحابة
١٠١علل بعض الواجبات في الإسلام
١٢٥صورة عن حالة العرب قبل الإسلام
١٧١خطاب الزهراء (ع) للأنصار
١٩١جواب أبي بكر
٢٠١جواب الزهراء (ع)
٢٠٥جواب أبي بكر مرة ثانية
٢٠٧خطاب الزهراء (ع) إلى المسلمين
٢١٧كلام الزهراء لأمير المؤمنين (ع) بعد رجوعها من المسجد

- ٢٢٥ جواب أمير المؤمنين (ع)
- ٢٢٩ حديث احراق دار فاطمة الزهراء (ع) من طرق أهل السنة
- ٢٥٥ قضية محسن ابن الزهراء (ع) من طرق أهل السنة
- ٢٦٣ حديث ضرب الزهراء (ع) وكسر ضلعها واسقاط جنينها عند الشيعة
- ٢٧٩ رأي علماء الشيعة في ظلم فاطمة الزهراء (ع)
- ٢٩١ رأي بعض علماء السنة في ظلم الزهراء (ع)
- ٢٩٩ حزن فاطمة الزهراء (ع) وبكاؤها
- ٣١١ خطبة فاطمة الزهراء (ع) في نساء المهاجرين والأنصار
- ٣٤٥ عيادة الشيعين للزهراء (ع) في حال مرضها
- ٣٥٠ الويل لمن غضبت عليه فاطمة (ع)
- ٣٥٧ وفاة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) وعيادة العباس بن عبد المطلب لها ..
- ٣٥٨ رثاء أمير المؤمنين للزهراء (ع)
- ٣٦٩ ندم الذين تعاقدوا على ظلم أهل البيت (ع)
- ٣٧٥ عمر بن الخطاب يكافئ قنفذاً
- ٣٧٩ الخاتمة
- ٣٨٤ مصادر خطبتي الزهراء (ع) أمام الصحابة ونساء المهاجرين والأنصار

فهرس بعض القصائد التي اخترناها لمناسبتها للمقام

٢١٦ شعاع من نور الزهراء (ع)	
٢٢٤ من قصيدة للشيخ عبد المعمر الفرطوسي	
٢٥٠ للشيخ حبيب شعبان	- -
٢٥٤ للسيد محمد جمال الهاشمي	- -
٢٧٨ للشيخ محسن بن الشيخ شريف حفيد الشيخ الأكبر صاحب الجواهر	- -
٢٩٠ للسيد محمد جمال الهاشمي	- -
٣١٠ للسيد باقر الهندي	- -
٣٥٠ للأديب السيد عباس المدرسي	- -
٣٥٦ للشيخ قاسم الملا الحلبي	- -
٣٦٤ للقاضي أبي بكر بن أبي قريعة	- -
٣٦٨ لحجة الإسلام الشيخ عبد الحسين صادق العاملي	- -
٣٧٢ للشيخ صالح الكواز	- -
٣٧٧ للعلامة الحجة السيد عبد المحسن فضل الله العاملي (ره)	- -
٣٨٢ للأديب الشيخ حسن الحلبي	- -
٣٨٥ الإزري ، لناظمها الشيخ محمد كاظم الإزري (ره)	- -

هذا الكتاب

يحتوي هذا الكتاب على نبذة وجيزة من حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وشرح وافٍ لخطبتها : أمام الصحابة في المسجد ، وأمام نساء المهاجرين والأنصار .

ويذكر الأسباب التي دعته إلى قول ذلك الكلام العظيم ، ويأتي بالأدلة والبراهين ، على غضب حقها ، والهجوم على دارها لإحراقه ، وكيف كسروا ضلعها ، وأسقطوا جنينها ، ولطموا خدها إلى ما هنالك من مظالم جرت عليها ،

وعن نهاية كل ظالمٍ منهم ،

وعن رأي بعض العلماء الأعلام ،

وذلك من طريقي السنة والشريعة .